وسائل التحقيق ورسائل التوفيق

الشيخ عبد الغني النابلسي

تحقيق وتقديم

سامر عكاش



بريل

الناشر

دار بريل للنشر في ليدن المحروسة وبوسطن

سنة ٢٠٠٩

مخطوط ١١١٣ برنستون

مخطوط ٦٠٧٨ ظاهرية

مخطوط ١٤١٠ فاتيكان / ٦١٥ أسد

مقدمة

عندما عزم الشيخ عبد الغني النابلسي (١٦٤١–١٧٣١) مع أصحابه على مغادرة صيدا والتوجه جنوباً إلى الأراضي المقدسة، أثناء رحلتهم إلى الشام ومصر والحجاز، أرسل معهم محافظ صيدا، أحمد باشا، جماعة من أتباعه وعساكره، وحمّلهم رسالة توصية إلى حاكم عكا، وأصدر مرسوماً خطياً مرصّعاً بختمه الكبير يخاطب به أهالي المناطق التي ستمر بها القافلة، قال فيه:

صدر المرسوم المطاع، الواجب القبول والإتباع، إلى كل واقف عليه، وناظر إليه، من ملتزمين مقاطعات، وصوباشية، ومشايخ قرايا، و رعايا أماكن إيالة صيدا، وإيالة لواء اللجون، ونابلس، إلى بيت المقدس بوجه العموم، وفّقهم الله تعالى. وغير ذلك: نعرّفكم أن ناقل هذا المثال قدوة العلماء العاملين، عمدة الفضلاء الصالحين، ينبوع عين الفضل واليقين، وارث علوم الأنبياء والمرسلين، العارف المُحقق، والعلامة المُدقق، فريد عصره، و وحيد دهره، حضرة مولانا الشيخ عبد الغني النابلسي، نفع الله المسلمين بعلومه، وأعاد علينا بركاته وصالح دعواته في الدنيا والآخرة، متوجهاً إلى الديار المقدسة، قاصداً زيارة ما فيها من مراقد أنبياء الله

العظام، وأوليائه الكرام. بناءً على ذلك أصدرنا هذا البيراولدي إليكم. فمع وقوفكم عليه، ونظركم إليه، وشرفكم بتقبيل يديه، وعند وصوله لعند كائن من كان منكم، تكونون في خدمته وتعظيمه وإكرامه، وإكرام من يلوذ بجنابه من تلامذته وأتباعه، فوق ما هو المراد. وإذا توجه من عند أحدكم، فليرسل معه ناس من أتباعه يوصلوه إلى المنزل الذي يكون قاصده في أمن وأمان، من غير مخالفة ولا توان. وإن بلغنا عن أحد لم يتلقاه بالرحب والسعة، أو يحدث معه سوء أدب، أو يتعرض له في شئ لا يرضاه، أو يتعدى عليه في شئ يكدّر خاطره، لا يلومنّ إلا نفسه، ونطلع من حقه بأشد العقوبة والعذاب. والحذر ثم الحذر من المخالفة والعناد، وتعلموا ذلك وتعتمدوه، لأنا عرفناكم ذلك في ١٧ صفر سنة ١١٠٥.*

يشير هذا المرسوم إلى أهمية الشيخ عبد الغني النابلسي العلمية والدينية الكبيرة، وإلى المكانة الرفيعة الذي حظي بها عند الحكام وذوي الشأن، وخاصة عند أولائك القاطنين خارج مدينة دمشق. وتُقدم لنا مراسلاته المجموعة في كتاب *وسائل*

* النابلسي، *الحقيقة والمجاز*، ٨٣–١:٢٨٢. لتقريب النص الوارد هنا قدر الإمكان إلى مسودة المؤلف، تم إسقاط معظم التغيرات التي ادخلها المحقق على النص المطبوع.

التحقيق ورسائل التوفيق، الذي يُحقق ويُقدّم للمرة الأولى هنا، توثيقاً لهذه المكانة وتأكيداً على سعة رقعتها. وتُظهر الرسائل مشاعر التقدير والمودة والاحترام التي كنّها له مراسليه من العلماء والأعيان وذوي الشأن، وتُبين «روابط الأخوة الإيمانية» التي ربطته بهم ودفعته للتواصل مع الأقران، من «أهل الإنصاف،» وإلى تقديم النصيحة والإعانة في أمور الدين، كونه، كما عرّفه شيخ الإسلام فيض الله في رسالته، «قطب دائرة الصلاح، ومركز الهداية والفلاح.»

يُعتبر الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي واحداً من أهم مفكري الإسلام الذين تفاعلوا بانفتاح خلاّق مع التحدّيات والتغيّرات التي واكبت فترة الحداثة المبكرة. وربما كان التجلي الأخير لنموذج العلامة الوسيطي، المتعدد المواهب، البارع بالعديد من العلوم العقلية والنقلية، الغزير الإنتاج (له ما ينوف على ٢٨٠ مؤلفاً)، الذي همّشته تحوّلات الحداثة، ونسخته منهاج العلم والتعليم الحديثة. ولا تقدم لنا المصادر التاريخية في القرنين اللاحقين لوفاته شخصيات إسلامية مماثلة، نسجت على منواله وأنتجت في نفس طيفه المعرفي الواسع. وقد عُرف الشيخ عبد الغني كصوفي، وفقيه، ومفسّر، ومحدّث، ومؤرّخ، ورحّالة، وشاعر، وأديب، كتب بحسب تصنيفه الشخصي في سبعة فنون: فن الحقيقة الإلهية، وفن الحديث الشريف، وفن عقائد أهل السنّة والجماعة، وفن علم الفقه الشريف، وفن التجويد، وفن التاريخ، وفن الأدب. وبسبب هذا التنوع الكبير في إنتاجه الفكري

وتلون شخصيته، يجد الباحثون صعوبة في تحديد هويته الفكرية دون اختزال لاتساع وعمق أفقه المعرفي.

وُلد الشيخ عبد الغني في دمشق في يوم الأحد، الرابع من ذي الحجة، سنة ١٠٥٠هـ، في دار والدته زينب الدويكي الكائنة في سوق القطانين في حي الميدان. ونشأ في بيت والده في سوق العنبرانيين تجاه الباب الجنوبي للجامع الأموي الكبير. ونبغ منذ صغره ليصبح واحداً من أهم وألمع علماء دمشق وأوسعهم تأثيراً. وينحدر الشيخ عبد الغني من عائلة عريقة في الفقه والدين، حظيت بمكانة مرموقة وسمعة طيبة في دمشق، تقديراً لمساهماتها المتميّزة في مجالات العلم والدين. فقد أنجبت العديد من الفقهاء وعلماء الدين البارزين، إلا أنها لم تنجب من الصوفية اللامعين إلا الشيخ عبد الغني. ويفتخر النابلسيون بنسبهم لأصلين بارزين: بنو جَماعة وبنو قُدامة. ويتصل نسب النابلسيين عبر بني قُدامة بنسب الصحابي الشهير، والخليفة الثاني، عمر بن الخطّاب (ت ٦٤٤م). ولبني جَماعة وبني قُدامة ارتباط تاريخي بمدينة القدس، لذا عرفوا ب«المقادسة.» أما النسب النابلسي، نسبة إلى مدينة نابلس الفلسطينية، وهي مدينة تاريخية ذو أصل روماني تقع شمال القدس، فقد جاء من إقامة بعض أجداد العائلة في نابلس قبل حضورهم إلى دمشق، حيث عرفوا وقتها ب«النابلسيين.» وشاع هذا اللقب مع مرور الوقت، وطغى على لقب الجذر العائلي.

لمع نجم الشيخ عبد الغني في دمشق كشاعر وأديب في سن الخامسة والعشرين. وذاعت شهرته أولاً في إحدى الحلقات الترفيهية الحضرية التي اعتاد الدمشقيون عقدها في متنزهات مدينتهم الجميلة، والتي شجّعت على غرس وترسيخ النزعة الاجتماعية الدنيوية في المجتمع الدمشقي. كما أنه برز في الوقت نفسه كصوفي متميّز في لقائه الأول مع شيخ الطريقة القادرية في مدينة حماة أثناء سفره إلى بلاد الروم. هذا الظهور الثنائي اللامع على ساحتي الأدب والتصوف يثير الفضول، خاصة وأن المصادر المتوفرة عنه لا تعطينا معلومات كافية عن مراحل تأهيله في كلا المجالين، كما أنها لا تقدم لنا تفسيرات شافية للتناقض أو الازدواجية في شخصية عبد الغني الذي يفرضه التميّز في عالمي الجسد والروح. وإنما تقدمه لنا كشخصية فتية فريدة حازت على تاج وسيف القادرية، وعصا وخرقة النقشبندية، دون خدمة وتأهيل في الطريقتين، كما أنتجت في نفس الوقت كاتباً حافلاً في علم البديع يتضمن مساهمات إبداعية خلاقة في مجالي الشعر والأدب.

هذا المزيج الفريد بين الروحانية الصوفية والحسية الشعرية هو ما يميّز الحيّز الفكري الذي أوجده الشيخ عبد الغني، وعاشه، وشارك فيه الآخرين. ومن خلاله جسّدت شخصيته نموذجاً جديداً لصورة «الولي،» كقطب معرفي تتقاطع عنده وفيه أمور الدنيا والدين من جهة، والحقيقة والشريعة من جهة أخرى. ومن

جانب آخر، قدّم عبد الغني من خلال شخصيته أيضاً نموذجاً حديثاً للصوفي المتنور، الذي يعتمد على النص والجهد الشخصي، بدلاً من الشيخ والخدمة، للتحصيل العرفاني الذاتي، وللوصول للمعرفة الذوقية والروحية. ف«الطريقة» في تجربته التصوفية لم تعد بالضرورة تجربة مؤسساتية تقليدية لها شيخها ومنهاجها، وإنما تجربة شخصية بحته لها طقوسها الفردية القادرة على إيصال السالك للحقيقة المنشودة. ومن خلال تجربته الشخصية، لم يرَ الشيخ عبد الغني تعارضاً بين المتعة والترف الدنيوي وبين الزهد والتحصيل الروحي. فنرى انشغاله في النزهات الترفيهية والشعر الغزلي الحسي، كما هو مصور في ديوان *خمرة بابل* المكرس للمتعة الدنيوية مثلاً، يقابله خلوات وتأملات روحانية سامية، كما في *ديوان الحقائق* المكرس للإلهام الروحي. والديوانان سجلان لتجارب متزامنة، مهما بدت متناقضة، وليسا تصويراً لمراحل مختلفة من حياته.

سعى الشيخ عبد الغني من خلال أفكاره، وتعاليمه، وممارساته الحياتية، إلى توسيع الأفق العقلاني للفكر الديني الإسلامي، كما عزز من خلال فلسفته للدين مفهوم العدالة الاجتماعية والتعايش بين الأديان، موسعاً بذلك أفق التسامح في الدين الإسلامي. هذا بالإضافة إلى تفصيل فلسفة للوجود تدعم الفكر الديني وعلوم العقائد تستحق البحث والنظر في مقابلة اللاهوت الطبيعي الذي ظهر في أوروبا في تلك الحقبة. أما قراءاته الجريئة لنصوص صوفية مثيرة للجدل في مجالس

عامّة، فقد خلقت حيّزًا اجتماعيًا جديدًا للتصوف، وجوًا فكريًا يشجع على المشاركة العامة لمختلف طبقات المجتمع، بدلاً من الخصوصية والسرية والنخبوية الدارجة وقتئذٍ في الطرق الصوفية. ومن خلال هذا التوجه الجرئ، سعى إلى توظيف الرأي العام للجمهور لمواجهة العداوة المتزايدة للصوفية في ذلك الوقت، ليس فقط في دمشق وإنما في العديد من المدن العثمانية. ولقد شهدت هذه المجالس الغير مسبوقة إقبالاً كبيرًا من كافة طبقات المجتمع، وأثارت الكثير من القلق والتوتر في الأوساط الدمشقية.

يُعد الشيخ عبد الغني آخر أفراد الأسرة البارزين، فقد اختفى الحضور العلمي للعائلة تدريجيًا مع الانفتاح الواسع على فكر الحداثة الغربي وظهور الفكر الإصلاحي في القرن التاسع عشر، حيث قطعت نخبة مفكري ما يسمى «اليقظة العربية» الصلات الفكرية مع مفكري الحقبة السابقة، باعتبارها فترة ظلام وتخلف. ولا نكاد نجد للشيخ عبد الغني اليوم حضورًا يذكر في الذاكرة الجمعية للعرب والمسلمين. فالذي كُتب عنه مازال قليلاً، مقارنةً مع إنتاجه الضخم، كما أن معظم أعماله مازالت مدفونة ضمن مخطوطات موزعة في مكتبات مختلفة في أنحاء العالم. وقد بدأت بعض الدراسات الجديدة التي ظهرت مؤخرًا بالتركيز على دوره الفكري المتميّز وبالكشف عن جوانب مهمة من شخصيته، إلا أن هويته الصوفية مازالت خلف الصورة الشائعة، المحدودة الملامح والأحادية اللون،

التي رسمتها له الدراسات التقليدية. وتسعى دراستي هذه، كسابقتها عنه، إلى المثابرة في تقصّي ملامح شخصيته الخفية التي تعكس السياق الاجتماعي والفكري للعصر الذي عاش وكتب ودرّس فيه، فهو، بالرغم من صوفيته، عَلم اجتماعي مهم، ولأفكاره وتعاليمه بلا شك أبعادًا أوسع بكثير من مجالات الصوفية والتصوف.

يُلقي كتاب *وسائل التحقيق ورسائل التوفيق* الضوء على جوانب مهمة من حركة التبادل والتواصل الفكري بين علماء المسلمين، العرب والعثمانيين، المنتشرين في أرجاء الدولة العثمانية، ضمن مجال جغرافي واسع ممتد من المدينة المنورة في الحجاز جنوبًا إلى مدينة سُنبُر على الحدود الهنغارية شمالًا، ومن القاهرة غربًا إلى وان في تركيا شرقًا. ويحتوي الكتاب على اثنتين وسبعين رسالة، أرسلها واستلمها الشيخ عبد الغني بين عامي ١٦٧٥م و١٧٠٣م. أما مراسلي عبد الغني فهم أصدقاء وزملاء، من صوفية، وعلماء دين، وأعيان، ورجال حكم، وذوي الشأن من أصحاب المراتب العالية، بالإضافة إلى أفراد لا يعرفهم، يقطنون جميعهم في مدن وقرى خارج مدينة دمشق. وقد جمع عبد الغني الرسائل وعَنوَنَها بنفسه، وذكر العنوان في القائمة التي أوردها في مذكرات رحلته الكبرى إلى الشام ومصر والحجاز، *الحقيقة والمجاز*. وأورد الشيخ عبد الغني العنوان ضمن كتاباته في فن الحقيقة الإلهية، ولو أن مواضيع الرسائل متنوعة وليست

جميعها في العلوم الإلهية.

لم يذكر ناسخي المخطوطات الثلاثة المستخدمة في التحقيق تاريخ إتمام الشيخ عبد الغني *لوسائل التحقيق*، وإنما ذكروا تاريخ إتمام النسخ فقط. واستناداً إلى نص *الحقيقة والمجاز*، فإن عبد الغني ذكر كتاب *وسائل التحقيق* في الإجازة التي منحها لمفتي صيدا، الشيخ رضوان المصري الدمياطي ابن الحاج يوسف الصبّاغ، في ١٦ صفر ١١٠٥هـ / ١٤ تشرين الثاني ١٦٩٣م. ولو كان الشيخ عبد الغني قد أتم كتاب الوسائل قبل ذلك التاريخ لكان قد احتوى على خمس وخمسين رسالة فقط. ولكن من الواضح أنه تابع العمل به بعد عودته من رحلته الكبرى في بدايات سنة ١١٠٦هـ / أواخر ١٦٩٤م. واستناداً إلى هذه المعلومات والتواريخ، وآخذين بعين الاعتبار تغيّر الراوي في الرسائل الخمسة الأخيرة، من عبد الغني نفسه إلى شخص آخر، فإن تجميع كتاب الوسائل كان كما يبدو عملاً مفتوحاً توقف لسبب ما في حدود سنة ١٧٠٣م، أو بعد ذلك بقليل، وهو تاريخ آخر رسالة مؤرخة (كون الرسالة الأخيرة غير مؤرخة). وكان الشيخ عبد الغني وقتئذٍ قد ناهز الرابعة والستين، وما زال يقطن في بيت والديه في سوق العنبرانيين. وفي تلك الفترة بالتحديد تولى الشيخ عبد الغني مهمة التدريس في المدرسة السليمية في الصالحية (حيث ضريح الشيخ محيي الدين ابن العربي)، وبدأ بعدها بكتابة شرحه الكبير على *تفسير البيضاوي*. وخلال هذه الفترة أيضاً ترك الشيخ عبد الغني بيت والديه قرب الجامع الأموي

الكبير وانتقل إلى الصالحية. وربما كانت كل هذه الانشغالات هي السبب في عدم المثابرة على إضافة المزيد من الرسائل وعدم إكماله لنص الوسائل بنفسه.

ولا يحوي نص *وسائل التحقيق* على جميع الرسائل التي أرسلها أو استلمها الشيخ عبد الغني في حياته، وإنما على مجموعة منتقاة فقط. ولا يشرح لنا الشيخ عبد الغني كيفية الانتقاء، ولكنه يلوّح بإشارة مقتضبة في مقدمته القصيرة لسبب التجميع. ويبدو أن الكتاب كان مخصصًا لتوثيق نمطًا معيناً من المرسلات — «المراسلات الشرعية» — التي جرت مع أقران من خارج دمشق حصراً. وتجدر الإشارة هنا إلى أن للشيخ عبد الغني ديواناً آخر للمراسلات الأدبية التي تتميز عن المراسلات الشرعية، سمّاه «رياض المدائح وحياض المنائح.» وربما كانت الرسائل الشرعية التي أوردها في الوسائل هي تلك التي تسنى له الحفاظ على نسخ منها وقت كتابتها، لأن هناك غيرها من نفس النمط لم تُضف إلى المجموع. ومجاميع مراسلات كهذه ليست غريبةً عن تلك الحقبة، فهناك مجموعات رسائل لبعض العلماء ولعامة الناس المعاصرين لعبد الغني، كرسائل مفتي دمشق حامد أفندي العمادي مثلاً، والتي تضم رسالة لعبد الغني لم يوردها عبد الغني في الوسائل، إلا أن مجموع مراسلات الشيخ عبد الغني هي الوحيدة التي وصلتنا من عصره، وقد جمعها وعَنوَنَها الكاتب بنفسه

من نسخ كان قد احتفظ بها لوعي مسبق، كما يبدو، لأهميتها المعرفية والاجتماعية.

المخطوطات ومنهج التحقيق

استخدمتُ في تحقيق وتقديم نص *وسائل التحقيق ورسائل التوفيق* ثلاث مخطوطات هي:

مخطوط جامعة برنستون (MS 1113, New Series)/ تم نسخها يوم الأربعاء ١١ محرم ١١٦٢هـ / ١ كانون ثاني ١٧٤٩ م.

مخطوط مكتبة الظاهرية (مخ ٦٠٧٨)، تم نسخها يوم الأحد ١ رمضان ١٢٣٥ هـ / ١١ حزيران ١٨٢٠ م.

مخطوط الفاتيكان (MS 1410) ، مكتبة الأسد (مخ ٦١٥)، تم نسخها يوم الثلاثاء ٢٥ ذوالقعدة ١٢٦٩ هـ / ٣٠ آب ١٨٥٣ م.

مخطوط جامعة برنستون هو الأقدم من بين الثلاثة، حيث تم نسخه بعد حوالي ثمانية عشر عاماً فقط على وفاة المؤلف. ويوجد ملاحظة تملك على ورقة العنوان تقول: «الحمد لله، ملكه الفقير عبد الله بن عمر بن مصطفى بن اسمعيل ابن المؤلف، قدس الله سره، آمين، بالشراء الشرعي في ختام سنة ١٢٦٣.» ويبدو أن المخطوط كان من أملاك محدث الشام الشيخ عبد الرحمن الكزبري، الذي كانت تركته معروضة للبيع بعد وفاته.

مخطوط برنستون بحالة جيدة، والنص مكتوب بخط واضح مقروء،

والعناوين بالحمرة، إلا أن هناك نقص لعدة ورقات من رسالة رقم ٣. وبما أن هذا النص هو الأقدم والأوضح، فقد اعتُمد كأساس في التحقيق، وتمت الإشارة في الحواشي للاختلافات الواردة في النصين الآخرين.

نص مخطوط الظاهرية مماثل بشكل عام لمخطوط برنستون، مع بعض الاختلافات النصية الطفيفة، ولكن الخط ليس بجودة ووضوح مخطوط برنستون، كما أن المخطوط ليس بنفس الحالة الجيدة. وهناك نقص لعدد كبير من الأوراق من الرسالة رقم ٤.

نص مخطوط الفاتيكان مماثل بشكل عام أيضاً لمخطوط برنستون، ولكن هناك خلل في الترتيب الزمني لبعض الرسائل. فالرسالة رقم ١٩ ملحقة بالنص بعد التذييل، كما أن رسالة رقم ٦٣ ليست في ترتيبها النصي الصحيح. إلا أنه لا يوجد نقص في نص هذا المخطوط، والخط جيد مقروء.

جُمعت الرسائل في *وسائل التحقيق* بحسب التسلسل الزماني لإرسالها، إلا أن هناك بعض الخلل في الترتيب متكرر في المخطوطات الثلاث. فعلى سبيل المثال، في عام ١٠٨٩هـ أرسل عبد الغني أربع رسائل، هي رقم ٤ و٥ و٦ و ٧. وبحسب التواريخ المذكورة في مطلع هذه الرسائل، فإن رسالة رقم ٤ أرسلت بعد رسالة رقم ٧، إلا أنها وردت قبلها في النص. وللحفاظ على النص كما جمعه المؤلف فلقد حافظت على ترتيب الرسائل كما ورد في مخطوطي برنستون

والظاهرية تماماً دون أي تغيير أو تعديل، مع إضافة عناوين للرسائل مرقمة ومحددة بقوسين مربعين لتعيين بدايات الرسائل بوضوح.

وأشرت في الهوامش إلى أرقام الورقات في كل من مخطوطي برنستون والظاهرية، ولم أشر إلى أوراق مخطوط الفاتيكان تجنباً للتشويش الذي قد يسببه اختلاف ترتيب الرسائل في هذا المخطوط. والأرقام الواردة في الهامش، ك٢أ و٢/أ، مثلاً، تشير إلى الصفحتين اليمينية واليسارية لصورة رقم ٢ في فيلم مخطوط (أ). الخط القائم (|) الوارد في النص العربي يشير إلى نهاية الصفحة اليمينية أو اليسارية في المخطوط المشار إليه على نفس السطر بالهامش، أما الرمزان (⟦ ⟧) فإنهما يشيران إلى بداية ونهاية الجزء الساقط من إحدى المخطوطات كما هو موضح في الحواشي المرافقة.

أشرت في الحواشي إلى الاختلافات النصية الواردة بين المخطوطات الثلاثة، واستخدمت الرموز التالية للتمييز بين المخطوطات:

(أ) يرمز لمخطوط برنستون

(ب) يرمز لمخطوط الظاهرية

(ت) يرمز لمخطوط الفاتيكان

وسائل التحقيق ورسائل التوفيق

تأليف العارف بالله تعالى، والدّال عليه، سيدي وأستاذي، الشيخ عبد الغني رضي الله عنه.[1] ||

١أ – ١ب

[مقدمة]

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي أتحف القلوب برسائل التوفيق، وأدار كؤوس القراطيس بين إخوان الصفا مملوءة من المعاني بصافي الرحيق، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رافع ألوية التحقيق، وقائد الغُرّ المُحجَّلين من خير فريق،[2] وعلى آله وأصحابه وتابعيه وأنصاره وأحزابه السالكين

---

١ ورحمه رحمة واسعة، آمين، في ب. ٢ إشارة إلى الحديث: «أمتي الغُرّ المُحَجّلون.» «الغِرّ،» كما في الحديث: «المؤمن غِرّ كريم،» «أي ليس بذي نكر، فهو ينخدع لانقياده ولينه، وهو ضد الخَبّ... يريد أن المؤمن المحمود من طبعه الغرارة وقلة الفطنة للشر وترك البحث عنه، وليس ذلك منه جهلاً، ولكنه كرم وحسن خلق.» *لسان العرب المحيط*، «غرر.» «المحجلين» من «حَجل يَحجل حجلاً إذا مشى في القيد... ‹أمتي الغُرّ المُحَجّلون›، أي بيض مواضع الوضوء من الأيدي والوجه والأقدام. استعار أثر الوضوء في الوجه واليدين والرجلين للإنسان من البياض الذي يكون في وجه الفرس ويديه ورجليه.» *لسان العرب المحيط*، «حجل.»

في أقوم طريق، أما بعد: فيقول العبد الفقير إلى عفو ربه القدير، عبد الغني بن إسماعيل ابن النابلسي،[٣] الحنفي مذهباً، القادري مشرباً، النقشبندي طريقةً، نوّر الله تعالى بصيرته، وبصرّه بأنواع الشريعة والحقيقة، هذه مراسلات كانت تجري بيني وبين بعض إخواني، الذين أعرفهم والذين لا أعرفهم، من أهل الإنصاف، الغائبين عن بلادنا دمشق الشام في النواحي البعيدة والأطراف. | ٢ب وقد جمعتها مخافة الضياع، وطمعاً في حق الباقين من الإخوان بالانتفاع، وسميتها *وسائل التحقيق ورسائل التوفيق*. ومن الله تعالى أستمد العناية في البداية والنهاية، وهو حسبي ونعم الوكيل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

---

٣ اختلفت كتابة وحذف همزة الوصل في «ابن» في اسم عبد الغني في المخطوطات الثلاث. للمحافظة على صيغة واحدة في كافة الرسائل سيكتب الاسم على الشكل التالي: عبد الغني بن إسماعيل ابن النابلسي.

[٠١ ٢٥ ذو الحجة ١٠٨٥هـ، إلى الشيخ رمضان]

فمن ذلك ما أرسلته إلى عين تاب المحروسة في يوم الجمعة، الخامس والعشرين من ذي الحجة، سنة خمس وثمانين وألف، وصورته، واسمه «ثبوت القدمين في سؤال الملكين»:

بسم الله الرحمن الرحيم. من أقل الإخوان وأحقر أبناء الزمان، عبد الغني بن إسماعيل ابن النابلسي، الحنفي، الدمشقي، لطف الله به وبالمسلمين أجمعين، إلى أخيه في دين الله تعالى، المخصوص بمحبته الأكيدة، القاطن في ولاية عين تاب المحروسة، جمع الله تعالى بيننا وبينه في دار كرامته، وشملنا وإياه بلطائف رضوانه| ورحمته، أما بعد: فإني أحمد الله تعالى إليك على العافية، وأشكره على نِعَمه الوافرة الوافية، وسلام الله تعالى ورحمته وبركاته عليك، وعلى| كل من أحبك وانتمى إليك. وقد صحبتك يا أخي أوقاتاً في مدة إقامتك في ديارنا، وزرتنا وزرناك، وأنا أخشى أن الله تعالى يسألني عن صحبتك في يوم القيامة، وما يجب علي من الحقوق فيها. ومراسلات الإخوان على الطريقة الأدبية كما هو المشهور أرسمْنا منه، إذ هو لا ينفع ولا يجدي شيئاً. وأنا أريد أن أراسلك على طريقة السلف الماضين، في بذل النصيحة والإعانة

٢/ب

٢أ

على الدين، وهذا في الحقيقة شيء أخاطب به نفسي لأني قاصر بيقين، ولكن العذر إليك في قِلّة بضاعتي، والله الموفق إلى حقيقة الحق المُبين.

٣ب ولقد علمت يا أخي أنك مشغول في بلادك بمناصحة الإخوان من| الموحّدين، والحماية عن هذا الدين المتين. فالله تعالى يمدّك في سعيك المشكور، وينفع بك أهل تلك البلاد، ويزيد لهم الأجور. فعليك يا أخي بالامتثال لأوامر الله تعالى ونواهيه في باطنك وظاهرك، واحذر أن تتساهل في شيء من ذلك طمعًا في عفو الله تعالى وكرمه، فإن هذا باب من أبواب المكر. وانصح إخوانك بنيّة خروجك من عهدة أمر الله تعالى لك بذلك، ولا تُبقِ من بذل الجهد شيئًا مخافة مقت الناس أو مراعاة للخواطر الدنيوية، فإنه لا يخفاك أن الكل بيد الله تعالى. ولله درّ القائل:

عَمِّرْ فُؤادَكَ بالتُقى واحذر بأنّك تَلتَهي
واعمَلْ لِوجهٍ واحدٍ يَكفيكَ كُلَّ الأَوجُهِ

وأنت تدري ما ورد في حق كتم العلم النافع من المآثم. ومن عَلِمَ في إخوانه المسلمين عيباً شرعياً وكتمه عليهم، ولم| ينصحهم فيه سرًا أو جهرًا على لسان ٣/ب العموم، كان خائنًا لهم غير ناصح. واعلم أن الله تعالى سوف يسألك عنهم، كما

أنذرك الصادق صلى الله عليه وسلم بقوله: «كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته.»[٤] واحذر أن تطلب منهم في نصيحتك مَحْمَدة عندهم تخطر في قلبك، أو تكون لك عليهم مَنزلة، أو تقصد مدح نفسك عندهم بما تُفهمهم من براءتك من أمورهم التي تنصحهم فيها. وتحقق أن شيئًا من ذلك إذا خطر لك وسوسة من عدوك الشيطان يريد[٥] أن يرديك بما تتساهل فيه. واعلم أن التكلّم على الناس بالنصيحة والتعليم من صفات الأنبياء والمرسلين، فانظر كيف تتأدب في ذلك بآداب من أنت قائم مقامه في أمته، ولهذا ورد أن «العلماء ورثة الأنبياء.»[٦] وقد ورد عن سهل بن عبد الله التُستَرى أنه قال: «من أراد النظر إلى مجالس الأنبياء فلينظر إلى مجالس العلماء، فاعرفوا ذلك لهم.»[٧] | واحذر أن تَكبُر نفسك بسبب ذلك على من يَحضُرك، فإنها مهلكة. واعلم أنه لا فرق بينك وبين الحاضرين لديك، غير أن الله تعالى خلق فيك ما يُظهر منك

٢/أ

٤ب

---

٤ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول* (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٢)، كتاب الخلافة والإمارة، باب في أحكامها: فيما يجب على الإمام والأمير، الراوي عبد الله بن عمر، ٤:٥٠. أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي. ٥ يريد، ساقطة في أ و ب. ٦ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب العلم، باب الحث عليه، الراوي أبو الدرداء، ٨:٤؛ الهيثمي، *موارد الظمآن في زوائد ابن حِبّان* (دمشق: مكتبة الثقافة العربية، ١٩٩٠–١٩٩٣)، كتاب العلم، باب طلب العلم والرحلة فيه، الراوي أبو الدرداء، ١:١٧٦. أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والدارمي، والإمام ابن حنبل في مسنده، وابن حِبّان في صحيحه. ٧ سهل التُستَرى، أبو محمود بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رافع، من أعلام الصوفية، عاش بين ٢١٣–٢٨٣هـ / ٨١٨–٨٩٧ م.

لهم من النصيحة بعد أن خلق فيك إرادةً واختياراً لذلك. فأنت مخلوق كلك لله تعالى: اختيارك وقوتك وعملك. والفضل لله تعالى عليك في خلق ذلك لك، لا الفضل لك على غيرك إلا بجعل الله تعالى، لا باستحقاقك.

ومما يتعين عليك أولاً، أن تكون لجماعتك الحاضرين عندك في هذه الحياة الدنيا، التي يمكن فيها تحصيل كل خير قبل أن يحال بينهم وبين السعي المرضي لله تعالى بالموت، في منزلة منكر ونكير اللذين هما رسولان من الله تعالى لفتنة الميت في القبر.[٨] فإن هذا أمر كائن لا محالة. فعساهم ينتبهون[٩] من سكر الدنيا، ويستيقظون من نوم الغفلة، ويتخلصون بعض التخلص من أسر الدرهم والدينار. فتقول[١٠] لكل واحد منهم كمقالة الملكين المكرّمين، وأنت تعتقد فيهم الخير والصلاح، ولكن من قبيل قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إن نفعت الذكرى. سيذّكّر من يخشى. ويتجنبها الأشقى. الذي يصلى النار الكبرى. ثم لا يموت

٤/ب

---

٨ وردت رواية منكر ونكير وفتنة الميت في القبر في عدد من الأحاديث النبوية بروايات مختلفة، منها ما ورد في كتاب الهيثمي، *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد* (دمشق: دار الفكر، ١٩٩٩)، برواية معاذ بن جبل، وأبي هريرة، وعبد الله بن عباس، ومنها ما ورد في كتاب ابن حجر العسقلاني، *المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية* (الرياض: دار العاصمة، ١٩٩٧)، برواية عبادة بن الصامت، وعطاء بن يسار، وتميم الداري. للمزيد من التفاصيل انظر *تاج الأصول*. ٩ ينبهون، في أو ب. ١٠ فنقول، في أ و ب.

فيها ولا يحيا﴾ [الأعلى، ٩-١٣] يا أيها المؤمن المُوحّد: «من ربّك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟»[١١] وإن لم تسمع ذلك مني، وأنا مِثلك ومن جنسك وأنت في فُسحة من تَعلّم ذلك وفي مهلة من جانبي، وإلا ستسمع ذلك من شديدين غليظين لا يُمهلانك، ولا يَصبران عليك، ولا ساعة، ولا لمحة. فانظر| في أمرك ماذا ترى. ثم قررلهم ذلك يا أخي بلسانك المخصوص المفهوم بينك وبينهم، وبيّن لهم حقيقة الجواب عن الأسئلة الثلاثة، وفهّمهم ذلك حتى يحصل المعنى في روحانيتهم فينتفعون بذلك في عالم القبر. فإن النفوس تنطق في ذلك العالم الحق بما فيها،| لا يمكنها غير ذلك. والحفظ اللساني لا ينفع في ذلك العالم، لأن بالانتقال من عالم الدنيا ينقطع الحكم بالظاهر، ويبقى الحكم بالسرائر. ونحن نقرر الجواب عن الأسئلة الثلاثة على وجه الاختصار، فنقول:

٣أ

٥ب

٣/أ

أما السؤال الأول، فهو قول الملكين: «من ربّك؟» ومرادهما الاختبار عن معرفته المعرفة الصحيحة، وبيانها على طريقة مذهب أهل السنة والجماعة، الذي هو المذهب الحق الموافق لكتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإجماع السلف الصالحين. وهو المطابق أيضاً للبراهين العقلية، وعليه جاء

١١ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب تفسير القرآن وأسباب نزوله، باب سورة إبراهيم، الراوي البراء بن عازب، ٢:٢٠٣. أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

الفتح الإلهي بالإلهام لأصحاب الإلهام. فهو المطابق لحقيقة الأمر من غير
شك ولا ريب، وما عداه زيغ محض، وضلال صرف، وكفر صراح. وذلك
٥/ب أن الرب الذي نعبده معاشر المؤمنين لم يعرفه أحد، ولا| يمكن أن يعرفه أبداً
إلا معرفة المرتبة والمنزلة، لا معرفة الكنه والإدراك للذات. فغاية ما يمكن
أن يَعرف المخلوق ربه، أيّ مخلوق، سواء كان نبيًا، أو ملكًا، أو مؤمنًا من
الخاصة أو العامة، أن يعرف مرتبته ويعرف ما ينبغي أن يكون عليه جلّ وعلا
من الصفات ليس غير. ولكن لما تفاوت العلم بالمرتبة تفصيلاً وإجمالاً، لا قوة
وضعفاً، تفاوت[١٢] العالمون بذلك. فليس عِلم النبي والمَلَك كعلم غيرهما، ولهذا قال
الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم الذي هو أعلم الخلق كلهم بيقين: ﴿وقل رب
زدني علماً﴾ [طه، ١١٤] فلو حصل له صلى الله عليه وسلم العلم بكنه ذات الله
تعالى لما قبل علمه الزيادة أصلاً، ولكن لما كان علمه بالمرتبة الإلهية، وهي بالنسبة
٣/أ إلى الخلق قابلة للزيادة، طُلِب منه أن يَطلب الزيادة| من ذلك.

٦ب ومن المعلوم أن المراتب ثلاثة: الأولى مرتبة الموجود الحق،| والثانية مرتبة
الموجود الخلق، والثالثة مرتبة العدم الصرف. وهذه المراتب الثلاثة متميزة
غاية التميّز، لا يمكن أن يكون في كل مرتبة منها شيء من المرتبة الأخرى أبداً.
فليس في الموجود الحق شيء من الموجود الخلق، ولا في الموجود الخلق شيء من

١٢ تفاوتت، في أ و ب و ت.

الموجود الحق. ولا في الموجود الحق والموجود الخلق شيء من العدم الصرف، ولا في العدم شيء من الموجود الحق والموجود الخلق. فإذا كان الأمر كذلك، كانت معرفة الموجود الخلق بالموجود الحق معرفة من جنس الموجود الخلق، لأنها صفة للموجود الخلق، لا هي من جنس الموجود الحق.[١٣] فيبقى تسميتها «معرفة،» وأنها مطابقة للمعروف، مجرد حكم إلهي، لقوله تعالى: ﴿لا يُكلّف الله نفسًا إلا وسْعَها﴾ [البقرة، ٢٨٦].

ولا شك أن التحسين والتقبيح عند أهل السنة شرعيان لا عقليان، كما هو مُفَصّل في علم الأصول. وليس بين الخالق والمخلوق قدر مشترك يعرف كل ٦/ب واحد منهما الآخر به، ولا مطلق الوجود، لأنه واجب في الخالق، جائز في المخلوق، وشتّان بينهما. فكما أن الله تعالى يعرفنا معرفة قديمة ليست كمعرفتنا بأنفسنا، لأن معرفتنا بأنفسنا مخلوقة مثلنا، ومعرفته تعالى بنا قديمة من قبل أن نخرج من عدمنا، كذلك نحن نعرف الله تعالى معرفة حادثة لائقة بنا ليست كمعرفته بنفسه المعرفة القديمة. فيتلخص[١٤] من هذا أن عندنا منه معرفة حادثة، وعنده منا معرفة قديمة، والمعرفة القديمة أعلى من المعرفة الحادثة. ولهذا

---

١٣ في هذه الفقرة ورد «الوجود الحق والوجود الخلق» في ت، عوضًا عن «الموجود الحق والموجود الخلق» كما في أ و ب. ١٤ فيتخلص، في أ و ت.

لا يخفى عليه شيء منا، وتخفى علينا أشياء منه ومنا. وذلك لأن الحادث لا يشبه القديم ولا بوجه من الوجوه، لأنهما حقيقتان متباينتان كل التباين، لا يجتمعان في جنس ولا فصل. فإذا تقرر هذا، فنبّه يا أخي إخوانك| ⟦[15]من المؤمنين أن جميع ما يخطر على خواطرهم، من حين أدركوا الدنيا إلى يومنا[16] هذا، إنما هو أشياء مخلوقة فقط، وما خطر الخالق على| بالهم أبداً، ولا يمكن أن يخطر لهم لِما قدمناه. وقد نُقل عن أبي اسحق الإسفرائيني[17] رحمه الله تعالى، وكان من أئمة أهل السنة والجماعة، أنه كان يقول: «جمع أهل الحق جميع عقائدهم في الله تعالى في كلمتين، كل ما خطر في بالك أو توهمه عقلك، فالله تعالى بخلاف ذلك. وإن الله تعالى ذات ليست كالذوات ولا معطّلة عن الصفات.»

٧ب

٤أ

والحاصل أن جميع ما يعلمه المخلوق، مخلوق. غير أن الذي يعلمه المخلوق منقسم إلى قسمين: قسم هو مرتبة الخالق ومرتبة صفاته بحسب ما هو عليه المخلوق، وقسم هو مرتبة المخلوق ومرتبة صفاته أيضاً بحسب ما يكون المخلوق.[18] والقسم الأول، الذي هو مرتبة الخالق ومرتبة صفاته بحسب ما هو المخلوق، يُفترض على كل مُكلّف معرفته. وبيان ذلك بحسب ما يمكننا، على

---

١٥ النص المحدد بين الإشارتين (⟦ ⟧) ساقط في ب. ١٦ يوم، في أ. ١٧ أبو اسحق إبراهيم بن محمد الإسفراييني، من إسفرايين، عالم دين واسع الشهرة لمساهماته في مجال الفقه الشافعي وفي تطوير وتفصيل المذهب الأشعري. دَرَس في بغداد ودرّس في أصفهان ونيسابور حيث توفي في عام ٤١٧هـ / ١٠٢٧م. ١٨ ما يمكن المخلوق، في ت.

مقتضى ما تعبدنا ربنا بذلك، أن نعتقد جازمين بلا شك ولا ريب أن الله تعالى له ذات، وله صفات، وله أسماء، وله أفعال، وله أحكام. وأن جميع هذه الحضرات الخمسة لله تعالى قديمة أزلية، وجميع ما عند المخلوقات على اختلاف أنواعهم منها غير مطابق لها إلا بمجرد الحكم الإلهي الحاكم بالمطابقة في ذلك. فهي عند كل مخلوق غيب مطلق لا يصير شهادة أبدًا. ولا ينافي هذا رؤية الله تعالى في الآخرة. فإن ذلك عالم آخر غير عالمنا هذا، عالم التكليف والالتباس، ولنا فيه نشأة أخرى غير نشأتنا في هذا العالم، فلا نتكلم عليه الآن، غير أنا نؤمن به فقط. والله مطّلع على حقائق الأحول.

وقد صدرت عن حضرات الله تعالى الخمسة القديمة هذه المنفعلات، التي هي جملة العالم، خرجت من العدم وصارت أشياء بعد أن لم تكن شيئًا مذكورًا. وليس لإخراجها من العدم كيفية بالنسبة إليه تعالى، لأن الكيفيات كلها من جملة العالم. فلو كان لإخراجها من العدم كيفية بالنسبة إليه تعالى، لكان لإخراج تلك الكيفية من العدم كيفية أخرى، ويلزم التسلسل، وهو باطل. وكذلك لم تخرج جملة العالم من العدم في زمان بالنسبة إلى الله تعالى. | لأن الزمان إما مدة الحركة، أو نفس الحركة، أو متجدد يقدر به متجدد آخر، على اختلاف الأقوال. فالزمان من جملة العالم، وحين أوجد الله تعالى الزمان لم يكن إيجاده ذلك في زمان، وإلا تسلسل أيضًا. وكذلك لم يوجد ٤/أ

الله تعالى جملة العالم كله في مكان ولا في حيز. لأن المكان ما استقر عليه الشيء، والحيز ما ملأه الشيء. وهو إما الفراغ المتوهم على قول، أو السطح الباطن من الحاوي المماس للسطح الظاهري من المحوي على قول آخر. فالمكان والحيز من جملة العالم، فلو أن العالم جميعه في مكان أو حيز، ‏|‏ لكان المكان في ٧/ب مكان، والحيز في حيز، ويلزم التسلسل، وهو محال. وإذا كان هذا في جملة العالم وهو حادث، فكيف الله تعالى القديم. فهو بالأولى أن لا يكون له مكان ولا حيز، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

واعلم أن الحضرات الخمسة التي لله تعالى المذكورة — وهي[١٩] حضرة ذاته، وحضرة صفاته، وحضرة أسمائه، وحضره أفعاله، وحضرة أحكامه — كلها ذات واحدة، موصوفة بصفات، مسماة بأسماء، صادر عنها أفعال، ولها أحكام. وليس في ذات الله تعالى تركيب، ولا تعدد حضراتها يوجب انتفاء وحدتها، أو يوهم كثرتها، جلّ الله عن ذلك وتعالى. فأما حضرة ذاته تعالى فقد تقدم الكلام عليها، وأما حضرة صفاته تعالى فهي كثيرة جداً لا تدخل تحت حصر ولا نهاية. وقد ورد بعضها مصرحاً به في الكتاب والسنة، وذكر منها ‏|‏ العلماء رحمهم الله تعالى ٨ب جُملة في مصنفاتهم. وذكر السنوسي رحمه الله تعالى منها عشرين صفة.[٢٠] وقد

١٩ وهو، في أ.

جَمَعتُ منها ما يزيد على الأربعمائة صفة في رسالة مستقلة، منها المتشابه والمحكم. وأوضحت في شرحي على «المقدمة السنوسية» عن العشرين صفة التي ذكرها السنوسي رحمه الله تعالى، وشرحتها شرحاً شافياً.[21] وليس هذا موضع بيان ذلك لأنه شيء يطول ذكره، ومرادنا الاختصار لكم في هذه العجالة.

وصفات الله تعالى كلها قديمة أزلية، لا هي عين ذاته ولا غيرها. وأما حضرة أسمائه تعالى فهي التوقيفية،| على حسب ما ذُكر، والواردة في الكتاب والسنة، ولا تحصى أيضاً، ولا تدخل تحت نهاية. وقد صنف فيها العلماء رحمهم الله تعالى المصنفات العديدة مما يطول استقصاؤه. وكلها قديمة أزلية أيضاً، لا هي عين الصفات| ولا غيرها. وأما حضرة أفعاله تعالى فهي كثيرة أيضاً، لا تُعد ولا تُحصى. وهي أنواع التكوين للعالم، كالتخليق، والترزيق، والإعطاء، والمنع، والإحياء، والإماتة، والإعزاز، والإذلال، إلى غير ذلك مما يطول ذكره. وكلها عندنا قديمة أزلية أيضاً، لا هي عين

٥أ

٨/ب

---

٢٠ أبو عبد الله محمد السنوسي، من تلمسان في المغرب العربي، عالم دين ومتصوف مشهور عاش بين عامي ٨٣٨–٨٩٥هـ / ١٤٣٥–١٤٩٠م. له عدد من التلامذة المشهورين الذين ساهموا بنشر فكره في شمال إفريقيا، منهم الزواوي، وابن العباس الصغير، وابن أبي مدين. أهم مؤلفاته «العقائد» و «المقدمة.» ٢١ عبد الغني النابلسي، «الأنوار الإلهية شرح المقدمة السنوسية،» ذكره عبد الغني في *الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز* (دمشق: دار المعرفة، ١٩٩٨)، ١:٢٧١. انظر قائمة المخطوطات.

الأسماء ولا غيرها. وأما حضرة أحكامه تعالى فهي كثيرة لا تتناهى أيضًا. ومنها جميع أنواع الشرائع التي شرّعها الله تعالى لعباده، كالتحليل، والتحريم، والتصحيح، والإفساد، ونحو ذلك. وهي على أقسام ثلاثة: أحكام شرعية كما ذكرنا، وأحكام حسية، كالحكم على الإنسان بأنه جسم متصور في صورة مخصوصة، والحكم على الحجر كذلك، وأحكام عقلية، كأنواع الحكم العقلي الثلاثة: الوجوب، والاستحالة، والجواز. وهذه الأحكام كلها بأنواعها الثلاثة أحكام الله تعالى، والله تعالى حاكم بها من الأزل، غير أنها ظهرت عندنا وحكمنا بها على حسب ما يليق بنا| مما كلفنا به. وكلها قديمة أزلية، لا هي عين الأفعال الإلهية ولا غيرها. والنسخ والتغيير الواقع فيها على حسب أنواعها الثلاثة مجرد انتهاء حكم وابتداء حكم آخر، من حيث الظهور، لا من حيث ذاتها، لأنها قديمة، وكل متغير حادث. ٩ب

واعلم يا أخي وعلّم إخوانك من المؤمنين أن هذا الذي قررناه في حق الله تعالى هو معرفة الله تعالى المعرفة الصحيحة التي تنفي الجهالة. فإذا فهمها العبد وتحقق بمعانيها، لا حفظ عباراتها فقط من غير فهم وتحقق، فإن الانتفاع بها موقوف على الفهم، لا الحفظ، فإنه إذا قال له منكر ونكير بعد موته وهو في قبره: «من ربّك؟» يمكنه في ذلك العالم أن يقول: «الله ربي،» لوصول معرفة الله تعالى إلى روحه بالفهم والتحقق. وأما إذا لم يفهم العبد| ما قلناه وشرحناه، أو أعرض عنه ولم يلتفت ٥/أ

إليه، أو يجده وأنكره، فإذا قال له الملكان: «من ربّك؟» لا يمكنه أن يقول ما ٩/ب
ليس عنده. وإنما يقول: «لا أدري.» سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت مثله،
على حسب ما ورد به الحديث الشريف. لأن معرفة الله تعالى بعيدة عنه. وإنما
هو عابد أوهامه وتخيلاته التي الله تعالى بريئ منها، وهي سوء الظن بالله تعالى.
فعند ذلك يشتعل عليه قبره ناراً، ويتخلد في العذاب مع الكافرين، نعوذ بالله من
ذلك. فتنبه يا أخي ونبه إخوانك المؤمنين لمثل هذه الورطة، وليكونوا مستعدين
بحسن الاعتقاد لهذه العقبة الصعبة. فان كل من كان يعتقد في ربه شيئاً مما يخطر
في خاطره فهو مشبّه. وكل من كان يعتقد أن الله تعالى في مكان، أو هو في جهة
من الجهات، أو في جميع الجهات، فهو مجسّم. وكل من كان يعتقد أن الله تعالى في
شيء من العالم فهو حلولي. وكل من كان يعتقد أن الله تعالى متوِلد من شيء أو ١٠ب
متوّلَد منه شيء فهو اتّحادي.

ومتى خطر شيء من ذلك في قلب المؤمن ولم يقبله لقوة معرفته بربه، معرفة
دليل عقلي أو تقليد مطابق جازم، لا يضره ذلك الوسواس. بل هو في جهاد
معه، فله أجر المجاهد. ومتى قبل شيئاً من ذلك ورضي به، نسب إليه، فكفر
والعياذ بالله تعالى. ومن أهمل نفسه ولم يفتشها في هذه الحياة الدنيا، التي
يمكن فيها اكتساب كل خير والتخلص من كل شر، فيحتمل أنه يعتقد في الله تعالى
ما يعتقده أهل الضلال والزيغ وهو لا يشعر. كمن يعتقد أن الله في السماء، أو

أنه جسم، أو أن له مكانًا، أو أنه في كل مكان، ونحو ذلك مما فشا الآن بين العامة من الرجال والنساء في غالب البلاد. فترى الإنسان تلبس عليه نفسه ما ليس عندها، فيحسن ظنه بها، ويخاصم عنها كل من نصحه في عيوبها. | فإن النفس بيت الشر. وذكر الإمام القشيري رحمه الله تعالى في رسالته، أن جميع| المشايخ أجمعوا على أن النفس لا تصدق والقلب لا يكذب.[٢٢] ويكون من هذا حالهُ منافقًا، يُظهر الإيمان، فيقول آمنت بالله إلى آخره، ويتكلم بالشهادتين، ومع ذلك يعتقد في الله تعالى المكان، أو الجهة، أو الجسمية. وهو مُحسن ظنه بنفسه، فيضمر الكفر ويُظهر الإيمان، كما قال تعالى: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ [النساء، ١٤٥] وهذا مقدار ما يجب عليّ من النصيحة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: ﴿وقل الحقّ من ربّكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ [الكهف، ٢٩].

١٠/ب
٦أ

وأما السؤال الثاني فهو قول الملكين: «ومن نبيّك؟» ومرادهما الاستخبار منه عن إيمانه بمحمد صلى الله عليه وسلم، وتصديقه بمقام النبوة، وهذا يحتاج إلى البيان. فنقول فيه وبالله المستعان، اعلم يا أخي أن| الإيمان بالنبوة إيمان

١١ب

٢٢ عبد الكريم القشيري، *الرسالة القشيرية في علم التصوف* (بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤). الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، عاش بين ٣٧٦-٤٦٥هـ / ٩٨٦-١٠٧٢م في نيسابور.

بالغيب عند العقول الصحيحة، ولو في حق الصحابة رضي الله عنهم، الذين رأوا النبي صلى الله عليه وسلم، لأنهم ما رأوا إلا ظاهره وآمنوا بباطنه إيمانًا بالغيب. وليسوا بأنبياء حتى يطّلِعوا على هذا الغيب، فلا فرق بيننا وبينهم إلا من حيث رؤيتهم ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم، ولهم الفضل والشرف علينا بذلك، رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وبيان كون النبوة غيباً عند العقول الصحيحة، أن أصول أطوار الإنسانية ثلاثة، وفروعها لا تتناهى. قال تعالى: ﴿وقد خلقكم أطوارا﴾ [نوح، ١٤] فالطور الأول، طور الإيمان بالله تعالى. وأما الإيمان بغيره مما يجب الإيمان به فهو تابع للإيمان بالله تعالى. وهذا الطور، الذي هو طور الإيمان بالله تعالى، هو التنزيهات العقلية والتسبيحات لله تعالى عن جميع الأمور الوهمية، على حسب| ما قدمناه، وهو ١١/ب مقام عامة المؤمنين، ولا ينجو أحد من الله تعالى إلا به، ولا يدخل أحد الجنة إلا به، وهو أول مرتبة من مراتب الأولياء. والطور الثاني، طور الولاية، فوق طور الإيمان، ولا يصل أحد إليه إلا بعد دخوله في طور الإيمان. وهذا الطور، الذي هو طور الولاية، هو انقلاب حجب الكائنات، التي تحجب عن الله| تعالى، مظاهر له تعالى ولصفاته، من غير أن تتغير عما هي ٦/أ عليه من الإمكان والحدوث، بحيث تكون البصيرة غافلة عن ذلك، فتتيقظ له وتعلم أنها كانت تدركه من قبل على خلاف ما هو عليه، فيقوى يقينها في الله

تعالى، وفي صفاته، وأسمائه، وأفعاله، وأحكامه، بسبب ذلك. وهذا هو المعبر عنه بالكشف عند السادة الصوفية، نفعنا الله تعالى ببركاتهم.

وهو طور المعرفة بالله تعالى معرفة الكشف والعيان، أرقى من معرفته تعالى معرفة الدليل والبرهان، التي هي أعلى من معرفة التقليد والإذعان. وفي هذا ١٢ب الطور، الذي هو طور الولاية، تُفهم الخطابات القرآنية والأحاديث النبوية على حسب ما هي عليه من غير زيغ ولا ضلال. وهو مقام خاصة المؤمنين، ينالون به المنازل العالية في الجنان. وهو أول مرتبة من مراتب الأنبياء.

والطور الثالث، طور النبوة، فوق طور الولاية. ولا يصير النبي نبياً ما لم يصر وليّاً، كما أن الولي لا يصير وليّاً ما لم يصر مؤمناً. فهي أطوار ثلاثة بعضها فوق بعض: طور الإيمان، ثم أرقى منه طور الولاية، ثم أرقى منه طور النبوة. فالوليّ مؤمن وليّ وليس بنبيّ، والنبي مؤمن وليّ نبيّ.

وكل طور من هذه الأطوار الثلاثة مشتمل على أطوار لا تحصى بعضها فوق بعض، ولكن لا تخرج عن ذلك الطور الذي هو أصلها، وهي منسوبة إليه. فالإيمان أطوار بعضها أرقى من بعض، والولاية أطوار بعضها أرقى ١٢/ب من بعض، والنبوة أطوار بعضها أرقى من بعض. والمؤمن لا يعرف الوليّ لأنه فوقه، وإنما يحسن ظنّه به ويؤمن به إيماناً بالغيب. وكذلك الوليّ لا يعرف النبيّ، وإنما يحسن ظنّه به ويؤمن به إيماناً بالغيب، لأنه أرقى منه. والأدنى

لا يعرف الأعلى. فالمؤمن عاجز عمّا يدركه الوليّ، كما أن الوليّ عاجز عما يدركه النبيّ. ونظير ذلك عجز الطفل الصغير عما يدركه المميّز، وعجز المميّز عما يدركه البالغ الكبير. وكما أن الصغير إلى حد التمييز متفاوت في الإدراك، فكذلك الإيمان متفاوت في الدرجات. وكما أن التمييز متفاوت في الإدراك إلى حد البلوغ، فمثله الولاية متفاوتة في المقامات. وكما أن البلوغ متفاوت في| الإدراك إلى سن الكهولة والشيخوخة وما فوق ذلك، فنظيره النبوة متفاوتة في المراتب. فكيف الأطفال يعرفون المميزين؟ وكيف المميزون| يعرفون البالغين؟ وكيف المؤمنون يعرفون الأولياء، وقد رفع الله تعالى مقام الأولياء عليهم بأن أعطاهم ما أعطى المؤمنين وزادهم مقامات القرب في حضرات المشاهدة؟ وكيف الأولياء يعرفون الأنبياء، وقد رفع الله تعالى الأنبياء عليهم بأن أعطاهم ما أعطى الأولياء وزادهم مقامات الاختصاص في حضرات غيب الغيب مما لا تعرفه الأولياء فضلاً عن المؤمنين؟ فلا يبقى عند المؤمنين والأولياء من معارف الأنبياء إلا الإيمان بالغيب، وهو المقصود في التكليف بالإيمان بالنبوة.

٧أ

١٣ب

والحاصل من لم يكن مؤمناً بنبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كإيمان الأكمه الذي ولد وهو أعمى بالألوان، فهو بعد لم يكمل إيمانه بالنبوة. فإن الأكمه الذي ولد أعمى ناقص الحاسة[٢٣] التي يدرك بها البصير الألوان، وهي البصر،

١٣/ب ولا يمكن إدراك الألوان| بحاسة أخرى غير البصر من باقي الحواس. وكذلك غير النبي من المؤمن والولي، ليس عندهما القوة التي يدرك بها النبي طور النبوة، لأنهما ولدا بغير استعداد لتلك القوة. وليست النبوة مكتسبة حتى يمكن اكتسابها تلك القوة بالمجاهدة. والنبي وِلِد مستعداً لتلك القوة، كالجنين يخرج من بطن أمه مستعداً للقوة العاقلة للأشياء. فإذا وصل إلى سن التمييز ظهرت فيه تلك القوة العاقلة فأدرك بها الأشياء. وأما الحيوان فلا يولد مستعداً لتلك القوة، فلا تظهر فيه ولا يعقل الأشياء. والأكمه الذي ولد أعمى متى أراد أن يدرك الألوان بحاسة السمع، أو اللمس، أو الشم، أو الذوق، لا يمكنه ذلك. فربما توهم الألوان شيئاً مما يدرك بهذه الحواس الأربع فأخطأ، فكان إيمانه ١٤ب في الحقيقة بما توهَمَه، لا بالألوان. وكذلك غير النبي، إذا أراد أن يدرك النبوة| ٧/أ بالحس أو بالعقل، ربما توهمها بعقله شيئاً من جنس ما يعقل فيخطئ،| فيكون إيمانه بالذي توهَمَه، لا بحقيقة النبوة. فيموت على ذلك، وهو لم يؤمن بالنبوة بعد، ويلقى الله تعالى غير مؤمن بها، فيكفر والعياذ بالله تعالى، ولا يشعر.

وإنما سبيل الأكمه في إيمانه بالألوان، أن يؤمن بأن هناك أشياء يقال لها الألوان، ليست من جنس جميع ما يدركه بحواسه الأربع وعقله. وهو عاجز عن إدراكها عجزاً ضرورياً لعدم وجود تلك الحاسة التي تدرك بها فيه.

٢٣ ناقص الحاسة وهي البصر، في أ و ب.

ويخطّئ جميع مدركاته بيقين من غير شبهة. ويؤمن بأن الله تعالى خلق غيره من البصراء، فيهم تلك القوة الباصرة التي يدركون بها الألوان دونه. فيكون إيمانه بذلك بالغيب، والإيمان بالنبوة في محمد صلى الله عليه وسلم من هذا القبيل. وكذلك الإيمان بجميع الأنبياء، من آدم إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. ولكن لما كان| الإيمان بهم مندرجًا في الإيمان بمحمد نبينا صلى الله عليه وسلم، لأنه جاء مصدقًا لهم كلهم، اقتصر الملكان على السؤال عنه صلى الله عليه وسلم بقولهما: «ومن نبيك؟» واعلم يا أخي وعلّم إخوانك من المؤمنين أن من لم يكن إيمانه بالنبوة والنبي كما ذكرنا لا يمكنه أن يجيب الملكين عن سؤالهما له[24] عن نبيه. لأنه كان يؤمن بالنبوة على خلاف ما هي عليه، وكان يؤمن بالأنبياء عليهم السلام على حد ما هو عليه، وهو ليس بنبي. فكان يؤمن بالأنبياء أنهم ليسوا بأنبياء، وهو لا يشعر. كما قال تعالى: ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا﴾ [الكهف، ١٠٤] وذلك لتركهم الإيمان بالغيب، والله ولي التوفيق. ١٤/ب

وأما السؤال الثالث فهو قول الملكين: «وما دينك؟» ومرادهما امتحانك بسؤالك عما كنت عليه من الدين في الحياة الدنيا. فاعلم يا أخي أن «الدين» هو ما «يدين» له الإنسان، أي «يذعن،» و|«ينقاد،» و«يطيع،» و«يخضع،» من الإخبارات اليقينية والإنشاءات الشرعية. قال تعالى: ﴿إن الدين عند ١٥ب

---

٢٤ له، ساقطة في أ.

٨أ الله الإسلام﴾[آل عمران، ١٩]| وقال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[آل عمران، ٨٥] و«الإسلام» هو «الاستسلام» و«الانقياد،» فهو و«الدين» بمعنى واحد. والذي يستسلم وينقاد إليه المسلم، ويدين ويذعن له صاحب الدين، منقسم إلى قسمين.

إخبارات يقينية نزلت بها الكتب وأرسلت بها الرسل، وهي الاعتقادات الصحيحة المطابقة لما هو الحق في حقيقة الأمر. كخبر وجود الله تعالى، ووجود صفاته، وأسمائه، وأفعاله، وأحكامه، على حسب ما ذكرناه مفصلاً فيما سبق. وكخبر وجود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والملائكة، ووجود عصمتهم

١٥/ب من صغائر الذنوب وكبائرها، ووجود أمانتهم وتبليغهم جميع ما أمرهم الله تعالى| بتبليغه للخلق. وخبر معجزات الأنبياء عليهم السلام كلها، وكرامات الأولياء عليهم الرحمة من الله تعالى والرضوان. وخبر الإسراء والمعراج وجميع ما وقع فيه من خوارق العادات. وكذلك الخبر الوارد على ألسنة المرسلين عليهم السلام بمقتضى ما اشتمل عليه كتاب الله تعالى من أحوال الموتى في القبور، ويوم البعث والنشور، وأشراط الساعة، وما سيكون يوم القيامة من الصراط، والميزان، والجنة، والنار، وتخليد أهلهما في النعيم أو[٢٥] العذاب الأليم. فإن جميع ذلك حق يستسلم له المسلم ويدين له صاحب الدين، على حسب ما هو عليه،

---

٢٥ و، في أ وب وت.

لا على حسب ما يتوهمه من لم يصر إليه، ممن هو رهين هذه الحياة الدنيا.

واعلم يا أخي وعلّم إخوانك من المؤمنين أن اليوم الآخر وجميع ما فيه، من الموت إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، مما وردت به| الأخبار الصحيحة، حق لا شبهة فيه، يُفترض الإيمان به من غير تصور ولا تخيل لشيء منه. لأن ذلك خارج عن معقولنا الدنيوي ومحسوسنا. ونحن نعلم قطعاً أنّا في عالم الدنيا، والدنيا غير الآخرة. وقد ورد في السمع عن الصادق صلى الله عليه وسلم| أمورٌ توصف بها الآخرة على خلاف أمور الدنيا، كخبر الصراط ومرور الناس عليه، وخبر الميزان وتجسيم الأعمال ووزنها به، ووصف أحوال أهل الجنة والنار، لا سيما وقد قال تعالى وأن علينا النشأة الأخرى،[26] فسماها «نشأة،» أي «خلقة» أخرى، غير هذه النشأة الدنيوية. والمنام أكبر عِبرة في ذلك. فإن النائم يرى في منامه أنه مشى، وتكلّم، وأكل، وشرب، ويرى قصوراً، وبساتين، وناساً، ونحو ذلك، ثم إذا استيقظ رأى عالماً غير العالم الذي كان فيه وهو نائم. ويعلم أن جميع ما كان يتوهمه وهو نائم من| أحوال عالم اليقظة أمور صادرة على خلاف ذلك. كما قال صلى الله عليه وسلم: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا.»[27] وكذلك المؤمن في الدنيا، إذا انتقل إلى الآخرة وجد ما لا عين

١٦ب

٨/أ

١٦/ب

٢٦ إشارة إلى الآية: ﴿وأن عليه النشأة الأخرى﴾ [النجم، ٤٧].

رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كما ورد في لفظ الحديث.

والحاصل أنه لا بد من الإيمان بالغيب في أحوال الآخرة. وإلا ربما استبعد العبد شيئًا من ذلك حيث لم يدركه بعقله، فيتحول يقينه إلى الظن، وربما وصل به الأمر إلى جحود شيء من ذلك، فيكفر والعياذ بالله تعالى. فإن سبب كفر الفلاسفة، والدهريين، وسائر فرق الضلال والزيغ، تحكّمهم بالتفهم العقلي على ما لا يمكن أن يدرك بالعقل. كإنسان بيده الميزان الصغير الذي يوزن به الذهب، فالتزم أنه لا يصدق بثقل شيء إلا إذا وزنه به. فإذا عُرضت عليه صخرة من الصخور أو جبل من الجبال، وأخبر بثقل ذلك، حاول| أن يدخل ذلك في ميزانه، فلم يمكنه لعظم ما أخبر به وحقارة ميزانه. فعند ذلك تتميز السعادة من الشقاوة. فأما السعيد فينسب العجز عن ذلك لميزانه، ويؤمن بما أخبر به إيمانًا بالغيب، فيدخل تحت قوله تعالى: ﴿هدى للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب﴾[البقرة، ٢–٣] وأما الشقي فينسب الذي أخبره بذلك إلى الكذب، ويسئ ظنه به، وينتصر لميزانه، ويوثقه، ويعتمد عليه. فيلتحق ﴿بالأخسرين أعمالاً.| الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا﴾[الكهف، ١٠٣–١٠٤] والله يهدي

١٧ب

٩أ

---

٢٧ لم يرد في موسوعة *تاج الأصول الجامع لحديث الرسول* المعتمدة هنا في توثيق الأحاديث، ولا في كتاب السيوطي، *الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦).

من يشاء إلى صراط مستقيم.

والقسم الثاني مما يستسلم إليه المسلم ويدين له صاحب الدين، إنشاءات شرعية نزلت بها الكتب وأرسلت بها الرسل أيضًا. وهي الشرائع المختلفة التي تعبد الله تعالى بها جميع الأمم، لكل أمة شريعة. وقد نسخ بعضها بعضاً حتى ظهرت شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فنسخت جميع الشرائع التي قبلها. وهي ١٧/ب باقية إن شاء الله تعالى إلى آخر الزمان. فـ«الإسلام،» الانقياد لها، و«الدين،» الإذعان لها، إن فُهمت معاني أحكامها وإن لم تُفهم. ومتى نازع العقل شيئًا منها، أو اعترض الفهم على حكم من أحكامها، كان ذلك ذريعة إلى الخسران، والتفاتًا إلى وسوسة الشيطان. بل الذي يتعين على كل مؤمن أن يكون بين يدي الشارع الذي يأمره وينهاه بمنزلة الميت بين يدي الغاسل، يقلبه كيف يشاء. فإن صاحب هذا الشرع المحمدي أعلم منا بما ينفعنا وما يضرنا، وأشفق منا على أنفسنا. ونحن له مخلوقون، لا لنا.

ونسأل الله تعالى أن يختم أعمالنا بالحسنى، وأن يلطف بنا فيما قدره علينا، فقد استودعناه إيماننا، وإسلامنا، وصالح أعمالنا، وهو الذي لا تضيع عنده الودائع. وقد استعذنا به من شرور عدونا الرجيم، وشرور نفوسنا، وشرور القواطع التي تقطعنا عن التعلق بجنابه الكريم. ونسأله تعالى أن يغفر لآبائنا، ١٨/ب وأمهاتنا، وذرياتنا، وأصحابنا، وأحبابنا، ومشايخنا، وجميع إخواننا من المسلمين

أجمعين. وأن تنتفع بما كتبناه في هذه الصحيفة، وكل صحيفة، أمة محمد صلى الله عليه وسلم. ولا يجعل شيئًا من ذلك وبالًا علينا، ولا حجة تناقض ما لدينا. وأن يحفظنا من الخطأ والزلل في كل قول وعمل. وأن يغفر لنا ذنوبنا، ويستر عيوبنا، ويشرح صدورنا، ويوفقنا لما يحب ويرضى، إلى أن نلقاه وهو راض عنّا. وصلى| الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه هداة الدين، وجميع التابعين بالخير في كل وقت وحين. ٩/أ

أما بعد ما تقدم من الكلام، فاعذر يا أخي إن وجدت في هذه الصحيفة خللًا، أو شهدت فيها بعين البصيرة زللًا. فإن الهدايا على قدر مهديها، والآنية تنضح بما فيها. ولا يخفى أن الباع| قصير، والمتاع يسير. والتجارة من العلوم مزجاة، والبضاعة من الفنون قليلة الجاه. وأسألك يا أخي أن لا تقطع مراسلتك معنا ببذل النصائح، فإن إخوان الصدق من أحسن المنائح. وما كنت أتهجم بهذه المراسلة عليكم لولا صريح الإذن بذلك من بعض الإخوان الواصلين من جنابكم. وأسألك يا أخي أن لا تنساني من صالح دعواتك، فإني مقصر حقير، والله على كل شيء قدير. ١٨/ب

[٠٢. ١٠٨٧هـ، إلى صديق غير مسمى]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى بلدة القسطنطينية المحمية في سنة سبع وثمانين وألف، وصورته:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، أما بعد: حمداً لله سبحانه حمداً كثيراً على كل حال، والشكر له شكراً وافياً على مدى الأيام والليال. فهذه بطاقة محبة وافية، ومودة صافية، من العبد الداعي، عبد الغني ابن النابلسي الحنفي، عامله الله بلطفه الخفي، إلى| حضرة السيد الجميل الأوصاف، الكامل الألطاف، بلّغه الله تعالى في الدارين مُراده، وجعله وإيانا من الذين لهم الحسنى وزيادة. والمنهي إليكم، بعد إهداء جزيل الثناء عليكم، أننا سررنا بمكتوبكم الكريم، ومرسومكم المشمول بالإجلال والتكريم، الصادر عن صفاء الوداد، الوارد عن المحبة الصادقة الساكنة في الفؤاد. فالله تعالى يثيبكم على ذلك الثواب الجزيل، ويعاملكم بالصنع الجميل، ويمدكم بإمداده في جميع الأمور، ويعينكم للقيام بمصالح الجمهور، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير. وحيث راعيتم معنا حقوق الأخوة الإيمانية، وحركتم ابتداء بيد لطفكم سلسلة| القرابة الإسلامية، فالواجب علينا حينئذ أن نهدي إليكم أحسن ما عندنا من فيض الله تعالى العميم، وفتحه المؤيد| بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ.

١٩ب
١٠أ
١٩/ب

قال تعالى: ﴿يا أيها الذي آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [التوبة، ١١٩]

وبيان هذا الكلام القديم، بلسان الحادث العديم، على حسب الاستعداد، والقابلية في الإمداد، أن المكلفين بالأحكام الإلهية في هذه النشأة الدنيوية منقسمون إلى قسمين: مؤمنين وكافرين. والمؤمنون على مراتب في إيمانهم، والكافرون على مراتب في كفرهم. ولذلك جعل الله تعالى جزاء الفريقين متفاوتاً، فالجنة درجات، والنار دركات. والخطاب في هذه الآية للمؤمنين فقط، لأن الكافرين مخاطبون بالإيمان قبل العمل، فإذا آمنوا دخلوا في خطاب المؤمنين. والمؤمنون المخاطبون في هذه الآية ثلاثة أقسام: عامة، وخاصة، وخاصة الخاصة. وكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة ينقسم إلى أقسام يطول ذكرها، فليطوى نشرها. أما العامة| من المؤمنين فإيمانهم هو الإيمان الإجمالي، ٢٠ب وهو أول مفروض على العبد المكلّف، وهو الإيمان بذات الله تعالى، وصفاته، وأسمائه، وأفعاله، وأحكامه، على حسب ما هو عليه تعالى في حضراته المذكورة، من غير أن يتصرف العقل في فهم شيء من ذلك، والإيمان بالأنبياء والمرسلين عليهم السلام وبجميع ما جاؤوا به إلى الخلق من عند الله تعالى، على حسب الأمر الذي يعلمه الله تعالى ويعلمه أنبياؤه ورسله عليهم السلام. وأما الخاصة من المؤمنين، فإيمانهم هو الإيمان التفصيلي بعد الإيمان الإجمالي. والإيمان التفصيلي هو تفصيل ما آمن به أولاً بطريق الإجمال حتى تثبت في بصيرته

كل مسئلة من ذلك بدليل عقلي وبرهان نقلي، بحيث يطمئن القلب، وتسكن النفس، ويذهب التقليد، ويأتي الاستقلال في الإقرار بالتوحيد. وأما خاصة الخاصة،| فإيمانهم هو الإيمان الكامل، وصاحبه هو العالم العامل. وبيانه أنه ٢٠/ب ملاحظة| ظهور الله تعالى في أفعاله، التي هي كل محسوس وكل معقول، قائمًا ١٠/أ بذاته التي لا تدرك ولا تترك، موصوفًا بصفاته القديمة الأزليّة، مسمى بأسمائه الحسنى العليّة، فاعلاً أفعاله المتقنة البهيّة، حاكمًا بأحكامه المتنوعة لإصلاح البريّة. وليس الموجود عند خاصة الخاصة إلا واحد لا شريك له، وهو الله تعالى، وجميع ما سواه من الموجودات إنما هي أفعاله، لا استقلال لها دونه. فليس في الوجود إلا ذات الله تعالى، وصفاته، وأسماؤه، وأفعاله، وأحكامه، وجميع ما سوى ذلك عندهم شرك في وحدانيته، وكفر بأحديته.

ثم إن المراد بـ«الذين آمنوا» في هذه الآية، جملة هذه الأقسام الثلاثة المذكورة، لأن لفظ الإيمان عام شامل لجميع ذلك. فتقدير الكلام:| يا أيها ٢١ب الذين آمنوا[28] من العامة، ومن الخاصة، ومن خاصة الخاصة، اتقوا الله، أي احترزوا من الله تعالى سرًا وجهرًا. فإنه تعالى وإن أعطاكم الإيمان على حسب مراتبكم فيه، ولطف بكم، ورَحِمَكم، فإنه ربما سلبه عنكم، وانتقم منكم، وغضب عليكم. وليس هذا بعجب منه تعالى، لأن من أسمائه المعطي، المانع، الضار،

٢٨ آمنوا، ساقطة في أ و ب.

النافع، اللطيف، المنتقم، الهادي، المضل، ذو الرحمة والغضب، وذو الفضل الواسع والبطش الشديد. ولا باعث له على فعل من أفعاله، ولا غرض له في حكم من أحكامه، ولا دافع فيما يعمل، ولا يسأل عما يفعل. ولو عذّب أهل السموات والأرض مع طاعتهم له، لعذّبهم وهو عادل في حقّهم. ولو عفا عنهم كلهم مع كثرة مخالفتهم له، لكان ذلك خيراً من أعمالهم. ولا يُتصور الظلم في حقه تعالى، لأن الكل ملكه، والجميع عبيده. فلا يَغرّ|كم ما أنتم فيه من الإيمان به والمعرفة له على حسب مراتبكم، فإنكم ما اخترتم الإيمان إلا بعد أن اختاره لكم وزيّنه في قلوبكم، وكرّه إليكم ما ينافيه من الكفر والضلال. ولو أراد لزيّن الكفر[٢٩] في قلوبكم وكرّه إليكم الإيمان. فاحذروا منه كل الحذر. ٢١ب

ثم التقوى التي أمر الله تعالى بها المؤمنين بأقسامهم الثلاثة المذكورة، هي على ثلاثة أنواع بحسب الأقسام| الثلاثة. فالأولى تقوى عامة المؤمنين، وهو الاحتراز من الكفر والشرك في الظاهر والباطن. والثانية تقوى خاصة المؤمنين، وهي الاحتراز من الذنوب والمخالفات سراً وجهراً. والثالثة تقوى خاصة الخاصة من المؤمنين، وهي الاحتراز من الغفلة عن شهود الله تعالى في بدائع أفعاله. وكل قسم من هذه الأقسام يؤاخذ من حيث ترك تقواه. ويؤاخذ المؤمن من العامة من حيث ترك إيمانه الإجمالي، فيصدر[٣٠]| منه ١١أ ٢٢ب

٢٩ الكفر، ساقطة في أ. ٣٠ فصدر، في أ و ب.

الكفر. ويؤاخذ المؤمن من الخاصة من حيث ترك إيمانه التفصيلي، فتصدر منه الذنوب والمخالفات. ويؤاخذ المؤمن من خاصة الخاصة من حيث ترك شهوده الحق تعالى، فتصدر منه الغفلة عن الله تعالى. فأمر الله تعالى الأقسام الثلاثة بتقواه، لأن كل قسم منهم على خطر عظيم في الحياة الدنيا، لأنهم بين وساوس شيطانية، وخواطر نفسانية، وإلهامات رحمانية، وإلهامات ملكية. وكل واحدة من هذه تدعو المكلّف إليها وتزيّن له. فيحتاج إلى بصيرة نافذة يفرق فيها بين الخاطر الحسن والخاطر السيئ، وعناية ربانية، وهداية رحمانية. وقلّ أن يَسْلَم له إيمانه من خاطر يرفعه، و وسوسة تدفعه، وشبهة عارضة تمنعه. ولذلك قال لهم تعالى: ﴿اتقوا الله﴾.

ثم لما[31] أمر الله تعالى المؤمنين بأقسامهم الثلاثة المذكورة بأن يتقوه تعالى على| حسب أنواع التقوى الثلاثة، علم تعالى أنهم لا يقدرون على ذلك بأنفسهم ٢٢/ب من غير أسباب تضبط عليهم ذلك، وهي صحبة كل قسم منهم للقسم الذي[32] فوقهم، صحبة محبة ومتابعة ليحصل لهم الترقّي إلى مقام من فوقهم. فقال تعالى: ﴿وكونوا مع الصادقين﴾ و«الصادق» هو المطابق بحاله لما زعم أنه موصوف به. وأن فصِدق المؤمن من العامة في دفع ما يمنع إيمانه الإجمالي، من تشبيه، أو تكييف، أو اعتقاد مكان أو زمان، ونحو ذلك من مقتضيات

---

٣١ لما، ساقطة في أ و ب. ٣٢ الذين، في أ و ت.

١١/أ الأوهام. وصِدق المؤمن من[٣٣] الخاصة في زوال الشكوك، والشبه،| والبدع في الاعتقاد. وصِدق المؤمن من خاصة الخاصة في إزالة مقتضيات الغفلة عن شهود الله تعالى، وقمع الطبع، وحسم مادة الوهم. فالواجب على عامة المؤمنين أن يتقوا الله ويكونوا مع الصادقين من خاصة الخاصة من المؤمنين.
٢٣/ب فلينظر المؤمن في أي مرتبة| هو من مراتب الإيمان، وليكن مع الصادقين ممن أُمِر بصحبتهم، ليبقى مترقيًا في مراتب إيمانه، ولا يقف عند حاله، فينقطع عن إمداد الله تعالى.

ومراسلتنا هذه مراسلة شرعية، لا مراسلة أدبية. وكم قرعت الأسماع فقرات وأسجاع، والمدائح كثيرة، والعبارات الشعرية شهيرة. وهذه نفثة مصدور، ولهجة معذور، ونصيحة الساكن في دار الغرور. والحياة الدنيا يسيرة، والمدة فيها وإن طالت قصيرة. والله تعالى يجعل أحسن أعمالنا خواتمها. فإنه الجواد الكريم، الرؤوف الرحيم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

٣٣ من، ساقطة في أ.

[٠٢. أواخر شوال ١٠٨٨، إلى صديق غير مسمى عالي الرتبة في إدارة الجيش العثماني]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى بلدة القسطنطينية المحروسة في أواخر شوال، سنة ثمان وثمانين وألف، وصورته، وقد سميته| «لمحة الألطاف وحضرة الإتحاف»: ٢٣/ب

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد: فإن هذا العبد الفقير إلى مولاه الخبير، عبد الغني بن إسماعيل ابن النابلسي، الحنفي، القادري، النقشبندي، عفا الله عنه، أرسل هذه الرسالة إلى أخيه في دين الله تعالى، لا زال محفوظاً بالعناية الأزلية. والسبب الداعي إلى تصنيفها، تحريك سلسلة الأخوة الإيمانية إلى إظهار النصيحة بمقتضى المحبة الإسلامية. وذلك لما سمعت في هذه السنة المباركة إن شاء الله تعالى بالحركة الجهادية، وقصد التوجه بالعساكر المنصورة إلى قتال الكفرة، أعداء ربّ البريّة. وكان هذا الأخ الصديق، والمحب الشفيق، يرأف على أخيه في تكميل عمله الصالح، بتبيين| ما يحتاج إليه في هذا التوجه المبارك بمعونة الله تعالى من المصالح. | فإن الجهاد فرض وثوابه جزيل، لا سيما إذا كمل في الظاهر والباطن على ٢٤ب ١٢أ

ما سنذكره من التفصيل. ولولا كثرة المحبة ما تهجم هذا المحب على حبيبه، ولا خصه بمثل هذه الرسالة في تنهيضه إلى ذروة الكمال وتقريبه. ولا مؤاخذة من هذا الأخ في الله تعالى حيث تركنا في حقه ما يجب له عند أهل الزمان، من الألقاب العظيمة الشان، من الأوصاف والمدائح اللائقة بالأكابر والأعيان. فإن هذا أمر ملّت منه مسامع الكامل لكثرة ورووده عليه، وإذا كانت المراتب العالية والمزايا السامية موجودة بالفعل فما مقدار القول لديه.

٢٤/ب اعلم يا أخي، وفّقك الله تعالى بتوفيقه، وأذاقك حلاوة تحقيقه، أن المحبة في دين الله تعالى من أعظم القربات. يدل على ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلّهم في ظلّي، يوم لا ظلّ إلا ظلّي.»[٣٤] والمراد بـ«الجلال» الذي تحابوّا به، «عظمة الله تعالى،» التي تقتضي للمؤمن بها الخوف منه تعالى والرجاء فيه. والخوف يقتضي الكفّ عن المنهيات، والرجاء يقتضي فعل المأمورات. والذين يتحابون من الخلق، إن كانوا يتحابون على حث بعضهم بعضاً في الخوف من الله تعالى والرجاء فيه، وتعليم بعضهم بعضاً للمنهيات والمأمورات الشرعية، الاعتقادية والعملية، كانوا

---

٣٤ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الصحبة، باب التحابب والتوادّ: الحب في الله، الراوي أبي هريرة، ٦:٥٥٠. أخرجه مسلم، ومالك في *الموطأ*.

يتحابون بجلال الله تعالى، أي بسبب جلاله. وإن لم يكونوا كذلك كانوا يتحابون لغير ذلك، فلا يدخلون| في معنى هذا الحديث. وأنا قد أحببتك بجلال الله، وهذا ٢٥ب جميع مكاتباتي إليك إن شاء الله تتضمن ذلك. والمراد بقوله: «اليوم أظلّهم في ظلّي، يوم لا ظلّ إلا ظلّي،» يعني أدخلهم في حمايتي، وحفظي، ورعايتي. كما يقال: «أنا في ظلّ فلان،» أي «في| حمايته ورعايته.» ومن كان في حماية الله ١٢/أ تعالى ورعايته يوم القيامة، كان من الناجين في ذلك اليوم، الذي لا ينجو فيه إلا من ينجيه الله تعالى. ولا حماية في ذلك اليوم إلا حماية الله تعالى. كما قال تعالى: ﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله﴾ [الانفطار، ١١٩] .

والمؤمنون بالله واليوم الآخر لهم في كل زمان احتفاظ ونصيحة فيما بينهم، مادام كلامهم مسموعاً من بعضهم للبعض. ويشير إلى هذا المعنى ما رواه الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن الشعبي، عن النعمان بن بشير قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:| «مَثل المؤمنين في توادّهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، مَثل الجسد، ٢٥/ب إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.»[35] وفي رواية أخرى عن الشعبي، عن النعمان بن بشير أيضاً قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمنون كرجل واحد، إذا اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى

---

٣٥ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الصحبة، باب كتمان السر، الراوي النعمان بن بشير، ٦:٥٤٧. أخرجه البخاري ومسلم.

والسهر.»[٣٦] وفي رواية أخرى عن الأعمش، عن خيثمة، عن النعمان بن بشير قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله.»[٣٧] وذِكره في الروايتين الأوليين «المؤمنين،» وفي هذه الرواية الثالثة «المسلمين،» إشارة إلى أن المؤمن دائماً يرأف ويشفق ويحتفظ على المماثلين له في الإسلام والإيمان، ولو كان ذلك فيهم

٢٦ب بحسب مجرد الظاهر فقط كالمنافقين، فإنهم مسلمون وليسوا بمؤمنين، كما سنذكره| إن شاء الله تعالى في حصن الإسلام، فكيف رأفته وشفقته واحتفاظه على المخالفين له في الإسلام والإيمان بظواهرهم وبواطنهم؟ ولا سيما أنت يا أخي، فإن الله تعالى قد أقامك في مصالح الإسلام، وفي تدبير أمور العساكر وغيرها من الخاص والعام. وقد شعرت منك بقبول ما يرد عليك من كلامي، فوجب علي أن أبذل النصيحة لك على الخصوص، كما أني مشتغل بنصيحة غيرك ممن يحضرني

١٣أ على| العموم.

ومما ينبغي أن يُذكر لك، ما لك من الثواب العظيم، والأجر الجسيم، على حسب منصبك الدنيوي المقتضي لنفع الخاص والعام، وعلى مقدار مشقتك وتعبك في سفرك وإقامتك. روى الإمام مسلم بسنده عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد وأبي هريرة، أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما يصيب

---

٣٦ المصدر السابق. ٣٧ المصدر السابق.

٢٦/ب المؤمن من وصب، ولا نصب،| ولا سقم، ولا حزن، حتى الهم يهمه، إلا كفّر من سيئاته.»[٣٨] وروى مسلم أيضاً بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من شيء يصيب المؤمن، حتى الشوكة تصيبه، إلا كتب الله له بها حسنة أو حُطت عنه خطيئة.»[٣٩] وحسب المجاهدين ما قال الله تعالى في حقهم ذلك: ﴿بأنهم لا يصيبهم ظمأٌ ولا نصبٌ ولا مخمصةٌ في سبيل الله ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إنّ الله لا يضيع أجر المحسنين. ولا ينفقون نفقة صغيرةً ولا كبيرةً ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾ [التوبة، ١٢٠-١٢١] وروى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن زيد بن خالد الجهني، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من جهّز غازياً في سبيل الله فقد غزا،| ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا.»[٤٠] وفي رواية أخرى قال، ٢٧ب قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «من جهّز غازياً فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله

---

٣٨ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الفضائل والمناقب، باب فضل المرض والنوائب والموت: المرض والنوائب، الراوي أبو سعيد الخدري وأبو هريرة، ٩:٥٧٩. أخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي. ٣٩ سيئة، في ب. الهيثمي، *مجمع الزوائد ونبع الفوائد*، كتاب الجنائز، باب كفارة سيئات المريض وماله من الأجر، الراوي السائب بن خلاد، ٣:٢٨. أخرجه الإمام أحمد في مسنده. ورد عن عائشة برواية مختلفة. ٤٠ الهيثمي، *مجمع الزوائد ونبع الفوائد*، كتاب الجهاد، باب فيمن جهز غازياً أو خلفه في أهله، الراوي أبو هريرة، ٥:٥١٣. أخرجه الطبراني في *المعجم الأوسط* (القاهرة: دار الحرمين، ١٩٩٤).

فقد غزا.»[٤١] وروى مسلم أيضاً بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تكفّل الله لمن جاهد في سبيله، لا يخرجه من بيته إلا جهاد في سبيله وتصديق كلمته، بأن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة.»[٤٢]

وذكر الإمام محمود بن أحمد القونوي رحمه الله في كتابه «المعتمد في أحاديث المسند،»[٤٣] وهو الكتاب الذي جمعه في الأحاديث التي يرويها الإمام الأعظم أبو حنيفة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،| ١٣/أ قال روى أبو حنيفة رضي الله عنه بإسناده عن أبي بريدة، عن أبيه، أن رسول| ٢٧/ب الله صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث سريةً أو جيشاً، أوصى صاحبهم بتقوى الله في خاصة نفسه، وأوصاه بمن معه من المسلمين خيراً. ثم يقول لهم: «اغزوا

---

٤١ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الفضائل والمناقب، باب فضائل الأعمال والأقوال: فضل الجهاد والشهادة، الراوي زيد بن خالد الجهني، ٩:٤٩٤. أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي. ٤٢ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الفضائل والمناقب، باب فضائل الأعمال والأقوال: فضل الجهاد والشهادة، الراوي أبو هريرة، ٩:٤٧٦. أخرجه البخاري، ومسلم، والنسائي، ومالك في *الموطأ*. ٤٣ الإمام جمال الدين أبو المحاسن محمود بن أحمد القونوي، من قونية بتركيا، الملقب بابن السراج، قاضي القضاة بدمشق وعالم دين له مساهمات في العلوم العقلية والنقلية. توفي في عام ٧٧١/٧٧٧هـ. له العديد من المؤلفات، منها «المعتمد في أحاديث المسند،» الوارد ذكره هنا. للمزيد انظر حاجي خليفة، *كشف الظنون* (لندن: ر. بنتي، ١٨٣٥)، وإسماعيل باشا البغدادي، *هدية العارفين* (بغداد: مطبعة المثنى، ١٩٢٧).

بسم الله، وفي سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله، ولا تغُلّوا، ولا تَغدِروا، ولا تُمثّلوا، ولا تقتلوا وليداً، ولا شيخاً كبيراً. وإذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا، فاقبلوا منهم وكفّوا عنهم. وادعوهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، فإن فعلوا، فاقبلوا منهم وكفّوا عنهم، وإلا فأعلموهم أنهم كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المسلمين، وليس لهم في الفيء ولا في الغنيمة نصيب. فإن أبوا ذلك فادعوهم إلى أن يؤدّوا الجزية، فإن فعلوا، فاقبلوا منهم وكفّوا عنهم. وإذا حاصرتم قصراً أو مدينة فأرادوكم أن تُنزلوهم على حكم الله| تعالى، فلا تُنزلوهم على حكم الله، فإنكم لا تدرون ما حكم الله فيهم. ولكن أنزلوهم على حكمكم. ثم احكموا فيهم بما رأيتم، فإن أرادوكم أن تعطوهم ذمة الله وذمة رسوله، فلا تعطوهم ذمة الله ولا ذمة رسوله، ولكن أعطوهم ذممكم وذمم آبائكم أيسر.»[٤٤] وهذا هو الحديث بطوله. ومعنى أن «تخفروا،»[٤٥] أن «تنقضوا.» يقال: «أخفرت الرجل،» إذا «نقضت عهده وذمامه.» والهمزة فيه للإزالة، أي إزالة خفارته، كـ«أشكيته،» أي «أزلت شكواه.» ومعنى قوله عليه السلام في هذا الحديث: «اغزوا بسم الله، وفي

٢٨ب

٤٤ ورد في رواية مشابهة في الهيثمي، *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*، كتاب الجهاد، باب وصية الأمير في السفر، الراوي عبد الله بن عباس، ٥:٤٦٥. أخرجه البزار في مسنده. ٤٥ ورد في تتمة الحديث السابق: «فإنك إن تخفر ذمتك وذمة أصحابك خير من أن تخفروا ذمة الله.» المصدر السابق.

سبيل الله،» يعني لا تغزوا بأنفسكم ولا بقوتكم، بل بمعونة الله تعالى التي يمدكم بها. كما قال تعالى: ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾ [التوبة، ١٤] فتكون أيديكم ٢٨/ب أسباباً حينئذ لإيصال عذاب الله تعالى إليهم، ولا تأثير لكم| أنتم في عذابهم. فالعذاب من الله تعالى لهم، لا منكم لهم. وهو معنى قول النبي صلى الله عليه ١٤أ وسلم:| ⟦[46] «اغزوا بسم الله.» وقوله: «و في سبيل الله،» أي طريق الله تعالى، وهو ابتغاء وجه الله تعالى وطلب رضوانه، لا بقصد النصرة عليهم، والغنيمة منهم، وفتح بلادهم، وسبيهم.

واعلم يا أخي، حفظك الله تعالى على كل حال، أن الجهاد منقسم إلى قسمين: جهاد أصغر وجهاد أكبر. أما الجهاد الأصغر فهو جهاد الإنسان أعدائه من الكافرين الممتنعين عن الإسلام، وعن قبول الجزية في رقابهم، والخراج في أراضيهم. وقِتالهم إما فرض عين، إن هجموا على حصن من حصون المسلمين وطلب أهل ذلك الحصن كف أذاهم عنهم، وإما فرض كفاية، إن استقروا في أوطانهم، لا قبلوا الإسلام، ولا الجزية والخراج. فلا يجوز تركهم كذلك آمنين من ٢٩ب غير إسلام، أو جزية وخراج. وهذا القسم| الثاني الذي هو فرض كفاية، فرض على جميع المسلمين الذين في الدنيا من مشرق الأرض إلى مغربها في كل زمان. إذا قام بذلك واحد من المسلمين، سقط هذا الفرض عن الباقين، وإذا تركوه كلهم،

---

٤٦ النص المحدد بين الإشارتين (⟦ ⟧) ساقط في أ.

أثموا كلهم، كما هو طريقة فرض الكفاية في غيره. ولن تخلو الأرض عن مجاهد دائمًا في مشرق الأرض أو مغربها. وإنما كان هذا الجهاد جهاد أصغر، لأن بقاء الكافرين في الدنيا على كفرهم لا يضر أهل الإسلام في دينهم شيئًا. كما قال تعالى: ﴿ولا تزر وازرةٌ وزر أخرى﴾ [فاطر، ١٨] بخلاف بقاء الخواطر السيئة، خواطر الشكوك، والمعاصي، والمخالفات، في نفس العبد، فإنها تضره في دينه. فكان جهادها هو الجهاد الأكبر، وهو الجهاد في النفس لدفع خواطر المخالفات الشرعية عنها. والمؤمن دائمًا في جهاد مع نفسه لتوقي مفاسدها إلى أن يموت، بخلاف جهاده مع الكفار| فإنه يكون في أوقات دون أوقات. ٢٩/ب

والخواطر السيئة التي تعرض للعبد في توحيده وعقائده، أو في الذنوب والمعاصي التي تتم بمجرد الخاطر ولا تحتاج إلى عمل في الخارج، كالحسد، والبغض، والتكبّر، حيث لا يمكنه أن يمتنع منها لأن الله تعالى خلقها فيه. فحكمها أنها إذا مرّت على قلبه، ولم يقبلها، لا تضره شيئًا، ومتى قبلها، نسبت إليه فحكم عليه بمقتضاها. وذلك بمنزلة ما لو اجتمع في سجن واحد مسلم وكافر، فتكلم الكافر بكلام الكفر وعبد غير الله تعالى، فإنه لا يضر المسلم شيئًا، حيث لم يرضى بذلك، ولم يقبله منه، ولا يمكنه مفارقته. وأما ما لا يتم بمجرد الخاطر من الذنوب والمعاصي، بل يحتاج إلى عمل في الخارج، كالزنا، وشرب الخمر، فإنه لا يأثم لقبوله إذا خطر له ما لم يُصَمّم عزمه على الفعل. فيأثم إثم التصميم، لا إثم الفعل. فالأعمال الشرعية

٣٠ب كلها دائرة على خواطر النفس في الطاعات| وفي المخالفات. فالأصل في العمل بالجوارح أنه كان خاطرًا في القلب، فتفرع حتى صار فعلاً. كالحبة تدفن في الأرض فتُنبت على مقتضاها من الطيب والخبيث. ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنّما الأعمال بالنيّات، وإنّما لكل امرئ ما نوى.»[٤٧] وبهذا السبب كانت معرفة القسم الثاني من الجهاد، وهو الجهاد الأكبر، جهاد خواطر النفس، من أهم الأمور على المكلّف. وذلك فرض عين عليه لاحتياجه إليه من حيث يبلغ سن التكليف إلى أن يموت. وهو العلم الذي طلبه فرض على كل مكلّف، كما روى الجلال السيوطي رحمه الله تعالى في *الجامع الصغير* بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم، وإن طالب العلم يستغفر له كل شيء، حتى الحيتان في البحر.»[٤٨] وفي حديث آخر، قال رسول الله صلى

---

٤٧ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب النية والإخلاص، الراوي عمر بن الخطاب، ١١:٥٥٥. أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي. ٤٨ «طلب العلم فريضة على كل مسلم،» ابن ماجه، *سنن ابن ماجه* (الرياض: دار السلام، ١٩٩٩)، كتاب السنة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، الراوي أنس بن مالك. أنظر السيوطي، *الجامع الصغير*، ٣٢٥ (ح ٥٢٦٦)، عن أنس. جلال الدين السيوطي أو الأسيوطي، من أسيوط في مصر، من مشاهير علماء الدين وحفاظ الحديث وأغزرهم إنتاجًا، حيث تنوف قائمة أعماله على ٨٠٠ مؤلف. ولد في عام ٨٤٩هـ / ١٤٤٥م وتوفي في عام ٩١١هـ / ١٥٠٥م. للمزيد عن حياة السيوطي، انظر السخاوي، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع* (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢) ٦٥-٤:٧١؛ والسيوطي، *حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة* (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧)، ٩٤-٢:٢٨٨.

الله عليه وسلم: «طلب العلم ساعة خير من قيام ليلة، وطلب العلم يوماً خير من صيام ثلاثة أشهر.»[٤٩] ٣٠/ب

وأنا أختصر لك نبذة نافعة جداً من هذا العلم الذي طلبه فرض عليك، وهو العلم النافع لك في الآخرة بين يدي الله تعالى، دون العلم الذي غايته كثرة القيل والقال، مما فيه إصلاح الظاهر فقط، الذي افتتنت فيه الآن غالب علماء هذا الزمان. فإن العبد لم يخلقه الله تعالى مشتملاً على الظاهر فقط، بل خلق الله تعالى العبد له ظاهر وباطن، والظاهر له إصلاح، والباطن له إصلاح. وقد جاءت الشريعة المحمدية بإصلاح الظاهر والباطن معاً، لا بإصلاح أحدهما فقط. فالمتقيدون بإصلاح ظواهرهم فقط، من غير إصلاح بواطنهم بالمجاهدة الشرعية المشتملة على تنقية النفوس من الأخلاق المذمومة، كالغفلة عن شهود الحق تعالى، وما يتبعها من الحسد، والبغض، والعجب، والتكبّر، والرياء، والخديعة، والمكر، والاعتماد على غير الله تعالى، وما أشبه ذلك، إنما هم عرفوا بعض الشرع فعملوا به وجهلوا الباقي. ٣١ب فإن كانوا مؤمنين به، كانوا قاصرين، وإن كانوا جاحدين له، كانوا كافرين. كما قال تعالى: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾[البقرة، ٨٥] إلى آخر الآية. وقوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[فاطر، ٢٨] المراد بهم

---

٤٩ لم يرد بالنص المذكور في *تاج الأصول*. ورد في السيوطي، *الجامع الصغير*، ٣٢٥ (ح ٥٢٦٩)، عن ابن عباس.

العلماء بظاهر الشريعة المحمدية وباطنها، فإن الخشية تلازمهم على كل حال دون العلماء بالظاهر فقط. ورحم الله تعالى شيخي زاده، فإنه ذكر في حاشيته على تفسير البيضاوي،[٥٠] أن الخشية من لوازم العلم بالله تعالى. فعند عدم الخشية يلزم عدم العلم بالله تعالى. وقال: «إن العلم الذي هو سبب القرب من الله تعالى هو الذي يورث الخشية. وإن أنواع المجادلات، وإن دقت وعظمت، إذا خلت عن إفادة الخشية، كانت| من العلم المذموم.» انتهى كلامه. والمتقيدون ٣١/ب بإصلاح بواطنهم فقط، من غير إصلاح ظواهرهم بالآداب الشرعية، من امتثال الأوامر واجتناب النواهي، عرفوا بعض الشرع أيضاً، فعملوا به وجهلوا الباقي. فإن آمنوا بذلك الباقي، فهم قاصرون، وإن جحدوه، فهم كافرون: ﴿وما الله بغافل عما يعملون﴾ [البقرة، ٧٤]

وقال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة،»[٥١] «القلب بيت، هو منزل الملائكة ومحل استقرارهم، والصفات الرديئة، كالغضب،

---

٥٠ انظر محمد بن مصلح الدين الحنفي، *حاشية محيي الدين شيخي زاده على تفسير القاضي البيضاوي* (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩). ٥١ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الزينة، باب في الصور والنقوش والستور، الراوي أبو طلحة الأنصاري، ٤:٨٠٨. أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

والشهوة، والحقد، والحسد، والكبر، والعجب، وأخواتها، كلاب نابحة، فكيف تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب.» قال: «ولست أقول المراد بلفظ ‹البيت›، ‹القلب›، وبـ‹الكلب›، ‹الغضب والصفات المذمومة›، بل أقول هو تنبيه عليه، ودخول من الظاهر| إلى الباطن، مع تقرير الظواهر. فبهذه القضية فارق الباطنية. فإن هذا طريق الاعتبار، ومسلك الأئمة الأبرار. ومعنى ‹الاعتبار›، أن ‹تعبر ما ذُكر إلى غيره›، فلا تقتصر عليه، أي على ما ذكر.»[٥٢] ٣٢ب

«ولا تظنن أن الأنموذج وطريق ضرب الأمثال رخصة مني في دفع الظواهر واعتقادي إبطالها، حتى أقول مثلاً: لم يكن مع موسى عليه السلام نعلان، ولم يسمع الخطاب بقوله: ‹اخلع نعليك›. وحاشا لله، فإن إبطال الظواهر رأي الباطنية الذين نظروا بالعين العوراء إلى أحد العالمين، عالم الظاهر وعالم الباطن. كما أن إبطال الأسرار مذهب الحشوية. فالذي يجرد الظاهر، حشوي، والذي يجرد الباطن، باطني، والذي يجمع بينهما، كامل. ولذلك ورد: ‹للقرآن ظاهر، وباطن، وحدّ، ومطلع›. بل أقول فهم موسى| عليه السلام من الأمر بخلع ٣٢/ب

٥٢ أبو حامد الغزالي، *إحياء علوم الدين* (بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٢)، الباب الخامس: في آداب المتعلم والمعلم، ١:٤٩. نص النابلسي مشابه وليس مماثل حرفياً للنص المطبوع. هناك عدد من العبارات المحذوفة والتغيرات النصية. التتمة، من قوله: «ولا تظنن أن الأنموذج...،» إلى قوله: «انتهى كلام الغزالي،» لم ترد في نفس الباب من نص *الإحياء* المطبوع. فهي إما واردة في باب آخر أو نص آخر للغزالي، أو هي تعقيب للنابلسي على كلام الغزالي، وليس كلام الغزالي الحرفي.

النعلين، إطراح الكونين. فامتثل الأمر ظاهراً بخلع نعليه، وباطناً بطرح العالمين، يعني عالم الدنيا والآخرة. ولم يُقبل إلا على الله تعالى وحده. فهذا هو ‹الاعتبار›، أي ‹العبور› من الشيء إلى غيره، ومن الظاهر إلى السر. وفرق بين من يسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم هنا: ‹الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب›، فيقتني الكلب في البيت ويقول، ليس الظاهر مراداً، بل المراد تخلية بيت القلب من كلب الغضب، لأنه يمنع المعرفة التي هي من أنوار الملائكة، إذ الغضب غول العقل. وبين من يمتثل الأمر في الظاهر ثم يقول، الكلب ليس كلباً لصورته، بل لمعناه، وهو السبعية والضراوة. وإذا كان حفظ البيت، الذي هو مقر الشخص والبدن، واجباً عن صورة الكلب، فلأن يجب حفظ بيت القلب، وهو مقر الجوهر الحقيقي الخاص، عن سر الكلبية أولاً. فأنا أجمع بين الظاهر والسر، فهذا هو الكمال، وهو المعني بقولهم: ‹الكامل لا يطفئ نور معرفته نور ورعه›.» انتهى كلام الغزالي رحمه الله.

٣٣ب

فتقرر من هذا أن المطلوب إصلاح الظاهر والباطن، وذلك بمعرفة الجهاد الأكبر الذي هو جهاد النفس، وبمعرفه العدو الذي ينتصب لمعاداتك في هذا الجهاد، وبمعرفة عسكره، وبمعرفة سلطانك الذي أنت تابع له في هذا الجهاد، وبمعرفة العسكر الإسلامي الذي من جانبك، وبمعرفة الحصون، والقلاع، والأسوار، التي يقع الجهاد عليها، وبمعرفة الأسلحة التي يقع الجهاد

بها من الطرفين. وأنا أبيّن لك يا أخي جميع ذلك، وأوضّحه إن شاء الله أكمل إيضاح، وأوشّحه بآيات القرآن العظيم وبأحاديث النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم.

٣٣/ب فأقول وبالله التوفيق، وبيده أزمّة التحقيق، اعلم أن الله تعالى جعل الإنسان نسخة مختصرة من جميع الأكوان. كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ [فصلت، ٥٣] والمراد بـ«الآفاق،» «ما عدا الأنفس من جميع المخلوقات،» ثم قابلها بـ«الأنفس.» فلو لا أن «الأنفس» توازن ما أراد سبحانه وتعالى بـ«الآفاق،» ما قابل الآفاق بالأنفس. وهذه الموازنة بين الآفاق والأنفس كوضع الأوقية ونحوها في كفة الميزان، لأجل معرفة مقدار ما يوازنها من ذلك الشيء الموزون، الموضوع في الكفة الأخرى. فإن الأوقية ونحوها قد تكون حديد أو حجر، وهي غير مرادة لذاتها، وإنما هي مرادة لأجل ضبط ما يقابلها في الكفة الأخرى. وكذلك جميع الآفاق، غير مراد لذاته، وإنما المراد به ما يقابله من معرفة مقدار الإنسان. كما قال تعالى هو الذي: ﴿سخّر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾ [الجاثية، ١٣] والمُسخّر غير مقصود بالذات، وإنما المقصود بالذات المُسخّر له، وهو الإنسان. فالمُسخر بمنزلة الأوقية، يوزن بها مقدار المُسخّر له، فإن رجح المُسخّر له على المُسخر، أعرض عن المُسخر، وإلا أعرض عنه المُسخر، وأشغله ٣٤ب

به عن ربه. وفي الحديث القدسي: «يا ابن آدم خَلقتُ الأشياء كلها من أجلك، وخَلقتكَ من أجلي، فلا تشتغل بما خَلقتُ من أجلك عمن خُلِقتَ من أجله.»[٥٣]

وقد أشار إلى ما ذكرناه الشيخ عبد الرؤوف المناوي رحمه الله تعالى في أول خطبته لشرحه الكبير على *الجامع الصغير* للأسيوطي رحمه الله تعالى، حيث قال: «الحمد لله الذي جعل الإنسان نسخة من جميع الأكوان.»[٥٤] تقرر أنه مشتمل على جميع ما في الأكوان بطريق الاختصار. ومن| جملة ما في الأكوان ٣٤/ب إبليس اللعين وجنوده، ومسكنهم في العالم السفلي، عالم الظلمة الطبيعية، وهو عالم العناصر الأربعة: النار، والهواء، والماء، والتراب. ولا قدرة لهم على الصعود إلى العالم العلوي، عالم الأنوار المجردة. ومن جملة ما في الأكوان أيضاً الروح الأعظم المقدس الكلي، الذي هو أول ما خلق الله تعالى، ليس بينه وبين الله تعالى واسطة، وهو من أمر الله تعالى. قال تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ [الإسراء، ٨٥] ويوم القيمة يقوم هو صفاً وحده بين يدي الله تعالى، لأنه إمام الأرواح كلها. قال تعالى: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفا﴾ [النبأ، ٣٨] ولهذا الروح الأعظم جنود منه، وهم الملائكة،

---

٥٣ لم يرد في *تاج الأصول*. ٥٤ أنظر محمد عبد الرؤوف المناوي، *فيض القدير شرح الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١).

ومسكنهم في العالم العلوي، عالم السموات، لهم قدرة على الهبوط إلى العالم السفلي، عالم الأرضين.| وجميع ذلك موجود في الإنسان الذي هو نسخة مختصرة من جميع الأكوان، من غير زيادة ولا نقصان. ٣٥ب

وبيان ذلك، أن في مقابلة إبليس اللعين النفس الأمارة بالسوء، كما حكى الله تعالى عن يوسف عليه السلام أنه قال: ﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء﴾[يوسف، ٥٣] وإبليس قال: ﴿أنا خير منه﴾[الأعراف، ١٢] والنفس تقول: أنا خير من فلان. وتقول: إني أنا المتصرفة في هذا الجسد وحدي، لا متصرف فيه غيري، تحاكي بذلك قول الله تعالى: ﴿إنني[٥٥] أنا الله لا إله إلا أنا﴾[طه، ١٤] ولهذا ورد في الأخبار أن الله تعالى أوحى لداود عليه السلام: عادِ نفسك، فإنها انتصبت لمعاداتي. ومسكنها النصف الأسفل من الإنسان، وجنودها منها، كالشهوة، والغضب، وجميع الخواطر السيئة. وفي مقابلة الروح الأعظم الذي في الأكوان،| الروح الجزئي المنفوخ في الإنسان. كما قال تعالى: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾[الحجر، ٢٩] ومسكنه النصف الأعلى من الإنسان، وجنوده منه كالقوة العلمية، والملكة الإيمانية، والخواطر الحسنة كلها. ومن جملة ما في الأكوان، عالم الأرض والسماء وما بينهما، المسمى بـ«الدنيا.» وكذلك في الإنسان، عالم جسده في مقابلة الأرض، وعالم نفسه في مقابلة السماء، وما بينهما من الأخلاق في ٣٥/ب

---

٥٥ إني، في ب وت.

مقابلة الدنيا وأهلها. فاليقظة ملك من ملوك الإسلام، وعساكره الخواطر الحسنة، والغفلة ملك من ملوك الكفر، وعساكره الخواطر السيئة. والعقل وزير لملك الإسلام، إن كانت الغلبة له، يدبّر جميع أموره على وجه الصواب، ولملك الكفر، إن كانت الغلبة له، يدبّر جميع أموره على وجه الخطأ. والإيمان والإسلام حصنان للعبد، منيعان، مشرفان، بمنزلة| مكة والمدينة. والصلوات الخمس، ٣٦ب
والصوم، والصلاة، والزكاة، والحج، بمنزلة الحصون والقلاع. والواجبات، والسنن، والمستحبات، بمنزلة الأسوار للحصون والقلاع. والمسائل الشرعية، الاعتقادية والعملية، بمنزلة الأسلحة والعدد للحرب. وملك الإسلام، الذي هو اليقظة، دائماً مع ملك الكفر، الذي هو الغفلة، في قتال ومحاربة. وعساكر هذا، التي هي الخواطر الحسنة، تتقاتل مع عساكر هذا، التي هي الخواطر السيئة. ويهلك من الفريقين في هذا الحرب ما شاء الله أن يهلك، وينجو ما شاء الله أن ينجو. وقتالهم ومحاربتهم دائماً لأجل تلك الحصون والقلاع المذكورة. فكل حصن| ٣٦/ب
ملكه سلطان اليقظة، عمّره وشيّده بالإخلاص، واليقين، والورع، وكل حصن ملكه سلطان الغفلة، هدّمه وخرّبه بالرياء، والشك، والعجب.

ولا بأس ببيان كيفية المقاتلة بينهما والمحاربة. وهي أن أول ما يُبنى في القلب، حصن الإيمان. وهو التصديق والإذعان لجميع ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من المحكمات والمتشابهات، وتسليم ذلك

كله إلى علم الله تعالى وعلم رسوله عليه السلام، من غير تأويل شيء من ذلك، ولا فهمه بالقوة العقلية. وهذا الحصن الإيماني من أعظم الحصون وأشرفها عند سلطان اليقظة، وهو تحت هذا السلطان. ومن زيادة شرفه قلنا عنه أنه بمنزلة مكّة من حصون الدنيا، وفيه الكعبة، وهو الغيب الذي تطوف حوله الخواطر من غير إدراك شيء منه. وقد ورد في الحديث تسمية التوحيد| «حصناً،» وهو من الإيمان. كما روى الأسيوطي رحمه الله تعالى في *الجامع الصغير* بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «قال الله تعالى: إني أنا الله لا إله إلا أنا، من أقر لي بالتوحيد، دخل حصني، ومن دخل حصني، أمن من عذابي.»[56] ٣٧ب

فحين يرى هذا الحصن المنيع سلطان الغفلة، يقصده بعسكره ليهدمه ويخربه. فيخرج له منه سلطان اليقظة بعسكره ليدفع شره عنه. فيتصافّ العسكران، ويتقابل الجيشان. حتى يبرز فارس من عسكر سلطان اليقظة بيده سيف مسلط هو: «إن الله تعالى قديم والإنسان حادث كله، عقله وفهمه وحسه، فكيف الحادث يدرك القديم، ولا شيء من الحادث بقديم، ولا شيء من القديم بحادث، والشيء لا يُدرِك إلا ما هو مثله أو أدنى منه،| لا ما هو أعلى منه.» فإذا جال ٣٧/ب

---

٥٦ لم يرد في *تاج الأصول*. ورد في السيوطي، *الجامع الصغير*، ٣٧٦ (ح ٦٠٤٧)، الشيرازي عن علي.

ذلك الفارس بهذا السيف، برز له فارس آخر من عسكر سلطان الغفلة في يده سيف أيضاً هو: «إن الله تعالى موجود، والموجود يمكن أن يُدرِك الموجود.» فيتقاتل الفارسان بينهما، ثم إن الفارس الأول يخرج سهماً من كِنانته ويفوقه إلى الفارس الثاني. وذلك السهم هو: «إن الله تعالى موجود لكن وجوده قديم، والإنسان موجود لكن وجوده حادث. والوجود الحادث معدوم بالنسبة إلى]] الوجود القديم. كما أن نور السراج موجود في نفسه بالنسبة إلى الظلمة، فإذا وضع في شعاع الشمس، وأشرقت عليه، انطمس نوره بالكليّة، ولا يبقى له وجود في نور الشمس، مع أنه في نفسه باق، حتى لو وضع بعد ذلك في الظلمة ظهر نوره. فإذا كان الموجود الحادث بالنسبة إلى الموجود الحادث الآخر في هذه المثابة، فكيف| بالنسبة إلى الموجود القديم؟ فإن الشمس في هذا المثال حادثة، ونورها حقير، والله تعالى قديم، ونوره عظيم. فلا شيء في الوجود مطلقاً بالنسبة إلى وجود الله تعالى. قال تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾[القصص، ٨٨] أي إلا ذاته، وذاته وجوده تعالى، فلا وجود إلا وجوده تعالى. والأشياء كلها معدومة بالنسبة إلى وجوده تعالى، وإن كانت موجودة بالنسبة إلى ظلمة عدمها الأصلي. وروى الإمام مسلم بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ‹أشْعَرُ كلمة تكلمت بها العرب، كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل›.[٥٧] وفي رواية أخرى: ‹أصدَقُ كلمة قالها شاعر، كلمة لبيد:

٣٨ب

ألا كل شيء ما خلا الله باطل›.[58] و‹الباطل› هو ‹الفاني›، ‹الزائل›. فكيف يدرك الله تعالى من لا وجود له معه، وإن كان له وجود في نفسه بالنظر إلى عدمه الأصلي؟» فعند ذلك يصيب هذا السهم الفارس الثاني، فيسقط ميتاً في الحال. وتهجم العساكر الإسلامية على حصن الإيمان، ويدخل سلطان اليقظة، ويسكن في هذا الحصن، ويعمّره، ويشيّده. فيأتي العقل ويصير وزيرًا له، يُدبّر جميع أموره بالرأي الموافق لما هو الحق والصواب عند الله تعالى. وسلطان الغفلة لم يزل يحاوره بعسكره، ينتظر له فرصة في النصرة عليه ما دامت دنيا هذا الجسد الإنساني باقية. فلو قدّر الله تعالى بعد ذلك أن برز فارس من عسكر سلطان الغفلة في يده سيف هو: «التشكيك في أمر الغيب، الموكول علمه إلى الله تعالى،» ونحو ذلك، مما يناقض الحق، وقدّر الله تعالى له النصرة على فارس الإسلام، سقط فارس الإسلام، وهجمت عساكر سلطان الغفلة على حصن الإيمان، ودخل إليه سلطان الغفلة، وسكن فيه، وهدّمه، وخرّبه، وهو يظنّ أنه عمّره، وشيّده. وجاء العقل فصار وزيره، يُدبّر له جميع الأمور على الخطأ والبطلان. وبيد الله تعالى أزمّة الأمور على كل حال في جميع الأزمان.

٣٨/ب

١٤/أ

٣٩ب

---

٥٧ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الشعر، الراوي أبو هريرة، ٥:١٧٩. أخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي. شطر البيت: «ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطل» من قصيدة لبيد في رثاء النعمان بن المنذر اللخمي، البيت رقم ٩. انظر لبيد بن ربيعة، *شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري*، تحقيق إحسان عباس (الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء، ١٩٦٢)، ٢٥٦.

٥٨ المصدر السابق.

ثم إنه بنى حصن الإسلام في قلب العبد، وهو إظهار الإيمان، المتقدم ذكره، على اللسان وعلى سائر الجوارح. ولهذا لما سُئِل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان، أجاب بما يقتضي أن الإسلام هو إظهار الإيمان. وذلك فيما رواه الإمام مسلم بسنده عن ابن عمر بن الخطاب، عن أبيه، رضي الله عنهما، في حديث طويل قال فيه: «بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يَعرفه منا أحد، حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: ‹يا محمد أخبرني عن الإسلام›. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ‹الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً›. قال: ‹صدقت›. فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: ‹فأخبرني عن الإيمان›. قال: ‹أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر، خيره وشره.› حتى قال: ثم انطلق، فلبثت مليًا، ثم قال: ‹يا عمر، أتدري من السائل؟› قلت: ‹الله ورسوله أعلم›. قال: ‹فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم›.»[59] فانظر قوله

٣٩/ب

٥٩ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الإيمان والإسلام، باب في تعريف الإيمان والإسلام حقيقة ومجازًا: حقيقتهما وأركانهما، الراوي عبد الله بن عمر، ١:٢٠٨. أخرجه مسلم، وأبوداود، والترمذي، والنسائي.

عليه السلام في الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله إلى آخره، فإن ذلك كله
فعل اللسان والجوارح. وقوله| في الإيمان: أن تؤمن بالله إلى آخره، وهذا كله ٤٠ب
فعل القلب. فالإيمان باطن الإسلام، والإسلام ظاهر الإيمان. فالإسلام| ١٥أ
حصن آخر غير حصن الإيمان. فحصن الإيمان بمنزله مكة كما ذكرنا، وحصن
الإسلام بمنزلة المدينة. لأن الأول مشتمل على الغيب، الذي هو بمنزلة الكعبة
للطواف حوله كما سبق، والثاني مشتمل على الحكم بالظاهر. ونبينا محمد صلى الله
عليه وسلم المدفون في المدينة طريقته الحكم بالظاهر. فناسب أن يكون حصن
الإسلام في دنيا الجسد الإنساني بمنزلة المدينة.

فأول ما قصدها سلطان اليقظة بعسكره وسلطان الغفلة بعسكره، برز
فارس من عسكر سلطان اليقظة في يده رمح هو: «إن الله تعالى خلق الإنسان
له ظاهر وله باطن، وكلفه بما كلفه به| من الاعتقاد الحق، والقول الحق، والعمل ٤٠/ب
الحق، ليَطهر ظاهر العبد وباطنه، ويَصلح للدخول إلى حضرة القرب منه تعالى.
فإذا وجد هذا الاعتقاد الحق، والقول الحق، والعمل الحق، في ظاهر العبد فقط
دون باطنه، بأن كان في باطنه التكذيب بذلك كله، طَهر ظاهر العبد فقط
وبقي باطنه نجساً، فلم يصلح لقربه تعالى. وكذلك إذا وجد ذلك الاعتقاد الحق،
والقول الحق، والعمل الحق، في باطن العبد فقط، بأن اعتقد بأن ذلك كله حق وترك
القول به والعمل به، طَهر باطنه فقط وبقي ظاهره نجساً، فلم يصلح لقربه تعالى

أيضًا. فلا بدّ حينئذ من إظهار القول الحق باللسان، والعمل الحق بالجوارح، مع الاعتقاد الحق بالقلب. ومن قال أن الإيمان بالقلب كاف من غير إظهار ذلك بالقول وإتصديقه بالعمل فقوله باطل. فلا بدّ من الإسلام الذي هو إظهار الإيمان على اللسان والجوارح.» فعند ذلك يبرز له فارس من عسكر سلطان الغفلة في يده رمح أيضاً هو: «إن المعتبر عمل القلب، ولا حاجة إلى إظهار ذلك على اللسان والجوارح. كما قال تعالى: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون. إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ [الشعراء، ٨٨–٨٩] وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه مسلم في *صحيحه*: ‹التقوى هاهنا، وأشار إلى صدره ا ثلاث مرات›.»[٦٠] فما استتم هذا الفارس جولته برمحه المسموم، حتى برز له فارس مسلم مؤيد بمدد الحي[٦١] القيوم. فاختطف رمحه من يده وفوقه إليه، وضربه بسلاحه الذي أقبل به عليه. وذلك أن قوله تعالى: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون. إلا من أتى الله بقلب ا سليم﴾ معناه أن المال إذا أنفقه صاحبه في سبيل الله، والبنين إذا أنتجهم العبد وعالهم ورباهم حتى صاروا يعبدون الله تعالى وينصرون دينه، لا نفع في ذلك عند الله تعالى ما لم يأت العبد ربه

٤١ب ١٥/أ ٤١/ب

---

٦٠ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الصحبة، باب في أحاديث جامعة لخصال من آداب الصحبة، الراوي أبو هريرة، ٦:٥٢٣. أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، ومالك في *الموطأ*. ٦١ الحق، في أ.

تعالى بقلب سليم من الكفر، والشرك، والرياء بذلك، والإعجاب به. فإذا أتى بالقلب السليم من جميع ذلك، نفعه حينئذ المال والبنون بقدرة الله تعالى. ففي الآية بيان أن العمل الظاهر لا ينفع من غير عمل باطن، وأن الإسلام لا ينفع بلا إيمان، لا فيها عدم اعتبار العمل الظاهر مطلقاً. وقوله عليه السلام: «التقوى ها هنا،» من قبيل ذكر معظم أركان التقوى، إذ لا يتقي الله تعالى من يسخطه بترك القول الحق والعمل الحق. ونظير هذا قوله عليه السلام: «الحج عرفه.»[٦٢] وقوله: «الندم توبة.»[٦٣] يعني معظم أركان| الحج عرفه، ومعظم أركان التوبة الندم، وباقي الأركان أسهل من ذلك. فسقط حينئذ ذلك الفارس واندقّ عنقه، فهلك من وقته. وهجم سلطان اليقظة بعساكره على حصن الإسلام، وسكنه، وعمره، وشيده. فجاء العقل وصار وزيره في التدبير، والله على كل شيء قدير. ٤٢ب

ثم بنى حصن الصلاة المفروضة، فقصدها سلطان اليقظة بعسكره وسلطان الغفلة بعسكره. فبرز فارس من عسكر سلطان اليقظة بيده سيف هو: «إن الله تعالى فرض علينا هذه الصلاة، وأمرنا بالمحافظة عليها. حيث قال تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات﴾ [البقرة، ٢٣٨] وقال رسول الله صلى الله

---

٦٢ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الحج والعمرة، باب الوقوف والإفاضة: الوقوف بعرفة وأحكامه، ٣:٢٤١. أخرجه أبو داود، والترمذي، والنسائي. ٦٣ الهيثمي، *موارد الظمآن*، كتاب التوبة، باب في الندم على الذنب والتوبة منه، الراوي أنس بن مالك، ٨:١٠١. أخرجه البزار في مسنده، وابن حِبّان في صحيحه، والحاكم في مستدركه.

عليه وسلم: ‹الصلاة عماد الدين›،[٦٤] فمن أقامها فقد أقام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين. وإقامتها بالمحافظة| عليها، وتتميم ركوعها، وسجودها، وخشوعها. ولهذا لم يأت في القرآن الأمر بفعل الصلاة| فقط من غير اقتران ذكر إقامتها والمحافظة عليها. وروى مسلم بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه: ‹أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد، فدخل رجل فصلى، ثم جاء فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ‹ارجع فصلّ، فإنك لم تصلّ›. فرجع الرجل فصلى كما كان صلى، ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فسلم عليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ‹وعليك السلام›، ثم قال: ‹ارجع فصلّ، فإنك لم تصلّ›. حتى فعل ذلك ثلاث مرات. فقال الرجل: ‹والذي بعثك بالحق، ما أحسن غير هذا، علمني›. قال: ‹إذا قمت إلى الصلاة فكبّر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم| اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها›.»[٦٥] فعند ذلك برز لهذا الفارس فارس من عسكر سلطان الغفلة بيده سيف أيضاً هو: «إن

٤٢/ب ١٦أ ٤٣ب

---

٦٤ لم يرد في *تاج الأصول*. ورد في السيوطي، *الجامع الصغير*، ٣١٩ (ح ٥١٨٥)، للبيهقي في *شعب الإيمان*، عن عمر. ٦٥ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الصلاة، باب المواقيت، الراوي أبوهريرة، ٥:٤٢٣. أخرجه البخاري، ومسلم، وأبوداود، والترمذي، والنسائي.

العبد لا يدري بماذا يُختم له، فإن مات على الإيمان، كان في مشيئة الله تعالى، إن شاء عاقبه على ترك الصلاة، وإن شاء عفا عنه. وإن مات على الكفر، لا تنفعه صلاته.» فيتقاتل الفارسان بسيفيهما،[٦٦] حتى يبرز فارس آخر من عسكر سلطان اليقظة في يده سيف هو: «إن العبد مكلف بالعمل الصالح، وفي حالة العمل الصالح عليه علامة رضاء الله تعالى بلا شبهة. فإن ظهرت علامة غضب الله تعالى عليه بعد ذلك، ومات على الكفر، كان أمرًا مظنونًا، والأصل بقاء ما كان على ما كان. حتى لو فرضنا تحقق ذلك، لا يضره العمل الصالح. فالعمل إذا لم ينفع صاحبه| لا يضره. وترك العمل إذا لم يضر صاحبه لا ينفعه.» فيضرب ذلك الفارس بسيفه هذا، فيسقط لوقته. وتهجم عساكر سلطان اليقظة على حصن الصلاة، ويسكن سلطان اليقظة في ذلك الحصن، ويأتي العقل فيصير وزيره في تدبير أركانها وواجباتها، وسننها، ومستحباتها. ٤٣/ب

وكذلك| الحال في حصن الصوم، وحصن الزكاة، وحصن الحج. ومثل ذلك حصن الكف عن الزنا، وحصن الكف عن شرب الخمر، ونحو ذلك من سائر المأمورات والمنهيات. فإن لهذين السلطانين، سلطان اليقظة وسلطان الغفلة، وعسكرهما، مقاتلة ومحاربة دائمًا على هذه الحصون الشريفة، حصون الدين المحمدي. وتبرز الفوارس من الطرفين، فوارس الخواطر الحسنة وفوارس ١٦/أ

---

٦٦ بسيفهما، في أ.

٤٤ب الخواطر السيئة بأنواع الأسلحة، ويتضاربون في داخل هذا العالم الإنساني، والله يؤيد بنصره من يشاء. وربما يهجم عساكر سلطان الغفلة على سور من أسوار الحصن، هو واجب من الواجبات، أو سنة من السنن، أو مستحب من المستحبات، فينهدم ذلك السور، ويبقى الحصن قريباً من العدو. وربما يتطاول إليه العدو فيهدمه أيضاً، حتى تأتي عساكر سلطان اليقظة فتبني ما انهدم من تلك الأسوار، وتبقى الحصون الشرعية منيعة عالية المنار.

وفي هذا القدر كفاية لأهل الإنصاف والاعتبار، فاعتبروا يا أولي الأبصار. وكنت أبسط لك الكلام يا أخي أكثر من ذلك، ولكن خشيت لحوق الملل، فإن الغيث إذا كثر أفسد الزرع. وفي تأمل ما ذكرناه في هذه الرسالة أبلغ ٤٤/ب كفاية، وإذا تلخص الأمر سهل حفظه وإدراكه على أهل التوفيق والعناية. | والله يأخذ بيدك في الفهم عنه لجميع ما طلبه منك، ويعينك في جميع أحوالك على العمل الصالح مع بلوغ المراد، ويحفظك من الخطأ في المعرفة والعمل، ويهديك إليه صراطاً مستقيماً، ويختم لك بأحسن مما بدأك به. وأسأل الله تعالى أن يعينني على أداء حقوق إخواني فيما وجب عليّ من نصيحتهم بحسب الإمكان. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

[٠٤ شوال ١٠٨٩هـ، إلى الشيخ إبراهيم الكوراني]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، في شوال من شهور سنة تسع| وثمانين وألف، وصورته، وقد سميته «تحريك سلسلة الوداد في مسئلة خلق أفعال العباد»: ١٧/أ

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى. هذا كتاب| من العبد الفقير، العاجز الحقير، عبد الغني بن إسماعيل ابن النابلسي، الحنفي، القادري، النقشبندي، نزيل دمشق الشام، حُفظت من كل سوء على مدى الأيام، إلى حضرة الأخ في الله تعالى، المولى الهمام، الملا إبراهيم الكوراني المدني، نفع الله تعالى به الأمة في الدنيا والآخرة. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فقد وصل إلينا مع بعض الإخوان رسالة لكم اسمها «مسلك السَداد إلى مسئلة خلق أفعال العباد،» ورسالة أخرى بعدها اسمها «إمداد ذوي الاستعداد لسلوك مسلك السَداد.»[٦٧] وكلاهما مشتملان على القول بأن ٤٥ب

٦٧ إبراهيم الشهرزوري الحسن المدني الكوراني (١٠٢٣–١١٠١هـ / ١٦١٥–١٦٩٠م)، عالم دين، صوفي نقشبندي، ولد في شهرزور في جبال كردستان. درس في تركيا، وفارس، والعراق، والشام، ومصر، قبل أن يستقر في المدينة، حيث تتلمذ على يد الشيخ أحمد القُشاشي وخلفه فيما بعد. كان مؤلف غزير الإنتاج، واسع الشهرة والتأثير، مازالت معظم أعماله، بما فيها الرسالتين

قدرة العبد مؤثرة بإذن الله، لا بالاستقلال، وأنه لا ينافي أن الله تعالى خالق كل شيء، الذي هو القول بتوحيد الأفعال، وأنه المدلول عليه بالكتاب والسنة لمن أوتي الفهم عن الله الملك الجواد،| وأنه المستفاد من نصوص الشيخ الأشعري في كتابه *الإبانة*، الذي هو آخر مصنفاته والمعوّل عليه.[٦٨] وقد طالعنا الرسالتين المذكورتين فوجدنا فيهما بيان ذلك على وجه التفصيل من الكتاب والسنة وقول الشيخ الأشعري في كتابه المذكور بما يطول شرحه. وقد حصل عندنا وقفة عظيمة في هذا الأمر، بسبب أن مفهوم ما ذكر تم انحصار مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك على قول الأشعري آخراً، وأن القول بعدم تأثير قدرة العباد، والله تعالى هو المؤثر وحده عندها لا بها، كما أنه تعالى خالق المسببات عند الأسباب لا بها، على ما هو المشهور من قول الأشعري، قول مغاير في المعنى لقولكم المذكور، كما هو مغاير له في اللفظ، وأنه مخالف للقول الصحيح من مذهب أهل السنة والجماعة. والمؤاخذة على الناقلين له من الإمام السنوسي| وغيره.| وقد عرضنا الحال عليكم،

٤٥/ب

١٧/أ – ٤٦ب

المذكورتين، غير منشورة. أنظر قائمة المخطوطات. ٦٨ أبو الحسن الأشعري، *الإبانة عن أصول الديانة* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥). الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٢٦٠–٣٢٤هـ / ٨٧٤–٩٣٦م)، من ذرية الصحابي أبو موسى الأشعري، عالم دين شهير ومؤسس المذهب الأشعري. ولد في البصرة وتتلمذ على يد الجبائي، أبرز أعلام المعتزلة، قبل أن ينقلب على المعتزلة وينقض مذهبهم. للمزيد انظر مقدمة نعيم زرزور لكتاب الأشعري، *مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين* (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٥).

ولا مؤاخذة في التهجّم. فالله سبحانه وتعالى يعلم أن التعنّت والنصرة للنفس غير مراد لنا. وإنما المراد تحقيق المذهب الحق في ذلك، لنسلك نحن وإخواننا منه أحسن المسالك. والله لا يستحي من الحق.

فإن القول بأن قدرة العبد مؤثرة بإذن الله تعالى، لا بالاستقلال: هذه عبارة لم يظهر لنا المراد منها على طريقة أهل العلم الظاهر ولا[٦٩] على طريقة أهل العلم الباطن، غير ما سنذكره من الكلام، كما أشرتم في الرسالة الثانية، أن هذا مبني على طريقة أهل العلم الباطن من الصوفية المحققين. أما أنه لم يظهر لنا المراد منها على طريقة أهل العلم الظاهر، فبيانه أن كون قدرة العبد مؤثرة بإذن الله تعالى، لا بالاستقلال، لا يخلو من أحد معان ثلاثة.

المعنى الأول: أن يكون التأثير من قدرة العبد وحدها، فلا معنى حينئذ| ٤٦/ب لكونه بإذن الله. وصريح قولكم «لا بالاستقلال» يمنع هذا الاحتمال.

المعنى الثاني: أن يكون التأثير بإذن الله تعالى وحده، لا بقدرة العبد. فتبقى نسبة التأثير إلى قدرة العبد تحتمل شيئين. أما الأول، فتحتمل أن تكون قدرة العبد غير قدرة الرب تعالى، لأنها عرض حادث، وقدرة الرب قديمة. فيبقى القول بأنها «مؤثرة بإذن الله تعالى، [لا][٧٠] بالاستقلال،» مجرد نسبة، لا أنها مؤثرة في حقيقة الأمر. فيلزم من هذا موافقة هذا القول للقول الآخر:

٦٩ لا، ساقطة في أوب. ٧٠ لا، ساقطة في أوب وت.

أن التأثير عندها لا بها. ولا يكون الفرق بينهما إلا لفظيًّا، وليس النزاع اللفظي من شأن المحصّلين. وأما الثاني، فيحتمل أن تكون قدرة العبد هي بعينها قدرة الرب سبحانه، ولكنها تنزّلت وتعيّنت، كما أشرتم إليه في الرسالة الثانية. فيلزم ٤٧ب من ذلك استدراك القول «بإذن الله،» والقول «لا بالاستقلال،»|⟧[٧١] بل بالاستقلال حينئذ، لأن قدرة الله تعالى لا يشاركها غيرها في التأثير. وعلى ١٨أ هذا الاحتمال| الثاني أيضاً لا بد من عرض حادث يسمى «قدرة العبد،» لا تأثير له، ممسوك بقدرة الله تعالى في العبد، لا بسببه تنسب قدرة الله تعالى للعبد. فيقال: قدرة العبد هي قدرة الله تعالى تَنَزّلت، أي بذلك العرض الحادث، وتَعَيّنت في مقدارها به. فالقول بأن قدرة العبد مؤثرة، والمراد بها قدرة الله تعالى المُتنزّلة المُتعينّة في ذلك العرض الحادث المذكور، قول بأن[٧٢] ذلك العرض الحادث الذي تنزّلت إليه قدرة الله تعالى وتعينت به لا تأثير له، بل التأثير لقدرة الله تعالى عنده لا به، وهو مذهب الأشعري المشهور. فإن القائل بهذا المذهب المشهور لا يمنع صحة نسبة الأفعال إلى قدرة العباد على وجه الإعارة من الله تعالى، لكن مراده بكون التأثير عندها لا بها، بيان حقيقة الاعتقاد في ذلك على وجه التفصيل. كما أن القول بتأثير قدرة العباد بإذن الله، إذا قلنا به، كان إجمالاً لذلك التفصيل. ويؤيد هذا ما نقله الشيخ القزويني

---

٧١ النص المحدد بين الإشارتين (⟦ ⟧) ساقط في ب. ٧٢ بإذن، في أ.

في حاشيته على شرح الجلال الدواني لعقائد العضد، رحمهم الله تعالى،[٧٣] قال: «فالأشعري والحكماء متّفقون على أن لا مؤثر في العالم إلا هو سبحانه ومختلفون في إثبات التوقف ونفيه. فالحكماء يقولون تأثيره سبحانه في الحقيقة موقوف على آلات وشرائط، لا يمكن تأثيره بدونها. والأشعري ينفي ذلك ويقول: لا توقف لتأثيره في الحقيقة على شرط وغيره. فالشروط والآلات ليست عللاً حقيقية[٧٤] وإنما هي عللٌ عادية، فإن الله سبحانه يحتاج إليه جميع ما يتوقف عليه كل شيء، ولا يحتاج شيء من الأشياء في حدوثه و وجوده إلى غيره تعالى. وقوله تعالى: ‹أليس الله بكافٍ عبده› إشارة إلى هذا.» انتهى كلامه. فإنّ جَعْلَه الأسباب عللاً عادية من غير تأثير، هو صحة نسبة التأثير إليها على وجه الإعارة في الإنسان وغيره، ولا يلزم الجبر من كون التأثير| لقدرة الله ١٨/أ تعالى وحدها عند قدرة العبد لا بها، كالتأثير في المسببات لقدرة الله تعالى عند الأسباب لا بها. لأن القدرة المخلوقة في العبد تنفي عنه العجز، لأنه ضدّها، كالسواد ضد البياض. فكما أن القدرة معنى حادث يخلقه الله تعالى في العبد فيسمى به العبد «قادراً،» العجز أيضاً معنى حادث يخلقه الله تعالى في العبد فيسمى به «عاجزًا.» وحيث خلق الله تعالى القدرة فلا عجز. والإرادة المخلوقة في العبد أيضاً تنفي عنه الجبر، لأنه ضدها أيضاً. فكما أن الإرادة

٧٣ ربما قصد «حاشية العدة» لخليل بن الغازي القزويني (ت ١٠٨٩هـ / ٩-١٦٧٨م). أما

عرض حادث يخلقه الله تعالى في العبد فيسمى به العبد «مريداً،» الجبر معنى آخر يخلقه الله تعالى في العبد فيسمى «مجبوراً.» ويجوز أن يكون العجز والجبر عدم القدرة وعدم الإرادة، فالقدرة والعجز ضدان أو نقيضان، وكذلك الإرادة والجبر. والضدان والنقيضان لا يجتمعان، فمن كان قادراً لا يكون عاجزاً، ومن كان مريداً لا يكون مجبوراً. والعبد المكلّف قادر مريد بالإجماع من أهل السنة والجماعة، فليس بعاجز ولا مجبور. وكون قدرته وإرادته لا تأثير لها في شيء أبداً لا يقتضي قلبهما عجزاً وجبراً، لأنه ليس من شرط القدرة والإرادة التأثير، فإن الله تعالى في الأزل قادر بقدرة ومريد بإرادة لا تأثير منهما ظاهر في الأزل، لأن العالم حادث. فكما أن الله تعالى موصوف بالقدرة والإرادة أزلاً وأبداً اتصافاً حقيقياً، لا بسبب تأثيره تعالى في العوالم، وهو تعالى لم يَخْلِق له هاتين الصفتين، بل هما له أزلاً وأبداً، ليستا غير ذاته ولا عينها، كذلك عبده المكلف قادر على جميع ما كلّفه به بقدرة، ومريد لجميع ما قدره الله تعالى في الأزل وقضاه عليه من خير وشر بإرادة. والقدرة والإرادة لذلك العبد حقيقة وإن لم يكن مؤثراً بهما في شيء، ولم يخلقهما العبد لنفسه بل

عقائد العضد فهو كتاب *العقائد العضدية* للقاضي عضد الدين الإيجي (ت ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م)، و*الشرح* لجلال الدين الدواني (ت ٩٠٨هـ / ٣-١٥٠٢م). ٧٤ حقيقة، في أ و ت؛ هذا الجزء من النص ساقط في ب.

خلقهما الله تعالى له، فاتصف العبد بهما. فالعبد قادر مريد، لا عاجز ولا مجبور، ١٩أ ومع ذلك فلا تأثير لقدرته ولا لإرادته. كما أن الله تعالى قادر مريد في الأزل، ولا تأثير في الأزل لقدرته تعالى ولا لإرادته، بل فيما لا يزال. وليس الله تعالى في الأزل بعاجز ولا مجبور. فإن قلت: إذا كان العبد قادراً ولا تأثير لقدرته، يكون قادراً على أي شيء؟ لأن القدرة من صفات الإضافة، وكذلك الإرادة. قلت: هو قادر على ما يخلقه الله تعالى له من الأفعال، ومريد لذلك من خير أو شر، ولا تأثير له فيما هو قادر عليه، مريد له. كما أن الله تعالى في الأزل قادر على ما هو سيظهر فيما لا يزال من الكائنات ومريد لذلك، ولا تأثير له تعالى في الأزل، بل فيما لا يزال. وكذا العبد، فإنه مخلوق على صورة الصفات الإلهية مع التنزيه التام، فإذا ظهر ما قدره تعالى على العبد من الخير والشر، يكون ذلك هو مقدور العبد بقدرته الحادثة التي ما أثرت فيه، ومراده بإرادته الحادثة التي لا تأثير لها أيضاً. كما أن العالم الحادث، لما ظهر فيما لا يزال، كان مقدور الله تعالى بقدرته القديمة، التي لا أثر لها معها في الأزل، ومراده بإرادته القديمة كذلك. ونظيره فينا اليد والرجل خلقهما الله تعالى منسوبتين إلينا، لا إليه سبحانه. فنقول هذه يدنا ورجلنا حقيقة لا مجازاً، لأن الله تعالى خلقهما لنا لا له. وكذلك جميع أفعالنا في الخير والشر خلقها الله تعالى منسوبة إلينا، فهي أفعالنا حقيقة، لا أفعاله تعالى. وأما

أفعاله تعالى فهي نحن وأفعالنا، لا أفعالنا فقط. فأفعالنا كلها الصادرة بقدرتنا وإرادتنا، من غير تأثير منّا فيها، أفعالنا حقيقة، نستحق عليها ثواباً أو عقاباً، فضلاً من الله تعالى وعدلاً. والمؤثر فيها كلها هو الله تعالى وحده، ولا دخل لنا في التأثير قطعاً. فكان تعالى نائباً عنا في تأثيره فيها، ونحن نائبون عنه في الاتصاف بها دونه تعالى. فنصرح ونقول عن جميع ما يصدر منا: أنها أفعالنا حقيقة. نحن الفاعلون| لها دون الله تعالى بقدرتنا وإرادتنا، ولكن لسنا مؤثرين في إيجادها أصلاً. وإذا بينّا اعتقادنا في ذلك، قلنا أنها كلها يخلقها الله تعالى، عند قدرتنا عليها وإرادتنا لها المخلوقتين فينا، لا بهما، ولا تأثير لنا في شيء من ذلك أبداً. ولا حُجّة لنا على الله تعالى، لأنه تعالى ما خلق ذلك لنا إلا بعد خلقه فينا قدرة على ذلك وإرادة له. ومع القدرة والإرادة فلا عجز ولا جبر، كما قدمناه. وذكر القزويني في حاشيته على شرح الجلال الدواني، قال: «المراد بكسب العبد فعله، أي فعله المقارن لقدرته وإرادته من غير أن يكون هناك منه تأثيراً ومدخل في وجوده سوى كونه محلاً له. فإن قلت: فما الفرق بين حركة العبد وبين حركة حجر في يده بتحريكها له. قلت: الفرق بينهما بالعلم. فإن العبد عالم بحركته والحجر غير عالم بها، على مذهب المتكلمين. وأما مذهب الصوفية، فلا فرق بينهما من هذه الجهة، لأن الحجر أيضاً عالم. فإن قلت: إذا كانت حركته بقدرة الله، كحركة حجر بيده، فلماذا هو يستحق

١٩/أ

الثواب والعقاب من الله تعالى، ولماذا يستوجب المدح والذم منه تعالى، والحجر لا يستحق من الله ثواباً، ولا عقاباً، ولا مدحاً، ولا ذماً؟ وأيضاً، إذا لم يكن للعبد قدرة على فعله، وفعله لم يكن صادراً منه باختياره، بطلت قاعدة التكليف والتأديب الشرعي وغيره. قلنا: أما استحقاقه للمدح، فيجوز أن يكون للمحليّة، كما يُمدح حَسَن الصورة على صورته الحسنة الخلقيّة، ويُذم قبيح الصورة على قبح صورته الخلقيّة. وأما ترتب الثواب والعقاب على حركة العبد دون حركة الحجر، فكترتب ساير العاديات على أسبابها. فكما لا يقال لم ترتّب الإحراق على مجاورة النار دون الماء، فكذلك لا يقال لم ترتّب الثواب والعقاب على حركة العبد دون حركة الحجر. فإن هذا لا يقتضي ترتبهما، كمجاورة الماء من حيث أنها لا تقتضي الإحراق هذا.| وأما التكاليف والآداب الشرعية فلأن الأسباب العادية التي يترتب عليها الثواب والعقاب، لما كانت أموراً اختيارية وأعمالاً إرادية، كحركة العبد، وسكونه، وغيرهما، أوجبت تكاليف وآداباً شرعية.» انتهى.

٢٠أ

المعنى الثالث: أن يكون التأثير بقدرة العباد وبإذن الله تعالى معاً، على معنى اشتراكهما في حصول التأثير، وهو غير مرادكم قطعاً، لأنه شِركٌ مَحْض، أو على معنى أن قدرة العباد هي قدرة الله تعالى تنزّلت وتعيّنت، كما ذكرنا فيما قبل. فأي مرجح يقتضي جعل قدرة العباد هي قدرة الله تعالى فقط، ولا يجعل سمع العباد سمع الله، وبصر العباد بصر الله، وجميع صفات العباد صفات

الله تعالى، تنزّل جميع ذلك وتعيّن، حتى وجود العباد هو وجود الله تعالى، تنزّل وتعيّن فظهر عباداً. وإذا أُريد ذلك، فأي معنى للتنزّل والتعيّن غير إيجاد الله تعالى هذه الأعراض المجتمعة المسماة «إنساناً،» التي منها عرض يسمى «قدرة،» وعرض يسمى «إرادة،» وغير ذلك. وقد نسبت صفات الله القديمة إلى هذه الأعراض الحادثة الممسوكة بتلك الصفات القديمة، فكان هذا المعنى نزولاً وتعيناً عند العبد. فحيث نظرنا لكون قدرة العبد هي قدرة الله تعالى المؤثرة، ولا قدرة للعبد غيرها، إذ لا وجود للحادث مع القديم، لأنه موجود به لا بنفسه، فلا وجود له[٧٥] معه، يلزمنا أيضاً أن ننظر إلى كون وجود العبد هو وجود الله تعالى، وكذلك باقي صفاته صفات الله تعالى، ولا نقول ذلك في القدرة فقط. لأنه يلزم منه ثبوت العبد مغاير للرب تعالى، ومع ذلك قدرته هي قدرة الله تعالى، وهو غير مستقيم. فإما أن تثبت العبد مغايراً للرب تعالى، وله صفات مغايرة لصفات الرب تعالى لا تأثير لها البتة، وإما أن تنفي العبد، لأنه مجموع أعراض حادثة قائمة بالرب تعالى، لا وجود لها من نفسها أبداً، وإنما الوجود للرب تعالى الممسك لها، وهي على ما هي عليه من عدمها الأصلي. ولكنها فارقت العدم المحض بالحكم عليها منه تعالى بما حكم. فيكون| الثابت صفات الله تعالى وحدها، ٢٠/أ متنزلاً سبحانه وتعالى بها في تلك الأعراض المجموعة، متعيناً فيها كما هو مذهب

٧٥ له، ساقطة في أ.

المحققين من أهل الله تعالى. وحينئذ فيقال قدرة العباد مؤثرة، ولا يحتاج أن يقال بإذن الله تعالى، لأن قدرة العباد حينئذ هي قدرة الله تعالى لا غيرها. وهذا كله لا ينافي القول بأن قدرة الله تعالى هي المؤثرة وحدها، عند قدرة العباد لا بها، كما أنها مؤثرة وحدها في المسببات، عند الأسباب لا بها، للقطع بأنه تعالى لا يستعين على التأثير بسبب ولا غيره. بل هذا صريح في معنى ذلك. فلا يبقى إلا مجرد نسبة التأثير إلى قدرة العباد وإلى الأسباب. ومجرد نسبة التأثير لا خلاف فيها بين من قال قدرة العباد تؤثر، وبين من قال التأثير عندها لا بها، كما قدمناه.

والحاصل أن هذه العبارة، التي هي قولكم: «قدرة العبد مؤثرة بإذن الله، لا بالاستقلال،» إن أردتم بها محاكاة قوله تعالى: ﴿فهزموهم بإذن الله﴾ [البقرة، ٢٥١][٧٦] ونحو ذلك من الآيات، فهو صحيح. غير أن الآية ونحوها فيها إسناد الفعل إلى العباد فقط، لا التصريح بأنهم هم المؤثرون لذلك الفعل. ومعلومكم أن الإسناد كما يكون حقيقيًا يكون مجازيًا، والمجاز أبلغ من الحقيقة، والقرآن مبنيّ على البلاغة في عباراته. ولئن كان الإسناد حقيقيًا فإن الفاعل حقيقة من اتصف بفعله، كـ«المتحرك» من اتصف بالحركة، وهو العبد لا الخالق. لذلك فلا

٧٦ إن أردتم بها محاكاة قوله تعالى: ﴿فهزموهم بإذن الله﴾، ساقطة في أ.

دلالة في الآية على أن العباد هم المؤثرون. وفي عبارتكم التصريح بذلك. وقولكم بعده: «لا بالاستقلال،» يقتضي المشاركة في التأثير بين قدرة العباد وإذن الله تعالى، وأنتم غير قائلين بذلك. وإن أردتم به الاحتراز عن مذهب القدرية، فقد حصل بقولكم: «بإذن الله.» فلا حاجة إلى زيادة: «لا بالاستقلال.» بل التأثير بإذن الله استقلالاً حينئذٍ. فلا فرق في المعنى الصحيح بين قولكم: «قدرة العبد مؤثرة بإذن الله، لا بالاستقلال،» وبين المشهور من مذهب الأشعري: «أن التأثير عندها لا بها،» إلا في مجرد اللفظ. والنزاع اللفظي لا يترتب عليه تخطئة العلماء. وإن أردتم بقولكم ذلك| غير ما ذكرنا، فبينوه ٢١أ لنا ليحصل الانتفاع بالاستماع. هذا بيان كون هذه العبارة لم يظهر لنا المراد منها على طريقة أهل العلم الظاهر غير ما ذكرناه من رجوعها في المعنى لمذهب الأشعري المشهور بأن التأثير عند قدرة العباد لا بها، وعند الأسباب لا بها. وقد نفيتم هذا المذهب، فبقينا في الحيرة في ذلك لا نعلم المراد من عبارتكم هذه.

وأما بيان كون هذه العبارة لم يظهر لنا المراد منها أيضًا على طريقة أهل العلم الباطن، فإن قدرة العبد، وإن قلنا بأنها هي قدرة الله تعالى المؤثرة بعينها في حقيقة الأمر، وقد تعيّنت بالمظاهر وتعددت بحسب تعدد المكلّفين، فلا بد أن نُثبت مع ذلك في المكلّف عرضًا حادثًا، ولو تقديرًا عدميًا، هو أثرٌ ظهرت

تلك القدرة الإلهية به. لكنه لما لم يكن له[٧٧] وجود مع القدرة القديمة، بل له وجود بها لا معها، كسائر المخلوقات، موجودة بالله لا مع الله، كما هو معروف عند أهل الحقائق، وقد قدمنا ذكره في هذه الصحيفة. قالوا إن قدرة العبد هي قدرة الرب، لا أنهم نفوا ذلك العرض الحادث المغاير لقدرة الله تعالى، الموجود بها لا معها، الذي هو مشهود أهل الغفلة والحجاب، كما يشير إلى هذا كلام الشيخ محي الدين ابن العربي، رضي الله عنه، على حسب ما نقلتم عنه ذلك في رسالتكم الثانية، حيث قلتم، قال في الباب الثاني والتسعين ومائتين من *الفتوحات*: «لو لم يكن للمكلّف نسبة إلى الفعل بوجه ما لما قيل له افعل، وكانت الشريعة كلها عبثاً، وهي حق في نفسها. فلابد أن يكون للعبد نسبة صحيحة إلى الفعل، من تلك النسبة قيل له افعل. وليس متعلقها الإرادة، كالقائلين بالكسب. وإنما هو سبب اقتداري لطيف مدرج في الاقتدار الإلهي الذي يعطيه الدليل، كاندراج نور الكواكب في نور الشمس[...] إذا تجلى في البدر يعطي من الحكم ما لا يعطيه من الحكم بغير البدر، لا شك في ذلك. كذلك الاقتدار الإلهي الذي إذا تجلى للعبد| فظهرت الأفعال عن الخلق، فهو ٢١/أ وإن كان بالاقتدار الإلهي، لكنه يختلف الحكم، لأنه بواسطة هذا المجلي الذي كان مثل المرآة لتجليه.» إلى أن قال: «وكما يُعلم عقلاً أن القمر في نفسه ليس فيه

---

٧٧ له، ساقطة في أوت.

من نور الشمس شيء، وأن الشمس ما انتقلت إليه بذاتها، وإنما كان لها مجلي[...] كذلك العبد، ليس فيه من خالقه شيء ولا حل فيه. وإنما هو مجلي له خاصة ومظهر له.»[٧٨] انتهى كلام الشيخ محي الدين رضي الله عنه.

قلت، قوله: «وإنما هو سبب اقتداري لطيف مدرج في الاقتدار الإلهي،» ثم مثل له باندراج نور الكواكب في نور الشمس، تصريح منه بوجود ذلك العرض الحادث، الذي ذكرناه، المسمى «قدرة العبد،» المشهود لأهل الغفلة. و«السبب الاقتداري» هو ظهور الاقتدار الإلهي على مقدار هذا العرض المذكور في العبد، فإن الاندراج لا يصح من الحادث في القديم. وإنما ذلك اندراج مقدار الظهور من الاقتدار الإلهي في الاقتدار الإلهي نفسه. كما أن نور الكواكب، إذا اندرج في نور الشمس، لم تندرج مقادير صور أجرام الكواكب في نفسه. ويؤيده قوله: «فلا بد أن يكون للعبد نسبة صحيحة.» فإنه صريح في أن العبد له مجرد نسبة، لا تأثير. وكذلك قوله: «فهو وإن كان بالاقتدار الإلهي،» إلى آخره، فإنه تصريح أيضاً بأن التأثير إنما هو بالقدرة الإلهية وحدها. ثم زاده بياناً بجعل ما في العبد من القدرة

---

٧٨ عدا الإسقاطات المشار إليها، هناك اختلافات نصية طفيفة مع نص الفتوحات المطبوع. أنظر ابن عربي، *الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية والملكية* (بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ)، ٢:٦٤٦.

كالنور الظاهر في القمر مقابلته لنور الشمس. ثم صرح بأن نور الشمس لم ينتقل إلى القمر. وتقديره: بل ظهر في القمر أثر نور الشمس، فسمي «نوراً» كنور الشمس. وكذلك في العبد المكلف ما ظهر من قدرة الله تعالى إلا أثرها، فسمي «قدرة حادثة.» والحادث لا يؤثر بإجماع أهل السنة. فقول أهل الحقيقة بأن قدرة العبد هي قدرة الله تعالى، تعيّنت به وظهرت فيه، كقولهم أن نور القمر هو نور الشمس، تعيّن به وظهر فيه. فإنه لولا [أنّ] جرم القمر قَبِل من نور الشمس ما قبل، ما ظهر منه هذا النور الذي هو أثر نور الشمس، لا عين نورها انتقل إليه.[٧٩] وكذلك لولا [أنّ] العبد قَبِل من تجلي الاقتدار الإلهي ما قبل،| ما ظهر منه هذا المقدار من القدرة الحادثة، التي هي أثر الاقتدار الإلهي، لا عين الاقتدار الإلهي انتقل إلى العبد. وأثر الاقتدار الإلهي لا تأثير له في شيء، وإنما التأثير للاقتدار الإلهي نفسه، عند ذلك الأثر لا به. كما أن نور القمر الذي ترتفع به الظلمة في الليل أثر من نور الشمس، لا هو نور الشمس انتقل بنفسه إلى القمر. و رفعه للظلمة إنما هو بقوة نور الشمس المقابلة له في الطرف الآخر من الكرة، التي لولاها ما كان له وجود البتة، لا بقوة نوره هو المستفاد من نور الشمس، الذي هو أثر من نور الشمس. فالرافع للظلمة إنما هو قوة نور الشمس المقابلة للقمر عند ظهور نور القمر في الليل، لا بنور القمر،

٢٢أ

٧٩ انتقل إليه، ساقطة في أ.

لأنه أثر من نور الشمس. فلا يستعين به نور الشمس على رفع الظلمة لأنه أثره، والمؤثر لا يستعين بأثره على أثر آخر. فالظاهر في الليل هو نور القمر، والرافع للظلمة إنما هو نور الشمس وحده، عند نور القمر لا به، من حيث أنه ممد لنور القمر. فنور القمر حجاب على نور الشمس، لأن نور الشمس لا يظهر في الليل. والمحتجب بنور القمر هو نور الشمس، لأن الشمس لا تكون إلا في النهار.]

قال تعالى: ﴿ومن آياته الليل والنهار[٨٠] والشمس والقمر﴾ [فصلت، ٣٧] فمن دقق النظر في معرفة ذلك، عرف قدرته الحادثة التي هي أثر من قدرة ربه القديمة، وعرف كيف صدور الأفعال بقدرة الله تعالى وحدها، عند قدرته هو لا بها. فإن المؤثر في جميع الأفعال الاختيارية إنما هو قدرة الله تعالى وحدها، وهي محتجبة بأثرها الذي هو قدرة العبد. فالظاهر في ليل الأكوان قمر قدرة العبد، مشرقًا إشراقًا ساترًا إشراق ظهور شمس قدرة الله تعالى الباطنة عن ليل الأكوان. فإن قلنا عن نور القمر أنه الرافع لظلمة الليل، بحسب ما هو الظاهر في الحس، كان مرادنا أن الرافع للظلمة هو نور الشمس وحده، القيوم على نور القمر، عند نور القمر. ولا مدخل لنور القمر غير صحة نسبة هذا الرفع إليه، لقيامه بنور الشمس ولظهور| هذا الرفع عنده لا به. وكذلك الأفعال الاختيارية يخلقها| الله تعالى وحده، عند قدرة العبد لا بها. وإنما منعوا أن يقال «بها،» مع أن الله تعالى قائل في

٢٢/أ
٤٧/ب

---

٨٠ الليل والنهار، ساقطة في أ و ب.

كتابه العظيم: ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾ [التوبة، ١٤] لأن هذه الباء التي في الآية ليست للاستعانة، فإن الله تعالى لا يستعين على قتالهم بأيدينا، وإنما هي باء الملابسة، أي بملابسة أيدينا، حتى يصح نسبة ذلك إلينا. فمن قال التأثير بها على معنى «الملابسة» صح، لا على معنى «الاستعانة». والذي منعوه، معنى «الاستعانة» فقط، بدليل تعليلهم المنع بذلك.

ومما يؤيد شرحنا لكلام الشيخ محي الدين ابن العربي، رضي الله عنه، المتقدم نقله عن *الفتوحات*، بما شرحناه به، من أن قدرة العبد لا تأثير لها وإنما التأثير لقدرة الله تعالى وحدها، عند قدرة العبد لا بها، قوله رضي الله عنه في أوائل *الفتوحات المكية* عند تكلمه على عقائد أهل الاختصاص قال:| «النعت الخاص الأخص[٨١] الذي انفردت به الألوهية كونها قادرة، إذ لا قدرة لممكن أصلاً، وإنما له التمكن من قبول تعلق الأثر الإلهي به.»[٨٢] وقال أيضاً: «الكسب تعلق إرادة الممكن بفعل ما دون غيره، فيوجده الاقتدار الإلهي عند هذا التعلق. فسمي ذلك ‹كسباً› للممكن.»[٨٣] وصرح في آخر *الفتوحات*، في باب الوصايا، بأن الأسباب يخلق الله تعالى المسببات عندها لا بها، حيث قال: «ولو كنت تعتقد أن الله تعالى هو الذي وضع الأسباب ونصبها، وأجرى العادة عندنا

٤٨ب

---

٨١ الماحض، في أ و ب. ٨٢ ابن عربي، *الفتوحات المكية*، ١:٨١. ٨٣ المصدر السابق، ١:٨١.

أنه يفعل الأشياء عندها لا بها، فمع هذا كله لا تقل ما نهاك الله عن أن تقوله وتتلفظ به،»[٨٤] إلى آخر عبارته. ثم قال بعد ذلك: «فالمريض لا يزال مع الله، أي مريض كان، ولو تطبب وتناول الأسباب المعتادة لوجود الشفاء عندها،| ومع ذلك فلا يغفل عن الله تعالى.»[٨٥] ثم ذكر في وصية أخرى فقال: «وعليك بأداء الأوجب من حق الله تعالى، وهو أن لا تشرك به شيئًا من الشرك الخفي، الذي هو الاعتماد على الأسباب الموضوعة، والركون إليها بالقلب، والطمأنينة بها، وهو سكون القلب عندها،| فإن ذلك من أعظم رزء ديني في المؤمن.[٨٦] وهو قوله تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ [يوسف، ١٠٦] يعني هذا الشرك الخفي الذي يكون مع الإيمان بوجود الله. والنقص في الإيمان بتوحيد الله في الأفعال، لا في الألوهية. فإن ذلك هو الشرك الجلي الذي يناقض الإيمان بتوحيد الله في ألوهيته، لا الإيمان بوجود الله.» ثم قال: «فإن معنى التقوى [...] أن تتخذ الله وقاية من تأثير الأسباب في قلبك باعتمادك عليها،»[٨٧] إلى آخر عبارته.

٤٨/ب

٢٣أ

وله رضي الله عنه كلام كثير في مواضع شتى من كتابه *الفتوحات*| *المكية*، صريح في أن التأثير لقدرة الله تعالى وحدها عند الأسباب التي منها قدرة العباد، المسماة

٤٩ب

---

٨٤ المصدر السابق، ٤:٤٤٧. «بأنه يفعل الأشياء،» في نص *الفتوحات* المطبوع. ٨٥ المصدر السابق، ٤:٤٤٨. ٨٦ المصدر السابق، ٤:٤٥٤. «سكون القلب إليها وعندها، فإن ذلك من أعظم رزية دينية في المؤمن،» في نص *الفتوحات* المطبوع. ٨٧ المصدر السابق، ٤:٤٥٥.

«تمكنًا» و«كسباً،» لا بها، كما هو المشهور من مذهب الأشعري. فمعنى قوله، رضي الله عنه، في العبارة الأولى: «لا قدرة لممكن أصلاً،» أي لا قدرة مؤثرة في ظاهره أو باطنه، مثل أخص وصف الألوهية، وإنما له التمكن من قبول تعلق الأثر الإلهي به، وهذا المعنى هو المسمى «قدرة» عند الأشعري.

وقال رضي الله عنه في كتابه *مواقع النجوم*، في الفلك اللساني منه في ذكر أمور عادية: «الفرق بيننا وبين طائفة أخرى، أنها عندنا أسباب يفعل الحق سبحانه الأشياء عندها لا بها، وغيرنا يعتقد خلاف هذا، وأن الأسباب هي الفاعلة.»[88] انتهى كلامه. وقال الإمام العارف بالله تعالى عبد الرحمن الجامي، قدس الله روحه،| في آخر رسالته التي جمعها في تحقيق مذاهب[89] الصوفية، والمتكلمين، والحكماء، وسماها *الدرة الفاخرة*: «ذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى إلى[90] أن أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله تعالى وحدها، وليس لقدرتهم تأثير فيها. بل الله سبحانه أجرى عادته بأنه يوجد في العبد قدرةً واختياراً، فإذ لم يكن هناك مانع أوجد فيه فعله المقدور مقارنًا لهما. فيكون فعل العبد مخلوقًا لله تعالى، إبداعًا وإحداثًا، ومكسوبًا| للعبد. والمراد بكسبه إياه، مقارنته لقدرته وإرادته، من غير أن يكون هناك

٤٩/ب

٢٣/أ

---

٨٨ انظر ابن عربي، *مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم* (القاهرة: مطبعة محمد علي صبيح، ١٩٦٥)، ٧٨. ٨٩ مذهب، في أ. ٩٠ إلى، ساقطة في أ.

منه تأثير ومدخل في وجوده سوى كونه محلاً له. وقال الحكماء، هي واقعة على سبيل الوجوب وامتناع التخلف عنها بقدرة يخلقها الله تعالى في العبد، إذا قارنت حصول الشرائط وارتفاع الموانع.»[٩١] انتهى كلامه. ولم يذكر في مسئلة أفعال العباد غير هذه العبارة. فدلّ ذلك أن مراده بقوله: «ذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري،» إلى آخره، بيان مذهب الصوفية والمتكلمين، وأنه مذهب واحد في هذه المسئلة، وإنما خالف في ذلك الحكماء من الفلاسفة. ٥٠ب

والحاصل، لو أنا استقصينا لكم نُقول علماء الظاهر والباطن، في أن التأثير لقدرة الله تعالى وحدها، عند قدرة العباد لا بها، وعند الأسباب لا بها، لخرجنا عن المقصود في الاختصار. ولا يخفاكم ذلك من عبارات كتب أهل السنة والجماعة، متكلمين وصوفية.

وأما قولكم في «مسلك السَداد،» كما ذكرناه فيما سبق: «أن هذا القول يعني كون قدرة العبد مؤثرة بإذن الله، لا بالاستقلال، هو المدلول عليه

---

٩١ انظر عبد الرحمن جامي، *الدرة الفاخرة* (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٢). مولانا نور الدين عبد الرحمن جامي، شاعر وصوفي فارسي مشهور (٨١٧–٨٩٨هـ / ١٤١٤–١٤٩٢م)، ولد في خرجير في مقاطعة جام قرب هراة، وتصوف على يد سعد الدين الكاشغري، تلميذ بهاء الدين نقشبند، مؤسس الطريقة النقشبندية. زار دمشق في رحلته إلى الحجاز في عام ٨٧٦هـ / ١٤٧٢م. كان له شعبية واسعة بين الأتراك وتأثير كبير على التراث العثماني. عرف بنتاجه الشعري بشكل خاص بالرغم من كتاباته النثرية الكثيرة، والتي من أهمها شرحه على *فصوص الحكم* لابن عربي، *نقد النصوص في شرح نقش الفصوص* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥).

بالكتاب والسنة لمن أوتي الفهم عن الله الملك الجواد،» إن أردتم بذلك الفهم، الفهم الذي يقتضي كون قدرة| العبد مؤثرة، وهي بعينها قدرة الله تعالى تنزّلت وتعيّنت، فقد تقدم مالنا فيه من الكلام وأنه لا يخالف قول الأشعري المشهور. وإن أردتم فهماً آخر يقتضي غير ذلك فهو موقوف على البيان. وإن أردتم بكون هذا القول أنه هو المدلول عليه بالكتاب والسنة، من حيث ظاهر الحكم الشرعي في طلب الأعمال من المكلّفين بها، ونسبة العمل إليهم، وذكر الاستطاعة في الكتاب والسنة، وأن ذلك كله يقتضي التأثير من العبد حتى لا يبقى خطاب الله تعالى عبثاً في حق من لا يؤثر، فقد سبق منا بيان صحة نسبة الأفعال الاختيارية إلى العباد حقيقة، وهم لم يؤثروا في ذلك شيئاً،[92] وأن القدرة الإلهية عند القاصرين من| عامة المؤمنين، فيقال لهم قدرة الله تعالى هي المؤثرة وحدها عند قدرتكم لا بها، وأما أن لا يظهر لا نمحاقه| في أنوار القدرة الإلهية عند العارفين الكاملين، فيقال لهم قدرتكم أثرت لأنها هي قدرة الله تعالى عندهم. ولا يحتاج أن يقال «بإذن الله» ولا يقال أيضًا «لا بالاستقلال.»

٥٠/ب

٢٤أ

٥١ب

ولا بد أن يكون في غيب سر العارفين الاعتراف بذلك العرض الحادث المسمى «قدرة العباد» عند القاصرين، حيث هو مناط التكليف في الأمر

---

٩٢ شيئًا، ساقطة في أ.

والنهي. لأن العارفين مكلّفون على كل حال. كيف وسيد العارفين رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم مكلّف بكل ما كلّفت به أمته وزيادة، ولم ينكر قدرته الحادثة فيه على أعماله الظاهرة والباطنة، حيث قال في دعائه: «اللّهم إن قلوبنا وجوارحنا بيدك لم تُمَلكنا منها، فإن فعلت ذلك بهما فكن أنت وليّهما.»[٩٣] ولا شك أن القلوب والجوارح فيها قوى على أمور شتى، وقد جعل كل ذلك| بيد الله. ثم قال: «فإن فعلت ذلك،» أي لم تُمَلكنا منها شيئًا، يعني في مقام القرب إليك والمعرفة بك، «فكن أنت وليّهما.» فقد أثبت في مقام المعرفة القدرة الحادثة على الفعل، وعلى السمع، والبصر، والتناول، والبطش، وغير ذلك. وكل عارف لم يشهد ذلك في حال معرفته بالله تعالى، فهو صاحب حال لا صاحب معرفة، وهو غائب لا حاضر. فإذا حضر اعترف بذلك. ومن المعلوم أن مجرد إسناد الأفعال إلى العباد في الكتاب والسنة لا يقتضي حصول التأثير منهم في ذلك، فإن الإسناد كما يكون حقيقيًا يكون مجازيًا، كما قدمناه. والإسناد الحقيقي يختلف أيضاً باختلاف المسند إليه. فإنه يقال: «مات زيد،» ويسند الموت إليه حقيقة، وهو فعله على معنى أنه اتصف به، وصار قابلاً له مع أنه ما فعله هو في نفسه، بل فعله الله تعالى وحده، والله تعالى| لم يمت. وكذلك: «قام زيد،» والله تعالى، الذي هو خالق القيام، لم يقم، والعبد الذي| هذا القيام

٥١ب

٥٢ب

٢٤/أ

---

٩٣ لم يرد في *تاج الأصول*. ورد في السيوطي، *الجامع الصغير*، ٩٤ (ح ١٥١٢)، عن جابر.

فِعْله، لم يخلقه. فقد فعل العبد ما لم يخلق ولم يؤثر، وكان هذا الفعل منه حقيقة بسبب اتصافه به. فكيف لا يصح التكلّيف على الفاعل الحقيقي، وهو العبد، وإن كان لم يؤثر شيئاً ولم يخلق.

وقد نسب الله تعالى إلى العباد قدرة الكسب ونفى عنهم قدرة التأثير، في قوله سبحانه: ﴿لا يقدرون على شيء مما كسبوا﴾ [البقرة، ٢٦٤] أي قدرة تأثير لا قدرة كسب، لأنه نسب الكسب إليهم ولم ينفه عنهم. ثم قال: ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ [إبراهيم، ١٨] أي اعتقادهم أن لهم قدرة التأثير على ما كسبوا. وليس من شرط صحة الخطاب والتكليف من الله تعالى للعباد أن يكونوا مثله في التأثير، فإن فعل العباد بالنسبة إلى تأثير الله تعالى في الحقيقة انفعال عن فعل، مثل كسرت الإناء فانكسر، أي| طاوع في الانكسار. فالانكسار الذي هو انفعال من الإناء إذا حصل يشبه الفعل منه، وليس بفعل، بل هو انفعال. وقد سماه الشرع «فعلاً» في العبد فطلبه منه، وهو أثر من فعل الفاعل. فحيث أُسند إلى العبد يراد به مجرد النسبة، وحيث أُسند إلى الله تعالى يراد به[٩٤] حقيقة التأثير. ولا يصح أن يتساوى الإسنادان، إذ لا يساوي الله تعالى شيء مطلقاً. فقال تعالى: ﴿وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾ [البقرة، ٢٤٩] وأسند الفعل إلى العباد، وقال ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾ [التوبة،

٥٢/ب

---

٩٤ به، ساقطة في أ.

١٤]، وأسند الفعل إلى الله تعالى. ولا بد أن يكون بين الإسنادين فرق، لئلا يتساوى العبد والرب في التأثير. فيقال: الإسناد إلى العبد إسناد مجازي، وإلى الله تعالى إسناد حقيقي. أو يقال: الإسناد للعبد حقيقة شرعية، ولله تعالى حقيقة لغوية. أو يقال:| الإسناد إلى العبد حقيقة لغوية ٥٣ب على معنى الاتصاف والقبول لا التأثير، مثل إسناد الموت إلى زيد، كما مر في قولك مات زيد، والإسناد إلى الله تعالى حقيقة لغوية أيضاً على معنى التأثير والإيجاد. فيفترقان، فيصح خطاب الشرع حينئذٍ وتكاليفه للعباد المكلفين، وهم الفاعلون — حقيقة شرعية أو لغوية — على| المعنى المذكور لجميع ما ٢٥أ قدره الله تعالى عليهم وقضاه من الأزل وكلفهم به وخاطبهم أمرًا ونهياً في الخير والشر. ومع ذلك هم غير مؤثرين في شيء مطلقاً، بل التأثير عندهم لا بهم، في حال جهلهم وفي حال معرفتهم به تعالى، ما لم يستغرقهم الحال في شهود الجمع، فيشهدون الله تعالى وحده، ولا قدرة لهم من أنفسهم، ولا إرادة، ولا علم، ولا حياة، ولا وجود. وهذه الحالة نقص في المعرفة موصلة صاحبها إلى الزندقة والإلحاد، والعياذ| بالله تعالى، إذا لم تساعده العناية ٥٣/ب الإلهية بإرجاعه إلى مقام الفرق حاكماً بأحكام الله تعالى على كل شيء. ولا يخفى ما ذكره علماء الحقائق في كتبهم من مقام الجمع والفرق، وذكرهم حكمهما منفردين ومجتمعين، وهو جمع الجمع كما هو مفصل هناك. فلا دليل في الكتاب والسنة إلا

على انفراد الحق تعالى بالاختراع والتأثير، وحده لا شريك له. وأما نسبة بعض أفعاله تعالى إلى بعض، كنسبة الأفعال إلى المكلفين وطلب ذلك منهم، كقوله تعالى: ﴿وقالوا الحمد لله﴾[فاطر، ٣٤] ﴿وعملوا الصالحات﴾[البقرة، ٢٥] ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾[الزلزلة، ٢] ﴿اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾[فصلت، ٤٠] ﴿يا جبال أوّبي معه﴾[سبأ، ١٠] ونحو ذلك، فإنما ذلك كله كنسبة البياض للقرطاس والسواد للمداد، مع أنه فعل الله تعالى وحده، لكنه تعالى ما فعله ليوصف به، بل فعله ليوصف به مخلوقه. وقد زاد الله تعالى العباد| المكلّفين على غير المكلّفين من بقية الخلق قدرة حادثة وإرادة حادثة، لا تأثير لهما، ليكمل الاتصاف في العباد بما يخلقه الله تعالى لهم من الأفعال، ويُتوّجه الثواب والعقاب. وإذا كانت الجمادات يصح إسناد الأفعال والأقوال إليها، ويصح خطابها من الله تعالى مع أنها لا قدرة لها حادثة فيها مثل قدرة الإنسان، متوقفة على إرادة حادثة، متوقفة تلك الإرادة على علم حادث، فكيف لا يصح إسناد الأفعال والأقوال ويصح الخطاب بالتكليف| في الأمر والنهي للإنسان المشتمل على القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، وغير ذلك من الصفات. ومعلوم أن الجمادات لا تأثير لها في شيء بالإجماع، وقد أسند إليها الفعل، والقول، والخطاب، كما قال تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان| فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو

٥٤ب

٢٥/أ

٥٤/ب

كرها قالتا أتينا طائعين﴾ [فصلت، ١١] وقال تعالى: ﴿يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء﴾ [هود، ٤٤] ومثل هذا كثير في القرآن، خصوصاً وقد ورد نسبة العقاب أيضاً إلى السماء والأرض لو لم يأتيا طائعين. كما ورد في الحديث فيما ذكره الإمام شهاب الدين عمر السهروردي، رحمه الله تعالى، في كتابه *رشف النصائح الإيمانية وكشف الفضائح اليونانية*، الذي ردّ فيه على الفلاسفة وسفّه علومهم الباطلة. قال، وقد ورد أن موسى عليه السلام قال في مناجاته: «يا رب لو أنك لمّا خاطبت السموات والأرض بقولك ‹ائتيا طوعاً أو كرهاً›، لو عصت ما كنت تفعل بهن. قال: ‹كنت أسلط عليهما دابة من دوابي تبتلعهما›. قال: ‹يا رب وأين تلك الدابة›. قال: ‹في مرج من مروجي›. قال موسى: ‹يا رب وأين ذلك المرج›. قال: ‹في غامض علمي›.»[٩٥] انتهى. ونقل هذا أيضاً غير ٥٥ب السهروردي رحمه الله تعالى. فما بالك بالإنسان المكلف صاحب العقل والحواس، الذي لا هو مجبور لوجود الإرادة الحادثة فيه، ولا هو عاجز لوجود

---

٩٥ نشر الكتاب بعنوان معكوس، انظر شهاب الدين السهروردي، *كشف الفضائح اليونانية ورشف النصائح الإيمانية* (بيروت: دار السلام للطباعة والنشر، ١٩٩٩). شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي (٥٣٩–٦٣٢هـ / ١١٤٥–١٢٣٤م)، أحد مشاهير متصوفة السنّة، ولد في سهرورد في مقاطعة جبال الفارسية، وسافر إلى بغداد صغيراً وتتلمذ على يد عمّه أبو النجيب السهروردي، وفيما بعد على يد عبد القادر الجيلاني. من أشهر أعماله، كتاب *عوارف المعارف* وكتاب *رشف النصائح الإيمانية*. ويجب عدم الخلط بينه وبين معاصره شهاب الدين يحيى السهروردي، المعروف بالمقتول، الذي أعدم في حلب بأمر من القائد صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٧هـ / ١١٩١م.

القدرة الحادثة فيه، ولا هو جاهل لوجود العلم الحادث فيه. وليس من شرط صحة ثبوت هذه الأوصاف للعبد التأثير بها، كما قدمناه. وما أحسن قول ابن عطاء الله رضي الله عنه فيما يناسب هذا: «من علامة اعتماده عليك، أن خلق ونسب إليك.» فجعل الخلق والتأثير منسوبًا إلى الله تعالى وحده. ثم جعل للعبد مجرد نسبة ذلك إليه من غير خلق منه له، ولا تأثير له فيه. ومجرد النسبة معنى القول المشهور عن الأشعري أن التأثير عند قدرة العبد لا بها، وعند الأسباب| لا بها. ٥٥/ب

وأما قولكم في «مسلك السَداد،» كما ذكرناه فيما مر، أن كون قدرة العبد مؤثرة بإذن الله، لا بالاستقلال، «هو المستفاد من نصوص الشيخ أبي الحسن الأشعري| في كتابه *الإبانة*، الذي هو آخر مصنفاته والمعوّل عليه في الاعتقاد.» ٢٦أ فإنكم نقلتم في «مسلك السَداد» ما ملخصه بحروفه، بعد نقلكم عن كتاب «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري،» تصنيف الحافظ ابن عساكر رحمه الله، الرد على القدرية ونحوهم، ثم أوردتم سندكم في هذا الكتاب، ثم ذكرتم حصة من عبارة *الإبانة* مشعرة بتقبيح مذهب المعتزلة القائلين بانفرادهم بالقدرة على أعمالهم، ثم قلتم، قال في *الإبانة*، وهذه عبارتها بالحرف: «قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما| روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث. ونحن بذلك معتصمون، وبما كان ٥٦ب

عليه أحمد بن حنبل نضر الله وجهه قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون. وجملة قولنا، أن نقر بالله وملائكته وكتبه و رسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا نردّ من ذلك شيئًا. ثم قال ونثبت لله قدرة كما قال تعالى: ﴿أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة﴾ [فصلت، ١٥] وأنه لا يكون في الأرض شيء من خير وشر إلا ما شاء الله. وأن الأشياء تكون بمشيئة الله، وأن أحدًا لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله الله، ولا يستغني عن الله. وأنه لا خالق إلا الله، وأن أعمال العباد مخلوقة لله، مقدورة له، كما قال تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات، ٩٦] وأنا لا نملك لأنفسنا نفعًا ولا| ضرًا إلا ما شاء الله، ونصدق بجميع الروايات التي أثبتها أهل النقل، ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين وما كان في معناه.» انتهى بلفظه وحرفه.

٥٦/ب

ومن المعلوم أن هذه العبارة لا دلالة لها على أن قدرة العبد مؤثرة بإذن الله، فضلاً عن ردها| على القول المشهور عن الأشعري أن التأثير بقدرة الله تعالى وحدها عند قدرة العباد لا بها، وعند الأسباب لا بها. بل في هذه العبارة نفيّ التأثير عن قدرة العباد، وأنه لقدرة الله تعالى عند قدرة العباد لا بها، كما هو المشهور. فإن معنى قوله، «وإن أحدًا لا يستطيع أن يفعل شيئًا قبل أن يفعله الله،» أن الله تعالى يفعل ذلك الشيء أولاً ثم أن العبد يفعله

٢٦/أ

بعد ذلك. على معنى أنه تعالى يخلقه والعبد ينسبه إلى نفسه بواسطة قدرته الحادثة فيه التي لا تأثير لها، لا على معنى أن العبد يفعله، أي يؤثره. ومعلوم ٥٧ب أن الشيء الواحد لا يمكن أن يفعل مرتين بتأثيرين. فيتعين المشهور من مذهب الأشعري بأن الله خالق لأفعال العباد الاختيارية، منسوبة للعباد، والعباد كاسبون لأفعالهم الاختيارية على معنى أنهم موصوفون بأنهم فاعلون لها باختيارهم من غير تأثير لهم فيها البتة. ولهذا قال بعد ذلك: «ولا يستغني عن الله،» يعني ذلك الأحد الموصوف بأنه لا يستطيع أن يفعل شيئًا إلا أن يفعله الله. ولو كان ذلك الأحد يؤثر بقدرته بإذن الله، من غير مجرد نسبة ذلك التأثير إليه، كان مستغنياً عن الله، فانتقض قوله ذلك. وصريح قوله: «وأن أعمال العباد مخلوقة لله، مقدورة له،» كما قال تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات، ٩٦] نسبة الخلق والتأثير لقدرة الله تعالى وحدها. ولا ذكر لقدرة العباد، فضلاً عن نسبة التأثير إليها بإذن الله. وكذلك قوله: «إنا ٥٧/ب لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضرًا إلا ما شاء الله،» مقتضاه، أنا نملك ذلك إذا شاء الله. ومعنى «ملكنا له،» اتصافنا بذلك الملك، بواسطة قدرتنا الحادثة فينا التي لا تأثير لها. فملكنا لذلك مجرد نسبة، لا معناه أنا نملك تأثير ذلك النفع أو الضر. لأن ملك التأثير في ذلك لله تعالى وحده، لا يمكن أن يَملِكه أحدٌ غيره[٩٦]

٩٦ أحدًا، في أو ب وت؛ غيره، ساقطة في أ وت.

من خلقه. إذ من المحال أن يخلق الله تعالى عبدًا موصوفًا بصفة قديمة مؤثرة
٢٧أ مثل صفته تعالى. ومحال أيضاً أن تكون صفة الله| تعالى بعينها هي صفة العبد،
فيتصف العبد الحادث بالصفة الإلهية القديمة. ولو قلنا بالإطلاق والتقييد،
كما سبق بيانه في تنزّل صفات الله تعالى إلى صفات العبد وتعينّها بها، فإن
٥٧/ب ذلك التقيّد والتنزّل يقتضي| ثبوت قدرة حادثة للعبد تقيّدت بها قدرة الله تعالى
المطلقة وتعيّنت فيها، كما قدمناه. ولا شك أنّ الحكم إذا ورد على مطلق مقيّد
بقيد كان ذلك الحكم منصبّاً على القيد وحده، كما هو معلوم عندكم. فالقيد غير
المقيّد به، فالمقيّد غير المطلق، فقدرة العبد غير قدرة الرب.

فالذي يقول باتصاف العبد فقط بالفعل دون التأثير منه على هذا المعنى،
ليس بمخطئ. كما أنّ الذي يقول بتأثير العبد في الأفعال على معنى أن قدرة
العبد هي قدرة الحق المقيدة بمظهر خاص خلقه له، ليس بمخطئ أيضًا. لكن قوله
ذلك مشروط بالشهود الذوقي للإطلاق في التقييد، وإلا كان كاذباً في قوله.
ومع ذلك قوله هذا لا ينافي القول الأول بالاتصاف فقط من غير تأثير،
٥٨ب على معنى أن قدرة العبد هي قيد الإطلاق| من دون الإطلاق. ولا ذلك
القول الأول ينافي الثاني، بل قال كل واحد على مشربه. فتبقى تخطئة القائل
بالاتصاف فقط من دون تأثير. وحَملِ عبارته على القول الثاني عدم إنصاف
في الكلام، خصوصاً بهذه المسألة التي يجب إرشاد الأمة فيها إلى الصواب

على حسب عقولهم. والعامة منهم لا يعرفون ما تعرفه الخاصة، ومشارب العقلاء ليست كمشارب أصحاب الأذواق. فالمشهور من قول الأشعري هو الذي يجب أن يقرر للعامة، تعريفاً لهم بما هو الأمر عليه بالنسبة إلى شعورهم بأنفسهم خصوصاً. وقد وجدنا كُلّ العارفين يقررون ذلك في كتبهم في علم الحقائق، كما قدمناه عن الشيخ محي الدين ابن العربي وغيره.

وقلتم في الباب الأول من| «مسلك السَداد»: «ومن الكمالات، القدرة، فهي لله بالذات.| وإذا حصل لعبد ما شيء منها فهو بالله.» أقول، فيا ليت شعري ما معنى حصول شيء منها؟ وهي لا تتجزأ[97] إلا بمظهر خاص لذلك الشيء الذي منها يخلق في العبد، هو عرض حادث يسمى «قدرة العبد،» لا تأثير له، وإنما التأثير لها وحدها عنده لا به. وهو قول الأشعري المشهور. وإذا أردتم ظهور ذلك الشيء من القدرة الإلهية في العبد بغير مظهر له فيه، هو قدرته الحادثة، فقد لزم كون العبد بلا قدرة له، فيكون مجبوراً، وتلك الحصة التي حصلت له من قدرة ربه لم تنفصل عن الرب تعالى، فهي قدرة الرب تعالى، لا قدرة العبد، إذ لا ظهور لها في العبد لعدم المظهر الذي تظهر به في العبد. فلا بد من المظهر وهو قدرة العبد الحادثة. وكذلك قولكم: «قال الله تعالى: ﴿ما

٢٧/أ
٥٩ب

٩٧ لا يتجزئ، في أ و ب و ت. فيما يلي ستكتب بالألف عوضاً عن الياء المقصورة دون الإشارة إلى التصحيح.

٥٩/ب شاء الله لا قوة إلا بالله﴾ [الكهف، ٣٩] وقال صلى الله| عليه وسلم: ‹لا حول ولا قوة إلا بالله›.[٩٨] أي لا قوة حاصلة للعبد بأحد إلا بالله، وما كان بالله فهو لله. فإن هذه الآية وهذا الحديث وتفسيره هذا المذكور، لذلك يقتضي أن للعبد حولاً وقوة بالله تعالى.» انتهى قولكم. وهو معلوم أن العبد له حول وقوة بالله تعالى، لأنه مكلّف، لا عاجز ولا مجبور، بل قادر مريد بقدرة وإرادة فيه حادثتين. ولكن أين التأثير لحوله وقوته، لأنّهما عرضان مخلوقان فيه؟ وكونهما بالله تعالى معناه أن الله تعالى خلقهما، ويخلق عندهما لا بهما جميع ما وجههما تعالى عليه من الأفعال والأقوال، التي قدرها الله تعالى وقضاها على عبده من الأزل، من خير، وشر، ونفع، وضر، في ظاهر العبد وباطنه. فالله يخلق والعبد يوصف بما يخلقه الله تعالى، لا أن العبد مؤثر بحوله وقوته بالله، بدليل ٦٠ب قوله:| «وما كان بالله فهو لله،» أي وكل تأثير يكون بالله فهو لله، لا للعبد. معناه أن العبد لا تأثير له، فكيف يفهم من هذا أن العبد له تأثير؟ والتأثير لله وحده، ٢٨/أ غايته أن| التأثير منسوب إلى العبد، باعتبار كونه بقدرة الله تعالى، عند قدرة العبد لا بها. فلابد من قدرة تكون للعبد وإرادة فيه هما عرضان حادثان يسميان جزءًا اختيارياً، لأنهما من أصل صورته الإنسانية، ومن تمام خلقته، كيده

---

٩٨ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الدعاء، آداب الدعاء وجوائزه: كيفية الدعاء، الراوي أبو موسى الأشعري، ٤:١٦٠. أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي. الحديث مكرر.

ورجله، لكنهما باطنان، واليد والرجل ظاهران. فكما أن اليد والرجل لا تأثير لهما في التناول والمشي، وإنما التأثير لقدرة الله تعالى وحدها، عند اليد والرجل لا بهما، كذلك قدرة العبد وإرادته لا تأثير لهما في إيجاد الأفعال وتخصيصها، والتأثير لقدرة الله تعالى وحدها، عند قدرة العبد وإرادته| لا بهما. ٦٠/ب

ثم قلتم بعد ذلك في «مسلك السَداد»: «قال تعالى: ﴿إن القوة لله جميعًا﴾ [البقرة، ١٦٥] أي القوة الظاهرة في مظاهر الأقوياء من العباد، المتعددة بتعددهم، لله جميعًا لا لهم. لأنها حاصلة لهم بالله وما كان لهم بالله فهو لله لا لهم، وإلا لكانت ذاتية لهم لا حاصلة بالله، واللازم باطل. فاتضح أنّ القدرة واحدة بالذات متعددة بالتعيّنات، وكلما كان كذلك صح القول بتوحيد الأفعال، مع إثبات الكسب للعبد بتأثير قدرته بإذن الله، لا بالاستقلال. إذ لا شك أن العبد لا فعل له اختياريًا إلا بقوة، ولا قوة إلا بالله. فلا فعل له إلا بالله، وما كان بالله فهو لله. فصحّ كليّة لا خالق إلا الله. والله خالق كل شيء مع إثبات الكسب بالتأثير بإذن الله. لأن المكسوب للعبد بالله، بناء على توحيد القدرة، عين المخلوق| لله بالعبد بالذات، وغيره[٩٩] بالاعتبار. فارتفع توهم المنافاة بين القول بتأثير قدرة العبد بإذن الله والقول بأنه لا خالق إلا الله الواحد القهار.» انتهى كلامكم. ٦١ب

---

٩٩ وغير، في أ.

أقول، يا ليت شعري ما معنى «التعيّنات» التي تعددت بها القدرة الواحدة؟ فإن كان المراد بها نفس أفعال العباد، يلزم أن يكون العباد مجبورين لم يخلق الله تعالى لهم قدرة ولا إرادة هما جزء اختياري فيه، كما ذكرنا. فلا فرق بين| الإنسان والجماد. فإن بعض الجمادات لها خواص أيضًا تنفع في الأدوية ونحوها. ومعلوم أن الجماد لا تأثير له ولا قدرة له مخلوقة[١٠٠] فيه أيضاً، غير أن قدرة الله تعالى المطلقة منسوبة إلى ذلك الجماد باعتبار خلق ذلك النفع عنده منسوبًا إليه. وإذا كان الإنسان كذلك، فأي تخصيص لتكليف الإنسان| بأفعاله دون الجماد بأفعاله؟ وإن كان المراد بـ«التعيّنات،» نفس القدرة الواحدة تعددت في نفسها فهو باطل، لأن القديم لا يتجزأ. إذ لا بد من مظاهر هي غير أفعال العباد وغير العباد نفسهم، بل هي أعراض حادثة يسمى كل عرض منها في كل عبد «قدرة حادثة،» لا تأثير لها، والتأثير لقدرة الله تعالى وحدها عندها لا بها. والقول بتعدد القدرة الواحدة بكثرة التعيّنات، على المعنى الذي ذكرناه، لا ينافي عدم تأثير تلك التعيّنات. فكل تعيّن تؤثر منه تلك القدرة الواحدة، والتعيّن نفسه عرض حادث يسمى «قدرة العبد،» لا تأثير له.

٢٨/أ

٦١/ب

وقلتم في «إمداد ذوي الاستعداد»: «فالله خالق أفعال العباد بقوته التي ظهرت في العباد وتقيّدت بحسبهم، صارت قوتهم أيضاً، إذ ليس للعباد

١٠٠ مخلوقة، ساقطة في أ و ب.

قدرة وراء قدرة الله تعالى المتنزّلة إليهم المتقيّدة بحسبهم، فلا تأثير إلا لقدرة الله تعالى على الإطلاق،» إلى آخر العبارة. ويا ليت شعري ما معنى «وتقيّدت بحسبهم»؟ هل كان تقيّدها إلا بخلق ذلك العرض المسمى «قدرة العبد» الذي لا تأثير له، أو تقيّدت بسبب خلقها للعبد نفسه، فيلزم أن لا يكون للعبد من جنسه قدرة حادثة فيكون مجبوراً، وهو باطل؟ أو تقيّدت بخلق أفعاله، فيكون العبد المكلّف كالجماد، كما ذكرنا؟ أو تقيّدت بنفسها من غير مظهر لها، فيلزم تجزّؤ القديم، وهو باطل؟ والقول بأن قوة العباد، لكونها بالله، هي قوة الله الظاهرة فيهم بحسبهم، ولأجل ظهورها فيهم بحسبهم صارت قوتهم أيضاً، هذا إما معناه حلول قوة الله فيهم، وهو باطل، وأنتم منزهون عندنا عن القول به لاعتقادنا فيكم الخير والهدى، وإما معناه ظهورها فيهم بمظاهر لها فيهم. وتلك المظاهر هي أعراض مسماة بـ«القدرات الحادثة» و«الإرادات الحادثة» في العباد الحادثين، وهو ما قلناه فيما مر.

٦٢ب ٢٩أ ٦٢/ب

وقولكم: «إذ ليس للعباد قدرة وراء قدرة الله تعالى المتنزّلة إليهم المتقيدة بحسبهم،» من أشكل الأمور عندنا. فإن أردتم ليس للعباد قدرة مؤثرة وراء قدرة الله تعالى فهو صحيح، كما قدمناه في كلام الشيخ محيي الدين ابن العربي رضي الله عنه. فيبقى قولكم، «المتنزلة إليهم المتقيدة بحسبهم،» يفيد أن الذي تنزّلت به تقيّدت، وهو ذلك العرض الحادث الذي يسمى «قدرة العباد،» الذي يشعر به كل أحد من

نفسه فيفرق بين حركته وهو مرتعش، لا وجود له في العباد عندكم، فيلزم الجبر، أو أنه
٦٣ب بعينه قدرة الله تعالى فيلزم حلولها في العبد،| وهو باطل. فلم يبق إلا أن مرادكم أنه
قدرة الله تعالى، حيث تعيّنت في العبد بخلقها ذلك العرض الحادث فيه، هي بعينها
قدرة ذلك العبد. وما تعيّنت به في العبد لا يسمى «قدرته» لعدم تأثيره، فيلزم من
هذا أن تكون جميع الجمادات والحيوانات قادرة مريدة ينسب إليها جميع ما يصدر
منها من التأثيرات على أنها أفعالها. فتساوي الإنسان في صحة التكليف، لأن كل
تأثير يصدر منها بقدرة الله تعالى المتعيّنة فيها. وليس من شرط التكليف عندكم
وجود قدرة حادثة في العبد، إذ لا قدرة للعبد عندكم وراء قدرة الله تعالى. وقدرة
الله تعالى مع كل شيء، وكل شيء يساوي الإنسان حينئذٍ في جميع التكاليف. فلا
مزيّة للإنسان على غيره، ولا فرق بين من يعقل ومن لا يعقل. فيتحصل من هذا أن
٦٣/ب للعبد| قدرة حادثة غير قدرة الله تعالى المتنزّلة المتقيّدة بحسبه، هي عرض حادث
٢٩/أ يفارق| الإنسان بها جميع الجمادات والحيوانات، كلّف بسببها، لا تأثير لها في شيء
أصلاً، وإنما التأثير لقدرة الله تعالى وحدها، عند قدرة الإنسان لا بها. وليس من
شرط كونها قدرة، تأثيرها، كما بيناه فيما سبق. وكذلك جميع الأسباب، لا تأثير
لها، وإنما التأثير لقدرة الله تعالى عند الأسباب لا بها. والمراد بكونه لا بها، أي لا
باستعانتها — إذ لا يستعين الله تعالى على خلق شيء بشيء[101] أصلاً، لأنه غني لا

---

١٠١ بشيء، ساقطة في أ و ب.

افتقار له، والاستعانة افتقار، فهي محال عليه تعالى — لا أن معناه لا بملابستها. لأن الله تعالى كما يؤثّر بلا ملابسة سبب فيما يريد، يؤثّر أيضاً بملابسة الأسباب فيما يريد. والملابسة لا مانع منها بإجماع أهل السنة، وإنما الممنوع منه الاستعانة فقط. | وكيف يُتصور أن يُمنع من الملابسة، وهي واردة في كلام الله تعالى وكلام رسوله عليه السلام وكلام الأئمة والمشايخ من أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً. قال الله تعالى: ﴿فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها﴾ [التوبة، ٢٦] أي بملابسة جنود، لا بالاستعانة بهم على التأييد. وقال تعالى: ﴿إنما يريد الله أن يعذبهم بها﴾ [التوبة، ٨٥] أي بملابستها، لا بالاستعانة على عذابهم بها. إذ لا يستعين الله تعالى على شيء بشيء مطلقاً. وفي الحديث، «لا يعذب بالنار إلا خالقها،»[١٠٢] أي بملابسة النار، لا بالاستعانة بها على العذاب. والأمثلة لذلك كثيرة.

٦٤ب

وقولكم في «مسلك السَداد»: «وأما قولهم بأن الله يفعل عند الأسباب لا بها، إن أريد به أن فِعل الله بالأسباب، ليس للافتقار إليها، بل إنما هو لحكمة مع غناه عنها، فيكون في معنى الفعل| عندها لا بها، فهو قول صحيح. ولا ينافي كونه تعالى يفعل بالأسباب لحكمة اقتضى جوده و رحمته مراعاتها مع غناه عنها. وإن أريد

٦٤/ب

١٠٢ «لا يعذب بالنار إلا ربّ النار،» ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الجهاد وما يتعلق به من أحكام، باب في الجهاد وما يختص به: أحكام القتال والغزو، الراوي حمزة الأسلمي، ٢:١٦. أخرجه أبو داود.

به أنه لا يصح أن يفعل الحق تعالى بتوسط الأسباب أصلاً، ولا لمقتضى الحكمة مع غناه عنها، فهو قول لا يقوم عليه دليل تام. وقولهم: ‹يلزم الاستكمال بالغير›، يرده أن الاستكمال إنما يلزم لو توقف| الفعل على ذلك السبب حقيقة، واللازم باطل، لقوله تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾[يس، ٨٢] يوضحه أن الله تعالى يقول: ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾[البقرة، ٢٤٣] وذلك أن الله، الذي من شأنه أن يميت ألوفاً بكلمة موتوا، إذا قال: ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾[التوبة، ١٤] مثلاً، فليس ذلك للافتقار إلى أيديهم بل لحكمة بالغة،» إلى آخر العبارة.

٣٠أ

هذا تصريح منكم بأن قدرة| الله تعالى إذا أثرت بالأسباب في المسببات، لم يكن معنى ذلك «الاستعانة» بها على المسببات، بل معناه «مصاحبة» الأسباب و«ملابستها.» وقولهم قدرة الله تعالى مؤثرة عند الأسباب لا بها، أي لا باستعانتها، يدل على ذلك تعليلهم بلزوم الاستكمال بالغير، كما ذكرتم ذلك. وأما مجرد المصاحبة والملابسة للأسباب من غير استعانة بها، لا استكمال في ذلك بالغير أصلاً، فهو غير ممنوع عندهم ولا كلامهم في نفي ذلك، كما يظهر للمتأمل في عبارة الشيخ السنوسي رحمه الله تعالى في شرحه على عقيدته وفي كلام غيره. ولو منع من ذلك لما قال في خطبة شرحه المذكور: «ونشكره تبارك وتعالى، وهو الرؤوف الرحيم الذي بسط بفضله

٦٥ب

منقبض القلوب والألسنة والجوارح، بما شاء من جميل الثناء.» فإن بسطه تعالى لذلك بما شاء، أي بملابسة ما شاء، لا بالاستعانة| بذلك. وقال أيضاً في الدعاء: «وتمم لنا ذلك بحسن الخاتمة،» أي بملابستها، لا بالاستعانة بها على الإتمام. وقال أيضا: «واخلص لي من دعائك إذا خرّجها من جوفي وحرك بها لساني ويدي مولاي المنفرد بإيجاد الكائنات كلها.»[١٠٣] فإن كون الله تعالى حرك بها لسانه ويده، أي بملابستها ومصاحبتها، لا بالاستعانة بها[١٠٤] على تحريك لسانه ويده. وذكر الشيخ محيي الدين ابن العربي رضي الله عنه في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في حضرة الاقتدار، قال: «فالمقتدر حكمه حكم آخر، ما هو حكم القادر. فالاقتدار حكم القادر في ظهور الأشياء بأيدي الأسباب، والأسباب هي| المتصفة[١٠٥] بكسب القدرة، فهي مقتدرة، أي متكلمة في الاقتدار. وليس إلا الحق تعالى. فهو المقتدر على كل ما يوجده عند سبب أو بسبب، كيف شئت قل، وهو قوله: ﴿ألا له الخلق﴾ وما لا يوجده بسبب| هو قوله: ﴿والأمر﴾ ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ [الأعراف، ٥٤] ولهذا اصطلح أهل الله على ما قالوه من عالم الخلق والأمر، يريدون بعالم الخلق ما أوجده الله على أيدي الأسباب، وهو قوله:

٦٥/ب

٣٠/أ

٦٦/ب

١٠٣ انظر محمد بن يوسف السنوسي، *شرح العقيدة الكبرى المسماة عقيدة أهل التوحيد* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦). ١٠٤ بها، ساقطة في أ. ١٠٥ المقتضية، في أ.

﴿مما عملت أيدينا أنعاما﴾[يس، ٧١] وليست سوى أيدي الأسباب، فهذه إضافة تشريف، لا بل تحقيق، وعالم الأمر مما لا يوجد عند سبب. فالله ‹القادر› من حيث الأمر، و‹مقتدر› من حيث الخلق. فهذا تفصيله. يقال ضرب الأمير اللص، وقطع الأمير يد السارق، وإنما وقع القطع من يد بعض الوَزَعة،[١٠٦] والأمر بالقطع من الأمير. فنسب القطع إلى الأمير، فهذا هو المقتدر، فإذا باشره بالضرب، فهو القادر، إذا لم تكن له ثمّ آلة تقطع يده بها من حديدة أو غيرها. فالله يخلق بالآلة، فهو مقتدر، ويخلق بغير الآلة، فهو قادر. فالقدرة| أخفى من الاقتدار، على أن الاقتدار حالة القادر، مثل التسمية حالة المسمى، اسم فاعل، فافهم.»[١٠٧] انتهى كلامه. ٦٦ب

ومعلوم أن مراده بكون الله تعالى يخلق بالآلة، أي بمباشرتها وملابستها ومصاحبتها، لا بالاستعانة بها والافتقار إليها. فإن ذلك محال على الله تعالى إجماعًا. وقد صرح هنا بأن الله تعالى يؤثّر في المسببات بالأسباب، وهو القائل، كما سبق فيما نقلناه عنه: «إن قدرة الله تعالى مؤثّرة عند الأسباب لا بها.» فيتعين أن يكون مراده بكون التأثير بها، أي بملابستها، وكونه لا بها، أي باستعانتها. فلا إشكال حينئذ في المذهب المشهور عن الأشعري رحمه

---

١٠٦ الوزغة، في أوب وت. «الوَزَعة،» رجال الأمن الذين يكفّون الناس عن التعدي والشر والفساد، من «الوَزَع،» كفّ النفس عن هواها. ١٠٧ انظر ابن عربي، *الفتوحات المكية*، ٤:٢٩٧.

الله تعالى، أن التأثير بقدرة الله تعالى وحدها، عند قدرة العبد لا بها، وعند باقي الأسباب لا بها. ولا يحتاج أن يقال أن هذا قوله المرجوع عنه،| وأن آخر مصنفاته كتاب| *الإبانة* واعتماده على ما فيه من أن قدرة العبد مؤثرة بإذن الله، لما سبق أن كونه مفهوماً من كتاب *الإبانة* غير ظاهر. إذ عبارة *الإبانة* لا تخالف هذا المشهور عنه بأن التأثير عندها لا بها. فلا وجه للعدول عنه وجعله قولاً آخر مرجوعاً عنه، بل هو الحق الذي ينبغي التصريح به للعام والخاص، والله ولي التوفيق.

٦٧ب ٣١أ

والحاصل أن قدرة العباد عندكم هي ما تعيّن من قدرة الله تعالى في العبد، ولهذا قلتم أن قدرة العباد مؤثرة. ويبقى عليكم قولكم: «بإذن الله،» لا معنى له حينئذٍ، وكذلك قولكم: «لا بالاستقلال.» بل ينبغي أن يكون بالاستقلال حينئذٍ. وأما قدرة العباد عند جميع القائلين بأنها لا تؤثّر، والتأثير عندها لا بها، إنما هي ما تعيّنت به في العبد قدرة الله تعالى،| لا نفس التعيّن من قدرة الله تعالى. وما ذلك إلا قوة حادثة في القلب، هي عرض متجدد، منبث في الأعصاب والعروق، سارٍ في جميع البدن. جرت عادة الله تعالى أن يخلقه أولاً منبثاً من القلب في اليد مثلاً، ثم يخلق تعالى بقدرته القديمة وحدها عنده لا به، أي لا بالاستعانة به، التناول الذي خلق قبله أولاً في القلب قوة أخرى مثل هذه القوة سابقة عليها، هي عرض حادث أيضاً، وجعلها

٦٧/ب

متوجهة نحو طلب ذلك التناول مثلاً، فسميت «إرادة للعبد.» أو مُنبثّاً في الرجل كذلك، ثم يخلق تعالى عنده لا به، أي لا باستعانته، المشي. أو مُنبثّاً في العين أو في الأذن، وهكذا في جميع أعضاء العبد الظاهرة والباطنة. ثم تعالى يخلق، عند ذلك العرض المنبث لا به، ما يقتضيه كل عضو مما توجهت إرادة العبد المخلوقة فيه أيضاً على طلبه| من ذلك العضو. فليست قدرة العباد عند جميع القائلين بعدم تأثيرها نفس تعيّن قدرة الله تعالى، إذ هذا القول يقتضي كون العبد لا قدرة له من نفسه هي عرض حادث فيه، وهو إنكار للمحسوس. وليست قدرة الله تعالى ولا قوته من الأعراض،| والذي يحس به العبد في نفسه عرض، وكل عرض حادث، وقدرة الله تعالى قديمة وقوته قديمة، والقديم ليس بحادث.

٦٨ب

٣١/أ

ولئن قلنا بأن قدرة العباد هي تعيّن قدرة الله تعالى، كما قلتم، كان ذلك عندنا على معنى لا يقتضي جحود قدرة العباد، التي هي عرض حادث حصل به في العبد ذلك التعيّن المذكور، بل جحود تأثيرها. والتأثير لقدرة الله تعالى المتعيّنة حينئذ، ولا نحتاج[١٠٨] أن نقول «بإذن الله،» ولا نقول «لا بالاستقلال.» بل نقول| بالاستقلال حينئذٍ. على أنّا وجدنا أهل العلم الظاهر والباطن قائلون بأن التأثير لقدرة الله تعالى وحدها عند قدرة العباد لا بها، أي لا باستعانتها،

٦٨/ب

---

١٠٨ ولا يحتاج، في أ و ب.

أو بها، أي بملابستها ومصاحبتها. وكذلك القول في جميع الأسباب، التأثير لقدرة الله تعالى وحدها عند جميع الأسباب، لا بها، أي لا باستعانتها، أو بها، أي بملابستها أو مصاحبتها. ولم نجد أحدًا يسند التأثير إلى قدرة العباد فيقول قدرة العباد مؤثرة غير ما ذكره جماعة من علماء الكلام في كتب علم الكلام. واختلفوا فيه على ستة أقوال. الأول مذهب الجمهور من أهل السنة، وهو الذي عليه المعّول، أن أفعال العباد واقعة بقدرة الله تعالى وحدها، عند قدرة العباد لا بها. الثاني مذهب القدرية، أن أفعال العباد واقعة بقدرة العباد وحدها.[109] الثالث مذهب| الأستاذ أبي اسحق الإسفرائيني، رحمه الله تعالى، ٦٩ب أن أفعال العباد واقعة بمجموع القدرتين: قدرة الله تعالى وقدرة العباد على أن تتعلقا جميعًا بأصل الفعل. الرابع مذهب القاضي أبي بكر الباقلاني، أن أفعال العباد واقعة بمجموع القدرتين، لكن على أن قدرة الله تعالى متعلقة بأصل الفعل وقدرة العباد بكونه طاعة أو معصية.[110] الخامس مذهب إمام الحرمين في آخر أمره، أن لقدرة العباد تأثيرًا في ذات الفعل لكن على وفق مشيئة الله تعالى

---

١٠٩ استنادًا إلى الشهرستاني في كتاب *الملل والنحل* (بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٤)، القَدَريّة هم المعتزلة. «المعتزلة: ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقَدَريّة، والعدلية. وهم قد جعلوا لفظ القَدَريّة مشتركًا، وقالوا: لفظ القَدَريّة يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى،» ١:٤٣.

وإرادته.[١١١] السادس مذهب الحكماء، أن أفعال العباد واقعة على سبيل الوجوب وامتناع التخلف بقدرة يخلقها الله تعالى| في العباد. وتفصيل هذه الأقوال مبسوط في المطولات. وقولكم المذكور هو من قول إمام الحرمين الذي انفرد به في آخر عمره.| وقد مال إليه بعض الحنابلة كابن القيم ونحوه.[١١٢]

٣٢أ

٦٩/ب

وأما القول الأول فعليه الأئمة الموثقون[١١٣] من أهل الظاهر والباطن. حتى قال الإمام السنوسي رحمه الله تعالى، الذي خدم كلامه غالب علماء

---

١١٠ القاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٣م) من مشاهير علماء الأشعرية الذي كان له دور كبير في ترويج وترسيخ الفكر الأشعري. أمضى شبابه في بغداد وسافر إلى شيراز وبيزنطة في سفارة من الخليفة العباسي. درس أصول الدين والفكر الأشعري على أيدي تلامذة أبي الحسن الأشعري، وكان لدروسه رواجًا بين الدارسين. من أهم أعماله *إعجاز القرآن* (بيروت: دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥)، و*الانتصار للقرآن* (بيروت: مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤). ١١١ أبو المعالي عبد الملك الجويني، الملقب بإمام الحرمين (٤١٩–٤٧٨هـ / ١٠٢٨–١٠٨٥م)، من أعلام علماء الكلام الأشاعرة. ولد في قرية بوشتنيكان من قرى نيسابور، إلا أنه تركها بعد معاداة السلطان السلجوقي تغرل بك للأشاعرة. ثم سافر إلى الحجاز حيث داوم على التدريس في مكة والمدينة مدة أربع سنوات، ومنه جاء لقبه إمام الحرمين. عاد إلى نيسابور بعد تسلم الوزير نظام الملك الوزارة وتأسيسه المدرسة النظامية. كتب في أصول الفقه وعلم الكلام. من أشهر مصنفاته *البرهان في أصول الفقه* (بيروت: دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٩٨)، *العقيدة النظامية* (بيروت: دار سبيل الإرشاد / دار النفائس، ٢٠٠٣)، و *الشامل في أصول الدين* (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩). وكان الشيخ أبو حامد الغزالي من أشهر تلاميذه. ١١٢ شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي بكر الزرعي أو الأزرعي، المعرف بابن القيّم الجوزية (٦٩١–٧٥١هـ / ١٢٩٢–١٣٥٠م)، من مشاهير علماء الدين الحنابلة. ولد وعاش ومات

المغرب المحققين بالحواشي والشروح، كالعلامة الشيخ أحمد المقّري وغيره،[١١٤] في شرحه على مقدمته بعد تقرير مذهب أهل السنة والجماعة: «ولا تصغ بأذنك لما ينقله بعض من أولع بنقل الغث والسمين مما يخالف ما ذكرناه من مذهب أهل السنة، فشد يدك على ما ذكرنا فهو الحق الذي لا شك فيه، ولا يصح غيره، واقطع تشوفك إلى سماع الباطل تعش سعيداً وتمت كذلك.» وقد أشبع الكلام في رد هذه الأقوال الفاسدة في شرح الكبرى، حتى قال: «ولا يصح نسبة هذه الأقوال إليهم،» يعني إلى من ذكر من الأئمة، «بل هي كذب عليهم. ولأن صحّت عنهم، فإنما قالوها في مناظرة مع المعتزلة جرّ إليها الجدل.» وقال الإمام اللاقاني[١١٥] رحمه الله تعالى في شرح جوهرته: «من قال في الأسباب العادية أنها

٧٠ب

في دمشق. كان والده قيّماً على مدرسة الجوزية، مركز قاضي قضاة الحنابلة في دمشق، ومنه جاء لقبه ابن القيّم. كان من أشهر تلامذة الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وله دور كبير في نشر وترويج أفكار أستاذه المتشددة وخاصة ضد الصوفية، ولو أنه كان أكثر تأثراً بالفكر الصوفي من أستاذه. حُبس في قلعة دمشق مع ابن تيمية وأمضى سنتين قبل الإفراج عنه في عام ٧٢٨هـ / ١٣٢٨م. من أشهر مؤلفاته *مدارج السالكين* (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١)، وهو شرح على *منازل السائرين* للأنصاري (بيروت: مؤسسة البلاغ، ٢٠٠٤)، و *زاد المعاد في هدي خير العباد* (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨)، و*الطب النبوي* الذي صدر بعدد من الطبعات.

١١٣ الموثوقون، في ت.

١١٤ أبو العباس أحمد المقّري (٩٨٦- ١٠٤١هـ/ ١٥٧٨- ١٦٣١م)، أديب لامع من مقرة قرب تلمسان في الجزائر. له عدد من المؤلفات من أهمها *روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس* (الرباط: المطبعة الملكية، ١٩٦٤) و *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب* (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥).

قديمة مستقلة بالتأثير من طباعها وحقائقها، من غير جعل من الله تعالى، كما هو مذهب كثير من القائلين بها، فقد حكى ابن دهاق وغيره الإجماع على كفره. ومن قال أنها حادثة ولكنه اعتقد مع ذلك أن تأثيرها ليس من طباعها ولا من حقائقها، وإنما هو بخلق[116] الله تعالى فيها قوة مؤثرة ولو نزعها منها لم تؤثر، فهو مبتدع ضال فاسق، وفي كفره خلاف. ومن قال بحدوثها وعدم تأثيرها فيما قارنها لا بطبعها ولا بقوة جعلت فيها، ولكنه مع ذلك اعتقد ملازمتها لما قارنها وأنها لا يصح فيه التخلف، فهذا الاعتقاد يؤول بصاحبه إلى الكفر. لأنه يستلزم إنكار المعجزات وما أخبر به الأنبياء عليهم السلام من المغيبات،| كأحوال| القبر والآخرة، إذ هو من باب خرق العوائد التي تخلفت فيها الأسباب العادية عما يقارنها. ومن اعتقد حدوثها وعدم تأثيرها فيما قارنها لا بطبعها ولا بقوة جعلت فيها، وإنما جعلها مولانا إمارات ودلائل على ما شاء من الحوادث، من غير ملازمة عقلية بينها وبين ما جعلت دليلاً عليه، فهو مؤمن محق وسني صدق.»[117] انتهى كلام

٧٠/ب – ٣٢أ

---

١١٥ الشيخ إبراهيم بن إبراهيم بن حسن، المعروف بأبي الإمداد، الملقب برهان الدين اللاقاني أو اللَّقَاني المالكي (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م)، أحد الأعلام المشار إليهم بسعة الإطلاع في علم الحديث والدراية والتبحر في الكلام، وكان إليه المرجع في المشكلات والفتاوى في وقته بالقاهرة. من أشهر أعماله منظومة في علم العقائد سماها *جوهرة التوحيد*. انظر *متن جوهرة التوحيد* (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ٢٠٠٢). ألف على جوهرته ثلاثة شروحات، كما ألف ابنه الشيخ عبد السلام، الذي تولى منصب والده في الأزهر بعد وفاته، ثلاثة شروحات أيضاً. انظر عبد السلام اللقاني، *شرح جوهرة التوحيد* (حلب: دار القلم العربي، ١٩٩٠).

١١٦ يخلق، في أ.

اللاقاني رحمه الله.

وهذا هو الذي نعتقده وندين لله تعالى به سرًا وجهرًا، وننشره بين الخواص والعوام إتباعًا لجماهير العلماء القائلين به. وأما قولكم المذكور، هو من قول إمام الحرمين رحمه الله تعالى، فهو مُشكل في ظاهره، لا يتبين المراد منه للمؤمن بسهولة، وإن كان في مآله ومرجعه يعود إلى هذا القول في المعنى، إذا دقق الإنسان نظره فيه، فهو قول مجمل. وأما هذا القول فهو تفصيل واضح| لكل أحد. ومن توهم أنه يفهم منه العجز والجبر فما أصاب، لأنه مع القدرة أين العجز، ومع الإرادة أين الجبر؟ وإن كانت القدرة لا تؤثر والإرادة لا تؤثر، فإنه ليس من شرطهما التأثير، كما ذكرناه فيما سبق. والتكليف منوط بهما كما أنه منوط بوجود العبد، وهو بالله تعالى، ولا يؤثر وجودًا آخر أصلاً. والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

٧١ب

هذا ولا مؤاخذة منكم فيما ذكرناه في معرض المباحثة، فإن المقصود ظهور الحق على أي وجه كان. والمأمول أن تنظروا في هذه الرسالة بالتأمل والإنصاف فإنها من فتوح الوقت، ولا يخطرلكم أننا نجادل معكم في الدين فإن الأعمال بالنيات. واكتبوا لنا الجواب منكم عن هذه الرسالة ولو باختصار تأكيدًا لما تضمنته من العقيدة الصحيحة. واقبلوها منا هدية| دينية. ولا تنسونا من صالح الدعوات في الخلوات والجلوات، خصوصًا عند تربة سيد المرسلين

٧١/ب

١١٧ أنظر برهان الدين اللاقاني، *متن جوهرة التوحيد*.

محمد صلى الله عليه وسلم، فالله تعالى يجمعنا هناك معكم إن شاء الله تعالى قبل الممات. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وأنتم في أمانة الله تعالى وحسن ١٣٣أ توفيقه. وقد حُررت في مجالس آخرها يوم الجمعة بعد صلاتها، التاسع عشر من شهر رمضان المعظم من شهور سنة[١١٨] تسع وثمانين وألف.

---

١١٨ سنة، ساقطة في أ و ب.

[٠٥ أواخر صفر ١٠٨٩هـ، إلى المولى علي أفندي]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى بلدة تكرداغ[١١٩] من بلاد الروم المحروسة في أواخر صفر من شهور سنة تسع وثمانين وألف، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.[١٢٠] من العبد الفقير الحقير، عبد الغني ابن النابلسي، الحنفي، الشامي، الدمشقي، خادم نعال السادة القادرية والنقشبندية، أخذ الله تعالى بيده، وأمده بمدده، إلى أخيه في الله تعالى، حضرة المولى علي أفندي، القاطن بلدة تكرداغ المعمورة، رفع الله تعالى به شعائر الإسلام وشرائع الأحكام فيما بين الأنام، أما بعد: فأوصيك يا أخي بما أوصى الله تعالى به جميع الأمم، بلسان العرب لا العجم، حيث قال تعالى: ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾ [النساء، ١٣١] فالتقوى وصيّة الله تعالى لجميع الأمم الماضين، ولهذه الأمة المفضلة في العالمين. ومعنى «التقوى،» «الاحتراز»

٧٢/ب

١١٩ تكفور طاغي، في ت. هكذا وردت في مخطوط الفاتيكان، ولن نكرر الإشارة فيما يلي لهذا الاختلاف عن أ و ب. ١٢٠ الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، في ب. في أ و ت لم ترد كلمة «وكفى» بشكل منتظم بكل الرسائل التي وردت فيها هذه العبارة، لذلك حافظنا على النص كما في أ، ولن نكرر الإشارة فيما يلي إلى ورودها في ب أو ت.

و «التوقي» من مواضع الهلاك الحسي والمعنوي في الدين، والدنيا، والآخرة.
ولمّا أمر الله تعالى بحفظ هذه الثلاثة، كان الاحتراز منها احترازًا من الله تعالى. ولأن المؤثر بالهلاك في تضييعها هو الله تعالى وحده، فتقوى الله تعالى هي تقوى مواضع الهلاك من هذه الثلاثة.

٧٢/ب وليعلم وليي، سدّده الله| تعالى في القول والعمل، أن التقوى على قسمين: تقوى في ظاهر العبد، وتقوى في باطنه. أما التقوى في الظاهر فهي أنواع كثيرة، وهي قسمان أيضاً: تقوى في المعاملة بين العبد وبين الله تعالى، وتقوى في المعاملة بين العبد وبين الخلق. والقسم الأول هو التقوى في العبادات، كالتقوى في الصلاة بإقامتها وإتمام شروطها، وأركانها، و واجباتها، وسننها، ومستحباتها،| وترك مكروهاتها ٣٣/أ ومفسداتها. وتقوى في الصوم، و في الزكاة، و في الحج كذلك، إلى غير ذلك من أنواع العبادات مما هو مقرر معلوم في كتب الفقه. والقسم الثاني هو التقوى في المعاملات، كالتقوى في البيع والشراء، والإجارة، ونحو ذلك، بالاحتراز عن الفاسد منها والباطل واستيفاء شروط صحتها مما يطول بيانه. وأما التقوى في الباطن فأنواع كثيرة أيضاً، وهي قسمان: تقوى في الاعتقاد، وتقوى| في المعاملة. ٧٣ب وتقوى الاعتقاد ثلاثة أنواع: تقوى الاعتقاد في الله تعالى بأن يُحترز من اعتقاد البدعة في جنابه تعالى، فلا يعتقد اعتقاد أحد من الفرق الضالة.

وملخصه أن يبني اعتقاده على التسليم والإذعان للأمر الإلهي على ما هو

عليه في حد ذاته، ولا يبني اعتقاده على ما يظهر له في نظر العقل. فإن العقول لمّا كانت متفاوتة في أصل الخلقة،[١٢١] وكان نظر الفِرَق كلهم بالعقل، اختلفوا وتباينت أقوالهم بالضرورة. فالاحتراز من مذاهبهم بترك النظر بالعقل في[١٢٢] أصول الاعتقاد، فيكون العبد مُسَلِماً مؤمناً فقط، لا مُحتجباً منتقداً. وتقوى الاعتقاد في جناب الأنبياء عليهم السلام، وما يتعلق بذلك من معرفة النبوة والمعجزة، والنظر في دلالة المعجزة على النبوة، ومعرفة عصمة النبيين عليهم السلام، وعدم| منافاتها ٧٣/ب لما نسب الله تعالى إليهم من العصيان والذنب، لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين. وتقوى الاعتقاد في جميع الأمور الأخروية الواردة في الكتاب والسنة، من القبر إلى أن يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار. والاحتراز من اعتقاد البدعة في ذلك بالإيمان به على حسب ما هو في نفسه، مما يعجز عن معرفته الآن العقل التكليفي لعدم وجود مثل ذلك في الدنيا، وتسليم ذلك للشارع والقطع بصدقه على المعنى الذي يعلمه الشارع. وجميع ما يقع في الأفهام تأويل له لا تفسير،| والتأويل لا يُقطع به وإن كان يقال، والتفسير يُقطع به وإن لم يفهم. ٣٤أ والتأويل ما يستخرج بحسب قواعد العربية، والتفسير بالوارد عن الشارع لا غيره. والمطلوب منا في الشرع الإيمان، والتصديق بالغيب، والنظر، والاستدلال،| ٧٤ب والتأمل، والتدبر، بحيث لا يزول الغيب عن كونه غيباً مؤمناً به. فبالعجز عن

---

١٢١ الخلقة، ساقطة في أ و ب. ١٢٢ في، ساقطة في أ و ب.

الإدراك يحصل السير، وبالتفهم والتأمل من غير قطع به يحصل الترقي. كما قال تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿وقل ربي زدني علماً﴾ [طه، ١١٤] ولو أن جميع الفرق الضالة آمنوا بالغيب، واعترفوا بالعجز عما هم مسلمون له من الدين اعتقاداً وعملاً، لترقوا في مراقي الكمال. ولكن آمنوا بما فهموا وعقلوا فقط، وفاتهم الإيمان بالغيب على ما هو عليه، فهم كافرون في زيّ مؤمنين. والله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.[١٢٣]

وأما التقوى في المعاملة فعلى قسمين: تقوى في المعاملة بينك وبين نفسك، وتقوى في المعاملة بينك وبين غيرك. أما تقوى المعاملة بينك وبين نفسك فهي أن تسيء ظنك بنفسك دائماً في الطاعة والمعصية. ففي حال المعصية| معلوم سوء ظنك بنفسك، وأما في حال الطاعة فقد يخفى ذلك. فإن النفس لا يصدر منها طاعة خالصة لله تعالى أبداً، وأهل الإخلاص ما صحت طاعاتهم لله تعالى إلا لأنهم فعلوها بربهم شهوداً ومعاينة، لا بنفوسهم، بل أهملوا نفوسهم. فأعلى درجات أهل النفوس أن يعترفوا بقصورهم عن[١٢٤] أداء طاعات ربهم على الوجه المطلوب منهم، لسوء النفوس التي ابتلاهم الله تعالى بشهودها دون شهود ربهم. وللنفوس أمراض وعللّ باطنية تمنع من التقوى في الباطن يعرفها

٧٤/ب

---

١٢٣ إشارة إلى الآية: ﴿الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون﴾ [الحج، ٦٩]. ١٢٤ من، في أ و ب.

أهل السلوك. وفي *الإحياء* للغزالي و*منهاج العابدين* له أيضاً كفاية، لا سيما كتاب *الرعاية* للمحاسبي.[١٢٥] وكنت ألخص طرفًا من ذلك وأذكره ولكن الوقت أعجلنا.

وبالجملة| فمن ترك التدبير بنفسه، هانت عليه مداواة الأمراض القلبية، كما هي ٣٤/أ

في علم المولى| حفظه الله تعالى. ٧٥ب

وأما تقوى المعاملة بينك وبين غيرك فعلى قسمين، لأن الغير إما أن يدّعي الإسلام أو لا. فتقوى الله تعالى فيمن لا يدعي الإسلام أن تعتقد كفره في الحال على حسب ما يظهر منه، لجميع أنواع الكافرين، وتعامله معاملته الشرعية، وأنت غير قاطع بموته على ذلك، ولا بإسلامه. وانتظر له السعادة، تحبّها له كما تحبّها لنفسك. ولا تستخبثه لذاته بل لوصفه ظاهرًا. وتقوى الله تعالى فيمن يدّعي الإسلام، إن ظهر منه ما يناقض دعواه عندك، أن تؤول جميع أقواله وأفعاله ولو إلى سبعين وجهًا. فإن الله تعالى أوجب عليك جهاد الكافر لتدخله في الإسلام بالسيف، فكيف يجوز إخراج مسلم من هذه الملة الإسلامية بالقول المحتمل والفعل المحتمل. وكذلك| العدالة، أوجب الشارع إقامة الحدود وتنفيذ ٧٥ب

الأحكام لأجل إثباتها،[١٢٦] فلا يسوغ دفعها وإثبات الفسق في أحد من المسلمين

---

١٢٥ انظر أبو حامد الغزالي، *إحياء علوم الدين* (بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٣)؛ *منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين* (جدة: دار المنهاج للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦). الحارث بن أسد المحاسبي، *الرعاية لحقوق الله* (بيروت: دار الجيل، ٢٠٠١).

١٢٦ ثباتها، في أ و ب.

بقول محتمل وفعل محتمل. والاحتمال كائن لا محالة إلا ما لم يعتبره الشرع، كاحتمال كذب الشهود وكذب المُقرّ، فكن مع الشرع حيث كان. ولا تُسِء[١٢٧] الظن بأحد من المسلمين، ولا تتجسس على أحد. وأمر بالمعروف وانه عن المنكر على العموم من غير تخصيص أحد بلسانك ولا بقلبك. واتبع في ذلك سنة الله وسنة رسوله، فإن كتاب الله تعالى فيه الأمر والنهي وكذلك السنة، من غير تعيين في أحد بعينه، فكن أنت كذلك. واغسل باطنك من ظن سيئ في أحد من الخلق، تعش سعيداً وتمت شهيداً. فإن الباطن إذا طهر استعد لغايات الكمال. وأنت بهذا الأمر غير مأمور من طرفي لاعترافي| بالقصور معك في الفضيلة العلمية الظاهرة، ولكن قال الله تعالى: ﴿وتواصوا بالحق﴾ [العصر، ٣] وهو نوع من أنواع ذكر الله تعالى معك. ولا تنساني| من صالح دعواتك وعاجل مكاتباتك، وعليك سلام الله تعالى ورحمته وبركات.

٧٦ب

٣٥أ

١٢٧ ولا تسئ، في أ و ب و ت.

[٠٦ أواخر صفر ١٠٨٩هـ، إلى الملا أحمد]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى قصبة خيره بول من أعمال تكرداغ في أواخر صفر من السنة المذكورة، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: حمد الله حق حمده، وصلاته وسلامه على رسوله محمد وعبده. فمن عبد الغني النابلسي، الشامي، القادري، النقشبندي، إلى أخيه في الله تعالى الملا أحمد حفظه الله تعالى. هذا ذكر الله تعالى معك، أورده في قالب النصيحة والمذاكرة ليعلم وليي، أخذ الله تعالى بيده، وأمده بمدده، أن التكليف من الله تعالى للعبد| طهارة له في ٧٦/ب ظاهره وباطنه. حتى إذا وقف بين يدي ربه، وهو واقف دائماً بين يدي ربه، إن شعر وإن لم يشعر، يكون أهلاً لخطابه، ومستحقاً لرفع حجابه، وكشف نقابه. فإن العبادة خدمة المعبود. وانظر فإن الله تعالى في اليوم والليلة قد أمر المكلفين الداخلين بإسلامهم وإيمانهم تحت رق عبوديته أن يقفوا بين يديه خمس مرات في الصلوات الخمس صفوفاً صفوفاً، واضعين اليد اليمنى على الشمال، متذللين كذلة العبيد قياماً بين يدي من يريد شراءهم. يُعرَضون عليه ليختار منهم من يريد. فإن قبل منهم أحداً أخذه من بين قومه إليه، وأدخله دار

كرامته، وغيّب قلبه عن القلوب، وإن بقي جسده بين الأجساد. فالمقصود هو الله تعالى على كل حال.

وقد سمعت عنك يا أخي أنك متقيد في دينك حريص على امتثال الأمر والنهي، وأنا| أحبك لذلك. وقد أحببت لك ما أحببته لنفسي: أن تدخل ٧٧ب طريقة التقوى الباطنية ليكمل لك الظاهر والباطن. ومرادي بالتقوى الباطنية عبورك من الظواهر المرسومة إلى الحقائق المعلومة، فتشهد بعين البصيرة أنّ كل حركة من حركات الصلاة وغيرها من العبادات لها إشارة ربانية وأسرار رحمانية. وكل حكم من أحكام الشريعة له عمل في الظاهر وعمل في الباطن. والحكم| الشرعي جسد، والحكمة الإلهية روح ذلك الجسد. فلا ٣٥/أ تقنع بالأجساد عن الأرواح، ولا تشتغل بالأرواح عن الأجساد. واجمع بين الظاهر والباطن. وليعلم وليّ سلّمه الله تعالى أنه لا بد في ذلك من دخول الخلوة الشرعية وعمل الرياضة الشرعية. ولا أعني بالخلوة إلا انفرادك بشهود الفاعل الحقيقي دون الفاعل المجازي، ثم شهود| الموصوف الحقيقي دون ٧٧/ب الموصوف المجازي، ثم شهود الموجود الحقيقي دون الموجود المجازي. ودوام هذا الشهود بحيث يستغرق الحس والعقل. وهذه هي الخلوة الحقيقية الروحانية. وأما الخلوة المجازية الجسمانية فهي أن تحبس جسدك في بيت حلال وقوت حلال، وتقطع نظرك ظاهراً و باطناً عن كل ما هو خارج

ذلك البيت بنفي أو إثبات، إلى أن تجد الخلوة الحقيقية، فتخرج من الخلوة المجازية.

ومما يوصل إلى هذا احتفالك واعتناؤك بكتب علوم التصوف، ككتب ابن العربي،[١٢٨] وابن سبعين،[١٢٩] والعفيف التلمساني،[١٣٠] وأضرابهم، قدّس الله

١٢٨ محيي الدين أبو عبد الله بن علي بن محمد بن العربي الحاتمي الطائي، الشهير بابن العربي، والملقب بالشيخ الأكبر (٥٦٠-٦٣٨هـ / ١١٦٥-١٢٤٠م)، واحد من أشهر علماء الصوفية في التاريخ الإسلامي وأوسعهم تأثيرًا. ولد في مرسية بالأندلس ثم انتقل مع والديه صغيرًا إلى اشبيلية حيث أتم تعليمه وتحول إلى مسار الصوفية. ولما بدا نبوغه المعرفي في أول شبابه رتّب له والده لامتحانه لقاء شهير مع قاضي اشبيلية وقتئذ الفيلسوف الكبير ابن رشد. سافر إلى الحجاز مرورًا بشمال افريقية، ثم إلى العراق والبلاد الرومية، وبعدها استقر في دمشق حيث توفي هناك. كان غزير الإنتاج حيث بلغت أعماله بحسب بعض المصادر أربعمائة أو خمسمائة عمل، من أهمها على الإطلاق كتابي *الفتوحات المكية* و *فصوص الحكم*. كان لابن عربي تأثيرًا كبيرًا على عبد الغني النابلسي، الذي اعتبر ابن عربي أستاذه الروحي، وكرس حياته للدفاع عن تعاليمه الدينية وأفكاره الصوفية. ١٢٩ أبو محمد عبد الحق بن سبعين المرسي الأندلسي (٦١٣-٦٦٨هـ / ١٢١٧-١٢٦٩م)، صوفي وفيلسوف مشهور ولد في مرسية في الأندلس وكانت حياته مليئة بالخلافات مع أقرانه. له مجموعة من الكتابات منشورة بعنوان *رسائل ابن سبعين* (باريس: دار ومكتبة بيبليون، ٢٠٠٥). من أشهر تلامذته الششتري، الذي دافع عنه النابلسي في رسالته «رد المفتري عن الطعن بالششتري،» انظر قائمة المخطوطات. ١٣٠ سليمان بن علي بن عبد الله بن علي عفيف الدين التلمساني (٦١٠-٦٩٠هـ / ١٢١٣-١٢٩١م)، أديب وشاعر صوفي، تميز شعره بالبيان والبلاغة. تتلمذ على يد صدر الدين القونوي، أحد أشهر تلامذة ابن عربي، وأثنى عليه ابن سبعين عندما اجتمع به في مصر وفضله على شيخه القونوي. قدم إلى دمشق وشغل عدة مناصب إدارية. له عدة تصانيف منها «شرح أسماء الله الحسنى،» و«شرح مواقف النفّري،» و«شرح الفصوص.»

أسرارهم، بعد غسل البصيرة من شائبة الإنكار على أحد منهم، حتى ينفتح للقلب باب سرّهم النوراني وينكشف له حقيقة ركوزهم| على مراكز الشريعة المحمدية. ويعلم أنهم عالمون بها على الوجه الأتم، عاملون بها من غير بدعة في الظاهر والباطن. ولا يحجب عنهم بإنكار جاهل بطريقهم، متعصب عليهم بالتقليد، أو خائف على غيره من عدم فهم كلامهم، فستتر بإنكاره مع الإيمان بكلامهم بلا إساءة ظن بهم، أنفع له من ذلك، لولا أن الإنسان عدو ما يجهل. وقال الجنيد رضي الله عنه: «الإيمان بكلام هذه الطائفة ولاية.» يعني من غير فهم ولا انتقاد. فإن لكل قوم من العلماء اصطلاحًا في علمهم لا يعلمه غيرهم، فتخطئتهم بلا معرفة اصطلاحهم هو الخطأ. وكلام الصوفية له أهل يعرفونه على طبق الكتاب والسنة، وإن كان ظاهره الاعتراض. وأهله موجودون ولله الحمد في كل زمان ومكان. ومن طلبهم طلباً شرعياً وجدهم.| و «الطلب الشرعي،» الإخلاص والتوكل، وإساءة| الظن بالنفس، وعدم إساءة الظن بالغير، كائناً من كان، والتسليم لله تعالى في مواضع قضائه وقدره بالخير والشر. وأما صاحب الطلب البدعي فإنه لا ينتفع بأحد اجتمع به ولو نبياً من الأنبياء عليهم السلام.

٧٨ت ٧٨/ت ٣٦أ

ومرادي بـ«الرياضة،» حيث ذكرتها، تدريب النفس على درك الحقائق وتعويدها ذلك على كل حال شيئاً فشيئاً. وذلك بالتعلق بالحق المبين، ثم بالتخلق

به، ثم بالتحقق، وهي الرياضة الحقيقية الروحانية. وأما الرياضة المجازية الجسمانية بتقليل أكل الطعام وشرب الماء، كما قال عليه السلام: «حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه.»[١٣١] فهي رياضة مطلوبة لغيرها لا لذاتها. وهي متعيّنة في الجملة ومساعدة على تحصيل الرياضة الروحانية، ما لم تفرط فتؤدي إلى الخيالات الفاسدة، فتكون محظورة مضرّة، ولهذا ذكرها الفقهاء في كتبهم. ٧٩ب
وكنت أشرح لك الخلوة وشروطها حقيقة ومجازاً ومثلها الرياضة، ولكن أعجلنا الأمر بقرب سفر الإخوان إلى جنابكم. والله يهدينا وإياكم إلى صراط مستقيم، ودين قويم، في كل وقت من الأوقات، إلى ساعة الممات.

١٣١ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الطعام، باب ذم الشبع وكثرة الأكل، الراوي المقدام بن معدي كرب، ٧:٤١٠. أخرجه الترمذي.

[٠٧ أواخر ربيع الأول ١٠٨٩هـ، إلى صديق غير مسمى]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى بلدة القسطنطينية المحمية في أواخر شهر ربيع الأول، سنة تسع وثمانين وألف، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. إلى عين عيون الأعيان، وروح أرواح ذوي المهابة والشان، الذي ألبسه الله تعالى حلّة التوفيق، وجعله من خير فريق، وجمّله بمحبة| من انتمى إلى العلم، وكمّله بالعطف على من انتسب إلى الصلاح والحلم، أعطاه الله تعالى مراده في الدارين، وحرس ذاته المأنوسة من حجاب الغين، بشهود العين،[132] أما بعد: فقد قال الله تعالى: ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾[العصر، ٣] و«التواصي،» «تفاعل،» من «الوصية،» فالله تعالى أمرنا أن نوصي بعضنا بعضاً، وبيّن لنا ما نوصي به، وهو «الحق»| و«الصبر.» والحق قسمان: حق قديم وهو الله تعالى، وحق حادث وهو الاعتقاد المطابق، والقول المطابق، والعمل المطابق. أما الوصية بالحق القديم

٧٩/ب

٣٦/أ

١٣٢ عند الصوفية «العين» إشارة إلى ذات الشيء أو الأصل الذي تبدو منه الأشياء، أما «الغَيْنُ» فهي حجاب على القلب يُرتفع بالاستغفار، إشارة إلى الحديث النبوي: «إنه لَيُغانُ على قلبي فاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة.» انظر أنور فؤاد أبي خزام، *معجم المصطلحات الصوفية* (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٣)، ١٣٠، ١٣٣.

فهو أن يقال أن الله تعالى له حضرتان: حضرة التنزّه وحضرة التنزّل. وكلا الحضرتين واردتان في الشرع، معتبرتان في الإيمان. فحضرة التنزّل سنتكلم عليها في الحق الحادث، وحضرة التنزه هي المرادة هنا في الحق| القديم. وهي أنه تعالى غيب مطلق لا تدرك له هوية، ولا تعرف له ماهية، ولا يعرفه فيها عارف أبداً من أهل الخصوص ولا من أهل العموم. وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾ [الأنعام، ٩١] وقوله تعالى: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ [الإخلاص، ٤] وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «سألت جبريل: ‹هل ترى ربك؟› قال: ‹إن بيني وبينه سبعين حجاباً من نور، لو رأيت أدناها لاحترقت›.»[١٣٣] خرّجه الأسيوطي في *الجامع الصغير*. وذكر الشيخ المناوي في شرح هذا الحديث، قوله عليه السلام: «إن دون الله يوم القيامة سبعين ألف حجاب.» وكل أحد من الأنبياء والملائكة عليهم السلام وغيرهم يعترفون بالعجز عن معرفة الله تعالى في هذه الحضرة. ولهذا لمّا سُئِلَ أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «بم عرفت ربك؟» قال: «عرفت ربي بربي.»| فقيل له: «هل يمكن بشر أن يدركه؟» فقال: «العجز عن درك الإدراك إدراك.» وسئل

٨٠ب

---

١٣٣ الهيثمي، *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*، كتاب الإيمان، بابان: باب العقيدة في الله وباب في عظمة الله، الراوي أنس بن مالك، ١:٢٥١. أخرجه الطبراني في *المعجم الأوسط*. ورد في السيوطي، *الجامع الصغير*، ٢٨٣ (ح ٤٦١٠)، عن أنس.

الإمام علي كرّم الله وجهه: «بماذا عرفت ربك؟» قال: «بما عرفني نفسه: لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، قريب في بعده، بعيد في قربه.»

هذا ما يتعلق بالوصية بالحق القديم، وأما الوصية بالحق الحادث، فهي الوصية بالاعتقاد الحق، والقول الحق، والعمل الحق. فالاعتقاد الحق نوعان: اعتقاد في الله واعتقاد في رسول الله. أما الاعتقاد في الله فهو الإيمان أنه تعالى له ذات لا تشبه الذوات، وصفات لا تشبه الصفات، وأسماء لا تشبه الأسماء، وأفعال لا تشبه الأفعال، وأحكام لا تشبه الأحكام، والبحث عن ذلك وتحقيقه على الوجه الذي جاء به القرآن العظيم وأحاديث الرسول| الكريم.| ٣٧أ – ٨١ب وهذه هي الحضرة الثانية لله تعالى، وهي حضرة التنزّل، وفيها عرف الله تعالى العارفون من الأنبياء والملائكة عليهم السلام، والأولياء والمؤمنين رضي الله عنهم. وهي المعرفة اللائقة بالمخلوقين التي كلّفهم الله تعالى بها، التي هي كناية عن مجرد اعتقاد ثبوت ذات مغيّبة عن العقل والحس، موصوفة تلك الذات بأوصاف، مسماة بأسماء، لها أفعال، ولها أحكام. كل ذلك مغيّب عن العقل والحس مثلها. وكل معقول وكل محسوس أشياء مستندة في وجودها وعدمها إلى تلك الذات المذكورة، استناد أثر إلى مؤثر. وهذا المقدار من العلم هو معرفة الله تعالى المفروضة على كل مكلّف، مع ملاحظة تلك الحضرة الأولى التي هي حضرة التنزه، التي لم يُعرف الله تعالى فيها أبداً كما ذكرنا. فجميع ما تكلم فيه

العارفون من معرفة الله تعالى| فهو من حضرة الله تعالى الثانية، حضرة التنزّل، ٨١/ب بحسب ما يليق بهم، وهم ملاحظون حضرته الأولى، حضرة التنزّه. كما قال الجنيد البغدادي رضي الله عنه: «والله والله ما عرف الله إلا الله.» مع أنه تكلم في معرفة الله تعالى بقدر وسعه، وهو معترف بعجزه عما يليق بالله تعالى. فامتثل بذلك مقتضى أمر الله تعالى بقوله : ﴿اتقوا الله ما استطعتم﴾ [التغابن، ١٦] وأوكَلَ ما لم يستطعه إليه تعالى. فهو تعالى أعرف بنفسه. وهذه سنة الأنبياء عليهم السلام، ووصفوا ربهم بما ظهر لهم في حضرة الوحي النبوي، ثم اعترفوا بقصورهم عما يليق به تعالى من المعرفة التي يَعرف هو تعالى بها نفسه. فلم يتركوا جهدهم، واتقوه ما استطاعوا، ولم يتعدوا أطوارهم، بل اعترفوا بقصور ما كان فيهم من العلم بالنسبة إليه. فقالوا: «سبحانك،» وهي كلمة تنزيه| وتقديس. هذا حال الأدباء الأمناء من خلق الله تعالى مع الله ٨٢ب تعالى، فكيف لا تقتدي بهم من البشر العارفون: و﴿أولئك حزب الله... هم المفلحون﴾ [الحشر، ٢٢]

وأما الاعتقاد في رسول الله،| فهو تصديقه صلى الله عليه وسلم في جميع ٣٧/أ ما جاء به من عند الله تعالى. كتصديقه بأنه تلا كلام الله تعالى على الأمة، وهو هذا القرآن العظيم المنقول إلينا عنه صلى الله عليه وسلم، نقلاً متواترًا، وتصديقه بجميع ما فيه من القصص، والمواعظ، والأمر، والنهي، وغير ذلك

من أحوال الآخرة. والتصديق بالأنبياء الماضين وشرائعهم، وبتقدير الخير والشر كله على العباد. وأما القول الحق، فهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالنصيحة في الدين لجميع الخلق على حسب مراتبهم. كما أخرج مسلم في صحيحه عن| تميم الداري، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدين النصيحة. قلنا: ‹لمن؟› قال: ‹لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم›.»[١٣٤] ومن القول الحق، قراءة القرآن، وذكر الله باللسان، وتلاوة أحاديث رسوله عليه السلام، وآثار الصحابة والتابعين لهم بإحسان. وأما العمل الحق، فهو القيام بالفرائض، والواجبات، والسنن، والمستحبّات في الصلوات، والصيام، والحج، والزكاة، والتجنب عن المحرّمات، والمنهيات، والمكروهات، وترويح النفوس بالمباحات.

٨٢/ب

وأما التواصي بالصبر، فبيانه أن الصبر على قسمين: الأول صبر على طاعة الله تعالى أمرًا ونهيًا، وهو حبس النفس والتضييق عليها في إقامة أقسام الحق التي ذكرناها كلها، وتحملها كلفة التكليف بها ومشقته إلى الموت. قال تعالى: ﴿فاعبده واصطبر لعبادته﴾ [مريم، ٦٥] والثاني صبر على جميع ما قدره الله| تعالى على العبد من المصائب، والبلايا، والمحن، والأمراض، والهموم، وأذية

٨٣ب

١٣٤ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب النصح والمشورة، الراوي تميم الداري، ١١:٥٥٧. أخرجه مسلم، وأبو داود، والنسائي.

الخلق، وضيق العيش. كما قال تعالى: ﴿واصبر لحكم ربك﴾ [الطور، ٤٨] وقال تعالى: ﴿إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ [الزمر، ١٠] وعلى الله قصد السبيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

هذا وقد أكثرنا الكلام في موضع الاختصار، لنؤدي بعض ما يجب| علينا ٣٨أ من حقوق المحبة العظيمة الأسرار. فالمأمول عدم الملام في إطالة الكلام مع الكرام، والمرجو هو المقابلة بالقبول، وعدم المؤاخذة حتى لا يخلو المكتوب من بركة، والثواب هو المأمول. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

[٨٠. أواخر صفر ١٠٩٠هـ، إلى الملا أحمد]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى خيره بول المذكورة فيما تقدم في أواخر صفر من شهور سنة تسعين وألف، وصورته:

٨٣/ب بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. أما بعد: فهذا كتاب من العبد الفقير، والعاجز الحقير، عبد الغني ابن النابلسي، الشامي، القادري، النقشبندي، وفقه الله تعالى إلى مرضاته في سائر أوقاته، يخص به حضرة أخيه في دين الله تعالى الملا أحمد، وفّقه الله تعالى في القول والعمل، وبلّغه في الدارين غاية الأمل. نخبر في أوله أنه وصل إلينا مكتوبكم الشريف، فسررنا بذلك. واطلعنا فيه على الابتلاء بالجرح السائل، فطلبنا لكم من حضرة ذي الجلال والإكرام تعجيل الشفاء منه، حيث وجدتمونا أهلاً لذلك، مع أدعية أخرى ترون أثرها إن شاء الله في الدنيا والآخرة. وكتبنا لكم كتاب الدعاء وأهديناه إلى حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسب ما أشرتم به. وأنا الآن أذكر لكم ما[١٣٥] يسليكم عن هذا كله إن شاء الله تعالى. ٨٤ب

فإن الله تعالى جعل الأجسام في الدنيا للأرواح الإنسانية بمنزلة

---

١٣٥ ما، ساقطة في أ.

المطايا التي تنقل الأرواح في مواطن سعادتها[١٣٦] لا غير. فالعافية المطلوبة عافية الأرواح. وربما كان ابتلاء الأجسام موصلاً إلى عافية الأرواح بالصبر والاحتساب على الله تعالى. فإن الأجسام وإن كملت عافيتها مآلها إلى الموت والفناء. فالكامل يسعى في تحصيل كمال الأرواح والنفوس لإكمال الأجسام. ولهذا لما سئل سهل بن عبد الله التُستري رضي الله عنه عن القوت| فقال: «هو ذكر الحي الذي لا يموت.» فقيل له هذا قوت الأرواح ونحن نسألك عن قوت الأشباح، فقال: «دعوا الدار لمالكها، إن شاء خرّبها وإن شاء عمّرها.»[١٣٧] وقال تعالى: ﴿إنّا خلقن الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه﴾ [الإنسان، ٢] فالإنسان مخلوق لـ«الابتلاء،» وهو «الامتحان» من الله تعالى للعبد بالخير وبالشر، كما| قال تعالى: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾ [الأنبياء، ٣٥] وقال تعالى: ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ [الأعراف، ١٦٨] يعني إلينا. والمقصود من الابتلاء، الرجوع

٣٨/أ

٨٤/ب

---

١٣٦ سعاتها، في أ و ب.

١٣٧ سهل بن عبد الله التُستَري (٢٠٣-٢٨٣هـ / ٨١٨-٨٩٦م)، من أعلام الصوفية، ولد في تُستَر في خوزستان وتوفي في البصرة. لقي ذو النون المصري ولكن من الغير المؤكد ما إذا كان قد تتلمذ على يديه. ومن أعلام الصوفية الذين لازموا التستري أبو عبد الله البصري والحلاج. فقدت أغلب أعماله ماعدا اثنين: كتاب *فهم القرآن* المنشور بعنوان *تفسير القرآن العظيم* (القاهرة: الدار الثقافية، ٢٠٠١)، ومجموعة أقوال له بشرح أبي القاسم عبد الرحمن الصقلي. للمزيد انظر الموسوعة الإسلامية ٢ط.

فيه إلى الله تعالى. والابتلاء أنواع كثيرة: ابتلاء بالطاعات لإظهار الشكر والقيام فيها بالرب سبحانه، أو الكفران والقيام بالنفس وإظهار الإخلاص، أو الرياء، وهكذا. وابتلاء بالمعاصي لإظهار التوبة والخوف والفرار إليه تعالى، أو[١٣٨] الإصرار والتمرّد والأمن من المكر. وابتلاء بالإيمان لدوام المراقبة، أو الغفلة عنه سبحانه. وابتلاء بالكفر للفرار إليه سبحانه، أو إلى ما أوجب ذلك الكفر. وكذلك الابتلاء في البدن بالعافية لإظهار الشكر وأنواع الخيرات، أو البطر والغرور. وبالأمراض والأوجاع لإظهار الصبر والانكسار وتكفير الذنوب، أو خلاف ذلك. وكذلك الابتلاء في العرض والمال، والمعيشة،| ٨٥ب والأهل، والولد، والجاه، والمسكن، وغير ذلك، جلباً وصرفاً. فالعالم كله ابتلاء، ولا يعافي الله العبد من بلاء إلا ويبتليه ببلاء غيره إلى الموت. وليس في الدنيا أحد إلا وهو في ابتلاء، خصوصاً المؤمنين، فإن الدنيا لا تخفف من بلائهم شيئاً لعدم اغترارهم بها. قال تعالى: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أنّ يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون﴾ [العنكبوت، ٢] وفي الحديث: «أشدّ الناس بلاء الأنبياء،

---

١٣٨ و، في أ و ب.

ثم الأمثل فالأمثل.»[١٣٩] وأما المبتلون بالشرك الكافرين والعصاة، فقد خفف عنهم اغترارهم بالدنيا، كما خفف عن بواطن المبتلين بالخير دوام مراقبتهم للحق تعالى. وكان بعض الصالحين فيمن تقدم، متى خلى من الابتلاء فيما عدا الدين، استغاث إلى الله تعالى سبحانه| في أن يبتليه خوفًا من البلاء في الدين، إذ ولا بد من البلاء. وفي طبقات الشعراني،[١٤٠] في ترجمة الشيخ علي الخواص، أن الشيخ| أفضل الدين شكا إليه مرة ما يقع له من كثرة النوم. فقال: «لا تلتفت إلى شيء دون الله. فإن من وقف مع الأسباب أشرك مع الحق. وفي لمحة تقع الصلحة.» فقال له: «ويقع لي أيضاً كثرة السهر والقلق في بعض الأوقات.» فقال: «إن كان في فكر في المصالح فمدد وخير كبير، وإن كان السهر مع الغفلة فبلاء نزل يوزعه الله تعالى على المؤمنين حتى يرتفع.» فتأمل يا أخي ما كتبنا لك، والله يتولى هُداك، لأنه مولاك، والسلام.

٣٩أ

٨٥/ب

---

١٣٩ «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم العلماء ثم الأمثل فالأمثل،» الحاكم، *المستدرك على الصحيحين* (بيروت: دار الكتب العلمية، تحقيق عبد القادر عطا)، كتاب معرفة الصحابة، الراوي سعد بن وقاص، ٣:٣٨٦. أخرجه الحاكم. ١٤٠ الشعراوي في أوب وت. هوالشيخ عبد الوهاب الشعراني (ت ١٥٦٥م)، انظر *الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧)؛ و *الطبقات الصغرى* (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩).

[٩٠ أواخر صفر ١٠٩٠هـ، إلى الحاج إبراهيم أفندي]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى خيره بول في التاريخ المذكور، وصورته:
بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. أما بعد: فهذا كتاب من المحب المشتاق، الكثير الأشواق، إلى الأخ في الله، الصالح الفالح إن شاء الله تعالى، الحاج إبراهيم أفندي، أخذ الله تعالى بيده ووفقه، وسلك به مسالك أهل| القرب وحققه. قال الله تعالى: ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾[البقرة، ٢٣٧] وقد تصاحبنا معك مدة من الزمان، ولك علينا حق الصحبة. ولا أشرف من المذاكرة العلمية، خصوصاً على طريق النصيحة الإسلامية، وقال الله تعالى: ﴿وذكّر إن الذكرى تنفع المؤمنين﴾[الذاريات، ٥٥] ٨٦ب

اعلم يا أخي أن جميع ما أنت فيه من أحوالك، ظاهراً وباطناً، مُراد الله تعالى منك في جميع أيامك ولياليك. وكذلك جميع ما ترى فيه غيرك من الأحوال في الخير والشر، والنفع والضر، كله مُراد الله تعالى من ذلك الغير، كائناً ما كان ذلك الغير. ويلزمك أن ترضى بمُراد الله تعالى منك ومن غيرك، لأن الرضا بقضاء الله تعالى وقدره فرض عليك. وذلك كله قضاء الله تعالى وقدره من الأزل عليك وعلى غيرك. ولا تقل كما قال بعضهم: من جملة قضاء الله تعالى

٣٩/أ - ٨٦/ب وقدره على الخلق، الكفر والمعصية. ورضاء العبد بالكفر كفر. وأجاب بعضهم بأن الرضا المفروض على العبد إنما هو بقضاء الله تعالى وقدره، بالمعنى المصدري، الذي هو صفة الله تعالى، لا بمعنى اسم المفعول الذي هو المقضيّ والمقدّر. فإن الكفر مقضيّ به ومقدّر، لا هو قضاء وقدر. فإن هذا الجواب مردود بأنه لا معنى لوجوب الرضاء بصفة القضاء والقدر التي هي لله تعالى، وإنما المراد الرضاء بالمقضيّ والمقدّر من حيث هو مقضيّ ومقدّر. فالرضا بالكفر إنما هو كفر، إذا رضي العبد به من حيث هو كفر. وأما الرضاء به من حيث كونه مقضياً ومقدراً من الله تعالى على العبد فهو فرض لازم، كما ورد في الحديث القدسي: «من لم يرض بقضائي، ولم يصبر على بلائي، فليطلب رباً سوائي.»[١٤١]

إذا علمت هذا فتحقق أن جميع ما أنت عليه، وما هو عليه أيضاً جميع الناس من جميع الأحوال، الإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، كله بقضاء الله تعالى ٨٧ب وقدره، والرضاء به كله فرض عليك من حيث كونه مقضيّاً بقضاء الله تعالى، مقدّراً بقدره تعالى من الأزل على الأزل. وأما من حيث هو صادر من العباد، لكونه فعل العباد، فإن الله تعالى خلق العباد وأفعالهم. فيفترض عليك

١٤١ «... فليلتمس رباً سوائي،» الهيثمي، *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*، كتاب القدر، باب ما جاء فيم يكذب بالقدر ومسائلهم والزنادقة، الراوي أبو هند الداري، ٧:٤٢١. أخرجه الطبراني في *المعجم الكبير*.

أن تفرّق بين الإيمـان والطاعة، فترضى بهما لرضاء الله تعالى بهما، وبين الكفر والمعصية، فلا ترضى بهما لأن الله تعالى لا يرضى بهما. كمـا قال تعالى: ﴿ولا يرضى لعبـاده الكفر وإن تشكروا[١٤٢] يرضه لكم﴾[الزمر، ٧]

فإذا فعلت كذلك و رضيت بالجميع من حيث أنـه من الله تعالى، وفَصَلت في الرضا بين الخير والشر في الجميع من حيث أنـه من الخلق، فاعلم أن من أقطع القواطع عن الوصول إلى معرفـة الله تعالى شهوة الوصول إليـه تعالى. كما قال العـارف المرسي رضي الله عنـه: «من أقطع القواطع عن| الله شهوة الوصول إلى الله.»[١٤٣] وبيانه أن من| اشتهى الوصول إليه تعالى لم يكن راضياً بجميع أحوال نفسـه، كما ذكرنا، من حيث أن جميع ذلك مراد الله تعالى. ومـتى فات الغرض الذي هو الرضـا المذكور، وقع العبد في المعصية وانحجب عن الله تعالى. وكيف يحصل الوصول إليـه تعالى بالمعصية ما لم يشهـد العبد أن شهوة الوصول إليـه تعالى حال من أحوال نفسه المقـدرة عليه أيضاً فيرضى بها، من حيث أنها فعل الله تعالى به، لا من حيث أنهـا فعله هو بنفسه. وكذلك إن وجـد فيه عدم الرضاء بالقضاء وغـير ذلك من المعاصي، فعليـه أن يرضى بذلك من حيث كونـه فعل الله

٨٧/ب

٤٠أ

١٤٢ وإن تؤمنوا، في أ و ب. ١٤٣ لعلّه يقصد العـارف ابن سبعـين المرسي، الذي سبقت ترجمتـه، أو العـارف شهـاب الدين أبو العبـاس المرسي (٦٤٠-٦٨٥هـ / ١٢١٩-١٢٨٧م)، من أشهر تلامـذة أبي الحسن الشـاذلي مؤسـس الطريقـة الشاذليـة، ستأتي ترجمته فيما بعـد.

تعالى به، لا من حيث أنه فعله هو بنفسه. وأما من حيث أنه فعله هو بنفسه، فلا يرضى به إلا إذا كان خيراً. واعلم أن نسبة الفعل الواحد إلى فاعلين،| إنما يمتنع ذلك إذا كان على طريقة واحدة، كخالقين، وأما إن كان مختلف الطرفين فهو صحيح، كخالق وكاسب. فالحركة الواحدة مثلاً، فعل الله تعالى بمعنى خلقه وإيجاده، وفعل العبد أيضاً بمعنى كسبه وسعيه. قال تعالى: ﴿الله خالق كل شيء﴾[الزمر، ٦٢] وقال تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾[الصافات، ٩٦] وقال تعالى: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾[البقرة، ٢٨٦] وقال تعالى: ﴿وإن ليس للإنسان إلا ما سعى وإن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾[النجم، ٤١] ٨٨ب

واعلم أن الإنسان، بل كل شيء في العوالم، بمنزلة الظل عن الله تعالى، كما ورد: «سبعة يظلهم الله في ظله،»[١٤٤] الحديث. وذلك لأنه لا يصدر من الإنسان ولا من غيره فعل من الأفعال ما لم يصدر ذلك الفعل بعينه من الله تعالى. وكذلك الإنسان نفسه ومثله، كل شيء لم يصدر في الوجود حتى صدر بعينه| عن الله تعالى. فالكل صادر من الله تعالى أولاً، وبالذات، ثم ٨٨/ب

---

١٤٤ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الفضائل والمناقب، باب فضائل الأعمال والأقوال: فضل أقوال وأعمال مشتركة الأحاديث ومتفرقة، ٩:٥٦٤. أخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، ومالك في *الموطأ*.

صادر بعينه في الوجود من الإنسان أو غيره ثانياً، وبالعَرَض. كما قال تعالى: ﴿لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾[الأنبياء، ٢٧] وقال تعالى: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾[التكوير، ٢٩] فاحذر يا أخي كل الحذر أن ترمي جانب الله تعالى فيك أو في غيرك من كل شيء، كما قال الله تعالى في قوم: ﴿يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله﴾[الزمر، ٥٦] وعليك بمراقبة الله من هذا الوجه الذي ذكرناه في كل| شيء. ٤٠/أ

واعلم أن العوالم جميعها من حيث هي متحركة وساكنة، وناطقة وصامتة، وعالمة وجاهلة، وكاملة وناقصة، وعاملة وكاسلة، كيفما كانت في خير أو شر، يُفترض تعظيمها من حيث أنها كلها مُراد الله تعالى على طبق قضائه وتقديره، مكشوف عنها بعلمه القديم على أكمل ما يكون من هذا الوجه. وهي كلها أفعال الله تعالى وحده خلقاً وإيجاداً، وهي «شعائر» الله تعالى، أي| «مشعرات» به سبحانه. قال تعالى: ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾[الحج، ٣٢] وهذا طرف المراقبة من العبد لربه. وأما من تلك العوالم في نفسها، باعتبار ظهورها في عالم الكون والفساد، فهي على أحوال مختلفة من الحسن الشرعي والقبح الشرعي، مما لا يخفى على المؤمن. ويجب على العبد من هذا الوجه أن يفرّق بين الخير والشر، فيرضى بالخير ولا يرضى بالشر. وهذا طرف الغفلة والغرور والحجاب عن الله تعالى. ٨٩ب

وأزيدك بياناً على هذا البيان، وأنبهك على أمر آخر، فأقول مثال ذلك هذا القرآن العظيم المكتوب في المصاحف، المقروء بالألسنة، المحفوظ بالقلوب. فإنه كلام الله تعالى، يُفترض الإيمان به ويُفترض تعظيمه مع أنه مشتمل على ذكر الكافرين، والضّالين، وحكاية أقوالهم، وشرح أحوالهم. كقوله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ [المائدة، ٧٣] فقوله: «إن الله ثالث ثلاثة،» لا شك أنه كلام الله، يُفترض الإيمان به، ويَجب تجويد حروفه، ويُفترض تعظيمه، ويُكفر جاحده والمستخف به، ويُفترض الوضوء لمسّه، والاغتسال لتلاوته، ويُثاب عليه بكل حرف عشر حسنات، وتُرفع له عشر درجات. وهذا كله إنما هو باعتبار كونه كلام الله تعالى حكاية عن الكافرين. وأما باعتبار كونه كلام الكافرين، فهو كفر محض يكفّر قائله، إذا لم يحكه عن غيره، وله أضداد الأحكام المذكورة. فانظر كيف وجب الفرق بين كلام الله تعالى وكلام الكافرين في عين الجمع بينهما في كلام واحد. فقوله: «إن الله ثالث ثلاثة،» كلام الكافرين، فهو كفر، وهو أيضاً كلام الله تعالى، فهو إيمان مثاب على تلاوته. وقصد القلب فارق بينهما. ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات.»[١٤٥] فاعرف يا أخي كيف

٨٩/ب

٤١أ

١٤٥ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب النية والإخلاص، الراوي عمر بن الخطاب، ١١:٥٥٥. أخرجه البخاري، ومسلم، وأبوداود، والترمذي، والنسائي.

٩٠ب تنظر في أحوال| العالمين. واعرف كفة الحسنات، التي مثل أطباق السموات والأرض، من كفة السيئات، التي مثل أطباق السموات والأرض أيضًا. فإن قلبك هو قلب الميزان، وأي كفة مال إليها ثقلت، وخفت الأخرى. وقال تعالى: ﴿والسماء رفعها و وضع الميزان. ألا تطغوا في الميزان. وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾[الرحمن، ٧-٩] ولا تقنع بما عليه اليوم أهل الغفلة والحجاب، حيث تركوا جانب الله تعالى بالكلية، فلم يعتبروه إلا من حيث عملهم بنفوسهم، وتمسكوا بجانب الخلق، وتعصب بعضهم على بعض. كأن كل واحد في نفسه إله مستقل، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، و﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾[الحشر، ١٩] ﴿أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾[المجادلة، ١٩]

وتأمل يا أخي ما كتبت لك في هذه الورقة، وكرر نظرك فيها، وتفهمها حق

٩٠/ب التفهم،| تستغني بها عن المرشد الكامل وعن الاجتماع به. فإن من اجتمع بنبي، ليس في قدرة النبي أن يوصله إلى الله تعالى. كما قال تعالى له عليه السلام: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾[القصص، ٥٦] أي «لا توصل،» لا أن معناه أنك «لا تدلّ.» لأنه عليه السلام دلّ من أحب ومن أبغض. كما قال تعالى له: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾[الشورى، ٥٢] أي «تدل.» فالكلام غاية ما عند أهل الكمال والدعاء الصالح. وانصح نفسك بما كتبت لك،

وانصح غيرك من أمة محمد صلى الله علية وسلم. ومتى أشكل عليك أمرٌ أو على غيرك فيما كتبته، أو في غيره من أبواب دين الله تعالى، فاكتب لي به أوضحه لك بمعونة الله تعالى. ولا يهمّك شيء دون الله تعالى. واعلم أن مع العسر يسرا، وأن مع| الصبر الفرج، وأن الله لا يضيع أجر الصابرين. ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا| تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا﴾ [الكهف، ٢٨] وتأمل قوله تعالى: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطًا﴾ [الكهف، ٢٨] والله يتولى هداك، ويجمعنا في حظيرة القدس وإياك، والسلام.

٤١/أ

٩١ب

[١٠. ٢٨ ذو الحجة ١٠٩٠هـ، إلى الملا محمد الحاج الحميدي]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى بلدة القسطنطينية المحمية في اليوم الثامن والعشرين من ذي الحجة، ختام سنة تسعين وألف، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. أبهى سلام وأبهج تحية، وأوفى تسليم وأوفر هدية، وأكمل شوق حملته مطايا الأوراق، إلى جناب الأخ في الله تعالى والصديق الصدوق المحفوظ بعناية الله تعالى الملك الخلاق، الملا محمد الحاج الحميدي، حمد الله تعالى أخلاقه وأعماله، وسدد وقوى على أساس التوفيق أقواله وأفعاله، وجمعنا الله تعالى وإياه في الدنيا في مجالس القرب إليه، وأجلسنا وإياه على موائد الأنس بما لديه، وحرسنا وإياه بعين الهداية، ٩١/ب ببركات أهل التمكين والنهاية، وحشرنا في العقبى جميعاً إن شاء الله تعالى في ظل عرشه العظيم، في دار النعيم، أما بعد: فلا مؤاخذة منك يا أخي في كثرة المكاتبات منا والمراسلات. فإن المحبة أكيدة، والمودة مستزيدة، غير أن الأوقات والساعات عابقة بأنواع الاشتغالات. وقد منّ الله تعالى علينا بالانزواء والانفراد في البيت عن المخالطات، وأشغلنا سبحانه بمحض إحسانه إلينا بالدروس والمطالعات، والتصنيف والتأليف على حسب تيسير الله تعالى

مالك جميع الحالات. والمقصود أن تكون مؤانستنا معك ومراسلتنا بالنصيحة والانتصاح في دين الله تعالى وخلوص النية، ألقى الله تعالى المراسلة بيننا بالمحبة الدينية والنصيحة الإيمانية، ليكثر الثواب من الطرفين، ونبعد| إن شاء الله تعالى| عن الأثر العائق عن القرب إلى العين. وشكر العبد على هديته، هو شكر الرب على عطيته. فإن الله تعالى هو المتصرف في خلقه بخلقه من غير التباس. وفي الحديث الصحيح، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس.»[١٤٦] وذلك لأن الناس أفعال الله تعالى، وأفعالهم أفعاله تعالى أيضًا. فمن شكر أفعالهم فقد شكر أفعاله سبحانه، كما أن من ذم أفعالهم فقد ذم أفعال الله تعالى أيضًا. فإن كان ذمّه بوجه شرعي، فهو حكم الله تعالى على أفعاله سبحانه. والذي ذمّ ليس منه إلا مجرد الحكاية، لأن الذمّ أصله من صاحب الأفعال لأفعاله، وهو العالم بأسرار أحكامه وشرائعه. وإن كان الذمّ لا بوجه شرعي، فهو إثم وعصيان مع اعتقاد الحرمة، وكفر وطغيان مع الاستحلال. ومن هذا الوجه حرّم الله تعالى الغيبة، والشتم، والقذف، والظن| السوء، وما يجر إلى ذلك من التجسس واستكشاف عورات المسلمين وغيرهم من أهل الذمّة. حتى أن الإمام الغزالي نقل في *الإحياء*: «إن من لعن كافرًا معينًا

٩٢ب
٤٢أ
٩٢ب

١٤٦ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الثناء والشكر، الراوي أبو هريرة، ٢:٥٥٩. أخرجه أبو داود والترمذي.

في وقتنا كفر.» لأن اللّعن دعاء له بالبقاء على الكفر، فهو رضاء بالكفر، وهو كفر. وإن رده الشهاب ابن حجر المكي في كتابه *الإعلام بقواطع الإسلام* بأن من أراد البقاء على الكفر لمسلم أو كافر، و رضي بذلك، كفر،[١٤٧] وإن أراد الدعاء بتشديد العقوبة أو أطلق فلا يكفر.

والذي نوصيك به الآن يا أخي مع بقية أحبابنا وإخواننا، حتى لا تخلو هذه الصحيفة من فائدة مهمة، وعائدة ملمة، كثرة الاعتقاد في الصالحين الموجودين اليوم، وفيما سبق، في قطركم وبلادكم الرومية من الأحياء والأموات. ولا يُهان أحد منهم، ولا يُزدرى حاله، ولا يُتجسس عليه، ولا يُستكشف عن عورته، وتُتأول جميع أقواله وأحواله| على حسب ما يمكن. فإن علماء الشريعة حثوا على التأويل، ولم يحكموا بالمحتملات، ونهوا عن استكشاف الأحوال. ولا تظن يا أخي بأن حفظ العلوم الظاهرة الدينية شرط في تحصيل مقام الولاية و| القرب عند الله تعالى، بل الشرط العمل على مقتضاها. والعمل على مقتضاها هو «التوفيق» الذي ذكره علماء الإسلام، وعرّفوه بأنه «خلق القدرة على الطاعة في العبد.» ولم يشترطوا للتوفيق العلم بما يوفقه الله تعالى له. فإن أويس

٩٣ب

٤٢/أ

---

١٤٧ انظر أحمد بن حجر المكي الهيثمي، *الإعلام بقواطع الإسلام* (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧).

القرني[١٤٨] رضي الله عنه لم يأخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما وفقه الله تعالى للعمل الصالح، بأن تولى تعالى تعليمه على اصطلاح في إيصال المطلوب منه إليه، بينه وبينه، لا يعلمه غيره. وإنما شرط الولاية العمل الصالح الخالي من البدع. ولا يعرفه ويميزه إلا من أحاط علماً بمذاهب المجتهدين كلها،| وعرف الأقوال فيها. لأن مذاهب أهل الاجتهاد، وإن اختلفت وتنوعت، فليس شيء منها بدعة. ولا يقال ذلك فيها لأنها بإذن من الشارع. وقلّ اليوم وجود من أحاط علماً بجميع ذلك. وأيضاً لا بد للمحيط بذلك من التجسس والتفتيش على ذلك الولي أيضاً ليختبر أعماله وأحواله كلها، وهو أمر عسر جداً. وحسن الظن هو المنجي من ذلك الولي، وهو السهل المطلوب في الشرع والعرف، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حسن الظن من حسن العبادة.»[١٤٩]

٩٣/ب

وعليك بزيارتهم والتبرك بهم أحياء وأمواتاً، لأنهم القوم لا يشقى بهم جليسهم. فإن الله تعالى إذا وجدك تعظم من أحب صفة الصلاح والولاية، ولو على الكذب في نفسه، رفعك بنيّتك وقصدك إلى أعلى مراتب السعادة، وأرفع درجات السيادة. وقد ذكر النووي في شرح مسلم عند| الكلام على

٩٤ب

١٤٨ أويس القرني، تابعي أثنى عليه الرسول وذكره ابن سعد في طبقاته. ورد ذكره في حديث: «خير التابعين أويس،» السيوطي، *الجامع الصغير*، ٢٤٤(ح ٤٠٠٣)، عن علي. ١٤٩ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب اللواحق، باب أحاديث مشتركة تبين آداب النفس، الراوي أبو هريرة، ١١:٦٩٣. أخرجه أبو داود والترمذي.

حديث «المرء مع من أحب،»[١٥٠] قال: «فيه فضل الله تعالى و رسوله عليه السلام، والصالحين، وأهل الخير، الأحياء والأموات. ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم، إذ لو عمله لكان منهم. وقد صرح في الحديث بذلك فقال: ‹رجل يحب القوم ولم يلحق بهم›.» هذه عبارة النووي في شرحه المذكور. والمأمول أن تقبل يا أخي ما ذكرناه لك، وتعمل عليه مع بقية الأحباب، لنفرح لك بما نفرح به لأنفسنا. ولا مؤاخذة في إطالة الكلام، والسلام.

١٥٠ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الصحبة، باب التحابب والتواد، الراوي أنس بن مالك، ٦:٥٥٥. أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي من عدة رواة.

[٠١١. الثلاثاء ١٣ شوال ١٠٩١هـ، ربما إلى الشيخ أحمد النابلسي]

ومن ذلك| أيضاً ما أرسلته إلى بلدة نابلس المحروسة في يوم الثلاثاء، الثالث عشر ٤٣أ
من شوال، سنة إحدى وتسعين وألف، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد: فأوفر التحيّات، وأوفى التسليمات الزكيّات، وأبلغ الأثنية البهيّات،| وأشرف المدائح العليّات، من العبد الفقير، والعاجز الحقير، عبد الغني ابن النابلسي، إلى أخيه في دين الله، وصديقه ورفيقه في صحبة طريق الله. والذي نوصيك به مداومة سلامة الصدر من كل سوء، بحيث لا يبيت الإنسان ولا يصبح وفي قلبه أذى لمخلوق من مخلوقات الله تعالى مطلقاً، ولو كان ذلك المخلوق كافراً بالله تعالى. فإن الكفر صفة الكافر، لا ذاته، والإيمان كذلك. والصفات الحادثة، والذوات الحادثة، كلها بيد الله تعالى، يقلبها كيف يشاء. ومداومة الصبر على أذى كل شيء حباً في الله تعالى ورضاء بقضائه سبحانه، فإن كل أذى يصيب الإنسان من الله تعالى حقيقة، وإن كان من غيره مجازاً. ومداومة الاعتماد على جناب الله تعالى في كل حاجة من حوائج الدنيا والآخرة، فإن الأمور كلها بيد الله تعالى.| وهو الفاعل

٩٤/ب

٩٥ب

وحده بكل شيء، يظهر عليه الفعل في الخير والشر. كما قال تعالى: ﴿قاتلوهم يعذبهم بأيديكم﴾[التوبة، ١٤] فنسب القتال إلى الخلق تكليفًا منه لهم بذلك وفتنة، ثم نسب العذاب إليه سبحانه بأيدي الخلق، أي بملابسة أيديهم، لا بالاستعانة بها. وعكس هذا في قوله سبحانه:﴿وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾[البقرة، ٢٤٩] فنسب سبحانه الغلبة للخلق بإذنه سبحانه، أي بأمره الذي به كل شيء، يعني بالاستعانة بأمره، لا بملابسته. إذ التأثير له سبحانه وحده، لا لشيء سواه. ومداومة ذكر الله تعالى بالقول والفعل، كقراءة القرآن، والتسبيح، والتهليل، والصلاة، والصوم، وبر الوالدين، والصدقة، وجميع أنواع الخير، سرًا وجهرًا، والإحسان| إلى خلق ٤٣/أ الله تعالى، من[١٥١] المؤمنين والكافرين، مع بغض وصف[١٥٢] الكفر والفسق| في ٩٥/ب أهله، لأنه بلاء ديني نزل من الله تعالى بالكافرين والفاسقين، والحمد لله على العافية. ولا تجد نفسك أفضل عند الله تعالى من أحد من الخلق مطلقًا، لقوله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[الحجرات، ١٣] ثم قال تعالى:﴿ولا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾[النجم، ٣٢] إرشادًا منه تعالى وتعليمًا. والله بكل شيء عليم.

---

١٥١ في، في أ و ب و ت. ١٥٢ وحسن، في أ و ب.

[٠١٢ الخميس ١٢ ذو القعدة ١٠٩١هـ، ربما إلى الشيخ أحمد النابلسي]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى نابلس المحروسة في يوم الخميس، الثاني عشر من ذي القعدة، في السنة المذكورة، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. إن من أبلغ ما تراسلت به الأرواح بين رياض الأشباح، سلاماً تنفتح كمائمه عن روائح القبول، وتتصادح حمائمه على أفنان الإقبال والوصول، نهديه إلى جناب الأخ في الله تعالى، شرح الله صدره بأنوار العرفان، وكشف له عن حقيقة مجازه في تجريد مقام الإحسان، أما بعد: فالوصية عندكم دوام المحافظة على ذكر الله تعالى، | كيفما كان الذكر. كما ٩٦ب قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن الله تعالى ما أمر بأمر إلا وجعل له حدوداً إلا الذكر، فإنه تعالى أمر به مطلقاً.» وعلى كل حال فالذكر يكون باللسان بأسماء الله تعالى الظاهرة، كالله والرحمن الرحيم، والمضمرة، كهو، وبتلاوة كلامه القديم، وحديث نبيه العظيم، والمباحثة في العلم الشريف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وبالقلب أيضاً، كالفكر في جلائل نِعَمِه وبدائع مصنوعاته، وبشهوده فاعلاً في كل شيء، وبالذل لعظمته، وبالافتقار إليه، والدعاء بالحوائج والمصالح. وبالجسد كله، كالصلوات، والصيام، وبقية

أعمال البر. فكل ذلك ذكر الله تعالى على حسب الآلة التي يكون بها، وبلغة تلك الآلة ولسانها. ولا بد في الذكر من الإخلاص له سبحانه من غير قصد لشيء سواه أصلاً، وبالله التوفيق.

[١٣٠ أواخر صفر ١٠٩١هـ، إلى الحاج محمد الحميدي]

ومن ذلك| أيضاً ما أرسلته إلى بلدة القسطنطينية المحمية في أواخر صفر من شهور السنة المذكورة، وصورته:| ٩٦/ب ٤٤أ

بسم الله الرحمن الرحيم. سلام الله الوافر، وإكرامه النافي لكل سوء عن عبده المقبل عليه والنافر، وتحيته المباركة السنيّة، وعنايته في كل صباح وعشيّة، إلى جناب الأخ الصادق، والخِلّ المخلص في مودته المصادق، جناب الحاج محمد الحميدي، سدد الله تعالى سيرته، وطهر من ملاحظة الأغيار سريرته، وكان له في الدارين، وجعله من خير الفريقين، آمين، أما بعد: فالذي نهي إليكم أنّا ولله الحمد بخير وعافية، ونعمة من الله تعالى وافية. جعلنا الله تعالى وإياكم من المتحابين في جلاله، بجاه محمد صلى الله عليه وسلم وآله، لنحشر في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه، على حسب ما ورد في الحديث الشريف.[١٥٣] وشرط المحبة| في جلال الله سبحانه أن لا تكون معلولة بعلة دنيوية ولا أخروية. وذلك لأن الدنيا زخارف فانية، وشهوات زائلة، وأشخاص مضمحلة، وأوقات كالبروق، وسنوات سريعة الغروب والشروق، ومناصب كالملاعب، ودول ملوك، كالحديث المأفوك. ٩٧ب

١٥٣ سبقت الإشارة إليه، انظر رسالة رقم ٣.

والآخرة سعادتها أبدية، ودولة ملوكها سرمدية، ونعيمها دائم، وموسم الأماني في جناتها قائم. لكنها حجاب بالجمال العرضي عن الجمال الذاتي، واشتغال بالصنعة عن الصانع، وبالأثر عن المؤثر. وأهلها، وإن رأوا الله تعالى، فإنهم يرونه في مثل الأعياد، فينسون النعيم إذا رأوه لاستغراقهم في شهود وجهه الكريم، ثم يُستر عنهم بنفوسهم المظلمة الفؤاد. وذلك لمعرفتهم في الدنيا معرفة خيالية باستيلاء القوة الوهمية، والكمال كل الكمال| بشهود الحضرة الأزليّة، في كل بكرة وعشيّة، ٩٧/ب والاستغراق في تجليات اللوامع الأبديّة، في المقامات المحمديّة. وأهل هذا المشهد تتأتى لهم المحبة في جلال الله، فيظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه، على حسب ما هو معروف عندهم على التنزيه التام في| المعرفة الذوقيّة، من باب الحضرة ٤٤/أ العشقيّة. جمعنا الله وإياكم مع جميع أحبابنا في حظيرة قدسه، على بساط أنسه. والسلام على الدوام.

[١٤٠ أواخر صفر ١٠٩١هـ، إلى الحاج إبراهيم أفندي]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى خيره بول المتقدم ذكرها في التاريخ المذكور، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. إن أسنى ما تتبسم في وجهه ثغور الأشواق، وأهنى ما تنشرح لإقباله قلوب أهل المودة الأكيدة من الرفاق، سلام الله المبارك، وتحيته الحسنى، المسفرة عن المقام الأسنى، بتوفيقه تعالى وتبارك، إلى جناب الأخ| في الله، والصديق المعين بالمذاكرة الشرعية في طريق الله، صاحب القصد الحسن والنية الصالحة إن شاء الله، أخص الأصحاب، وأكمل الأحباب، المنصور بمعونة الله على شيطانه وهواه، المحفوظ بحماية الله من أسر زخارف دنياه، الحاج إبراهيم أفندي، لا زال في هداية المعيد المبدي، أما بعد: فإنّا ولله الحمد بالخير والعافية، والنعمة السابغة السربال الوافية. وقد ذكرتم لنا كتابة شيء في نفي الخواطر ومداومة الذكر، فصنفنا لكم هذه الرسالة التي سمّيناها «رَفع الرّيب عن حضرة الغَيْب،» وأرسلناها لكم مع حامل هذا المكتوب. فتأملوها بالتأني، واعملوا على ما فيها بحسب الطاقة والإمكان. كما قال صلى الله عليه وسلم:

٩٨ب

٩٨/ب «سـدّدوا وقاربوا، وابشروا وبشّروا.»[١٥٤] وإذا قلت يا أخي من| صحبة الناس ومعاشرتهم ومخالطتهم، إلا مقدار الحاجة، اندفعت عنك إن شاء الله تعالى الخواطر التي تكرهها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم، وخفت أماناتهم، وكانوا هكذا، وشبك بين أنامله، فالزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بخاصة أمر نفسك، ودع عنك أمر العامة.»[١٥٥] أخرجه الأسيوطي في *الجامع الصغير* عن ٤٥أ ابن عمرو بن العاص. فقوله:| «وكانوا هكذا،» يعني اختلط الصالح منهم بغير الصالح، ولم يتميز أحدهما عن الآخر، لظهور كل واحد بزي الآخر. ومن كلام سري السقطي رضي الله عنه: «من أراد أن يسلم له دينه، ويستريح قلبه وبدنه، ويقل همه وغمه، فليعتزل الناس.»[١٥٦] وداوِمْ على ذكر سهل بن عبد الله التُستري ٩٩ب رضي الله عنه، الذي أعطاه إياه شيخه فوَصَل به إلى الله| تعالى في أربعة أيام، مع

---

١٥٤ «... سدّدوا وقاربوا، وبشّروا ويسّروا،» ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الصلاة، باب المواقيت: صلاة الجمعة، الراوي الحكم بن حزن الكلفي، ٥:٦٧٨. أخرجه أبو داود. ١٥٥ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الفتن والأهواء والاختلاف، باب الوصية عند وقوع الفتن وحدوثها، الراوي عبد الله بن عمرو بن العاص، ١٠:٥. أخرجه أبو داود والبخاري. الحاكم، *المستدرك على الصحيحين*، كتاب الأدب، ٤:٣١٥. أخرجه ابن حِبّان والحاكم. ١٥٦ أبو الحسن بن المغلس سَري الدين السَقطي (١٥٥–٢٥٣هـ / ٧٧٢–٨٦٧م)، من أعلام الجيل الثاني للصوفية في بغداد. يقال أنه تحول إلى طريق التصوف بعد لقائه الصوفي معروف الكرخي.

ملاحظتك معناه في كل مرة. فإنك تنتفع بذلك كثيرًا إن شاء الله تعالى. وذكر سهل رضي الله عنه هو قوله: «الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهد علي.»[١٥٧] وإن ترجمته أنت لنفسك باللغة التركية، بألفاظ يسهل عليك بها ملاحظة المعنى، وذكرت الله تعالى بها، كان حسناً. وكذلك إذا لاحظت ذلك بقلبك ولم ينطق به لسانك. فإن المراد أن لا يبقى لك تكلّف في جريان ذكر الله تعالى في نفسك وعلى خاطرك، وتكون ذاكرًا على كل حال. ولا تذكره وأنت معتقد أنك أنت الذاكر له بقوة نفسك، بل اعتقد أنه هو الذي يذكر نفسه بلسانك وقلبك. كما قال تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾[العنكبوت، ٤٥] من قبيل إضافة المصدر إلى فاعله، أي أكبر من الصلاة التي هي ذكر العبد لربه. فإنك أنت بيده سبحانه، وفي تصريف قدرته، يذكر| نفسه بك متى شاء. ويجعل قلبك غافلاً عن ذكره متى شاء. ولا تعتمد إلا عليه، ولا تركن في جميع أمورك إلا إليه، ولا تظن أن أحدًا ينفعك غيره، ولا تعتقد أن أحدًا يضرّك غيره. وكن معه بلا شيء، وكن في كل شيء به. واستقم، ودم على ذلك، ولا تضجر من أحكامه عليك، ولا من نفوذ تصاريفه فيك. واصبر لحكم ربك، ولا تقل لم يفتح علي. فإن تشوّفك إليه فتح منه عليك على حسب ما يريد، لا حسب ما تريد. وهو إذا شاء نقلك في الحال، من حال إلى حال، وفي لمحة تقع الصلحة. وقد بذلت لك النصح، والله يتولى هُداك، لأنه

٩٩/ب

١٥٧ سبقت الإشارة إلى سهل التُستري، انظر رسالة رقم ٨.

مولاك. ولا تقطع يا أخي أخبارك عني، وأرسل إلي في كل ما يهمك في دينك،

٤٥/أ فإني خادم هذا الطريق، لخير فريق. والسلام على الدوام.

[١٥.   سنة ١٠٩٢هـ، جواب على استشارة شرعية من بعض الأصدقاء]

ومن ذلك أيضًا ما أرسلته إلى بلدة القسطنطينية المحمية| في سنة اثنين وتسعين وألف، وصورته: ١٠٠ب

وهو جواب مكتوب أرسله إلينا بعض الأصدقاء، يسألنا أنه رأى في المنام قائلاً يقول له: «كيف يَستلزم جُرمه من أتاه وله على العقوبة توبة؟» فكتبنا له الجواب عن ذلك. معنى قوله «كيف يَستلزم،» أي «كيف يَطلب لزوم،» فإن السين تأتي لمعنى الطلب، كما قالوا في معنى «الاستسقاء،» أنه «طلب السقيا،» و«الاستخراج،» «طلب الخروج،» ونحو ذلك. و«اللزوم،» الثبوت والدوام. قال في *المصباح المنير* في علم اللغة: «لزم الشيء، يلزمه لزوماً، ثبت ودام.»[١٥٨] انتهى ما قال. وتقدير ذلك كيف يَطلب لزوم، أي ثبوت ودوام، جُرمه، بضم الجيم، أي ذنبه وإثمه، من أتاه، أي الإنسان الذي أتاه، أي جاءه، والضمير راجع إلى الله تعالى بقرينة ذكر الجُرم والعقوبة والتَوبة، والأصل فيها أن تستعمل في حق الله تعالى. يعني:| كيف[١٥٩] يَطلب ثبوت ذنبه ودوامه ١٠٠/ب

---

١٥٨ أنظر أحمد بن محمد بن علي الفيومي، *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي* (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤). ١٥٩ كيف، ساقطة في أ و ب.

عليه الإنسان الذي أتى الله تعالى، والحال أن له، أي لذلك الإنسان أو الله تعالى، على العقوبة، أي لأجلها — فحرف على للتعليل، كقولهم قطع يده على سرقة درهم، ومرادهم لأجل سرقة درهم — توبة، أي رجوع عن الذنب، واستغفار منه، وندم على فعله؟ فإن الإنسان الذي أتى الله تعالى راجعاً عن ذنبه، حال كونه له توبة لأجل خوف العقوبة من ربه، كيف يَطلب ملازمة ذنبه له ودوامه عليه؟ وهل يليق به ذلك؟ فإن اللائق به أن يتباعد عن الذنب طول عمره، ولا يَطلب من ذنبه أن يلازمه. وكذلك من أتى الله راجعاً عن ذنبه، حال كون ربه له توبة عليه، لأجل خوف العقوبة منه سبحانه، كيف يليق به أن يَطلب من ذنبه الملازمة له والدوام والثبات عليه؟ بل اللائق مفارقة الذنب وعدم طلب| مقاربته، حتى تبقى التوبة باقية، والأوبة صحيحة. هذا| مقدار الظاهر من معنى هذا الكلام، وهو كلام صحيح. ولو كان فيه تقديم وتأخير فكان هكذا: «كيف يَستلزم العقوبة من أتاه وله على جرمه توبة؟» لكان معناه أوضح وأبين. فيكون معنى «يستلزم» على هذا، «يستحق» و«يستوجب.»

١٠١ب ٤٦أ

واعلم أنه ينبغي لكل عاقل بالغ أن يداوم على التوبة من جميع ذنوبه في كل ساعة ليصير محبوب الله تعالى. كما قال سبحانه: ﴿إن الله يحب التوابين﴾ [البقرة، ٢٢٢] وهم جمع «توّاب،» وهو «الكثير التوبة.» ويلزم منه أن يكون كثير الذنوب، ولولا الذنوب ما كانت التوبات. فمن كثرت ذنوبه وكثرت توباته،

كان محبوباً لله تعالى. والمحبوب لله تعالى من أخص الخواص عنده. ولا شك أن التوبة تطهير للنفوس من أدناس المخالفات، فيصلح قلب العبد إذا تطهر بالتوبة،| وإذا صلح قلبه صلح جسده كله. كما ورد في الحديث: «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب.»[١٦٠] والذنوب التي تصدر من كل بشر في الليل والنهار لا تكاد تنحصر، وإذا لم تكن ذنوباً بالجسد الظاهر فهي بالقلب الباطن. ولا ينكر هذا الأمر إلا أهل الغرور من الناس. ومن عرف نفسه، عرف ذنوبها. ومن لم يعرف نفسه، التبس عليه أمره. وكان أهل الكمال يعترفون بالذنوب، وهم صادقون، رضي الله عنهم، لمعرفتهم بنفوسهم ما لا يعرفه غيرهم منهم. قال الخاجه بهاء الدين نقشبند قدس الله سره، لمّا سُئِلَ عن الكرامات: «أي كرامة أعظم من أني مع هذه الذنوب الكثيرة أمشي على وجه الأرض.»[١٦١]

١٠١/ب

---

١٦٠ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الكسب والمعاش، باب الحث على الحلال واجتناب الحرام، الراوي النعمان بن بشير، ١٠:٥٦٦. أخرجه البخاري، ومسلم، وأبوداود، والترمذي، والنسائي.

١٦١ خواجه بهاء الدين نقشبند (٧١٨–٧٩١هـ / ١٣١٨–١٣٨٩م)، مؤسس الطريقة النقشبندية التي تلي القادرية في سعة الانتشار وخاصة في أواسط آسيا. ولد بهاء الدين في قرية من قرى بخارى تدعى قصر هندوان، وقد أعيد تسميتها فيما بعد بقصر العارفين نسبة إلى بهاء الدين. كان عبد الغني من أتباع الطريقة النقشبندية، وهو غالباً ما يعرّف عن نفسه بأنه «الحنفي مذهباً، القادري مشرباً، النقشبندي طريقةً.» وله شرح مهم على أحد نصوص الطريقة سماه «مفتاح المعية في طريق النقشبندية،» انظر قائمة المخطوطات.

واعلم أن التوبة هي الندم من فعل المعاصي، والعزم على عدم الرجوع إليها. وإذا كان عليه حقوق العباد،| أن يطلب منهم المسامحة له، فإن لم يتيسر ذلك وصعب عليه فلا يضر توبته. كما ذكر اللاقاني رحمه الله تعالى في شرح *الجوهرة*، قال: «وأما ردّ المظالم والخروج عنها برد المال أو الإبراء منه، أو الاعتراف إلى المغتاب واسترضائه إن بلغته الغيبة، ونحو ذلك، فواجب عندنا في نفسه،[١٦٢] لا مدخل له في الندم| على ذنب آخر، وهو مذهب الجمهور.» ثم بسط الكلام وقال: «ثم التحقيق أن هذا الزايد واجب آخر خارج عن التوبة،»[١٦٣] إلى آخر عبارته.

١٠٢ب

٤٦/أ

واعلم أن التوبة سُلّم المريدين، فلا يمكن الترقي إلى مراتب القرب عند الله تعالى إلا بها. فكلما تاب بصدق وعزم خالص، انكشف له ما لم يكن فيه من قبل من معاني التجليات الإلهية والحضرات الربانية، على حد ما يعرفه أهل الذوق في طريق الله تعالى. ومن تاب ولم ينكشف له شيء من ذلك، ولا انشرح صدره بشيء أصلاً،| فإنه لم يتب وهو كاذب في توبته: تاب بلسانه ولم يتب بقلبه. والتوبة الدائمة إذا صحّت للسالك فهي أول مقام من مقامات

١٠٢/ب

---

١٦٢ في نفسه، ساقطة في أ و ب. ١٦٣ أنظر برهان الدين اللاقاني، *متن جوهرة التوحيد*.

السالكين. ثم يرفعه الله تعالى إلى مقام الإحسان، فيعبد الله على الكشف والعيان، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه.»[١٦٤] والله وليّ التوفيق، والهادي إلى سواء الطريق.

---

١٦٤ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الإيمان والإسلام، باب في تعريف الإيمان والإسلام حقيقة ومجازًا: حقيقتهما وأركانهما، الراوي عبد الله بن عمر، ١:٢٠٨. أخرجه مسلم، وأبوداود، والترمذي، والنسائي.

[٠١٦ أوائل ربيع الأول ١٠٩٣هـ، إلى الحاج محمد بن عمر الحميدي الرومي]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى بلدة القسطنطينية في أوائل شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وتسعين وألف، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. من العبد الحقير، والمسكين الفقير، المحتاج في جميع أحواله إلى ربه القدير، لا إلى سواه سبحانه من كبير وصغير، عبد الغني ابن النابلسي، الحنفي مَذهَبًا، القادري طرازًا مُذهّبًا، النقشبندي طريقةً ومشربًا، إلى أخيه في دين الله تعالى وسبيل الهدى،| الحاج محمد بن عمر الحميدي الرومي، حفظ الله تعالى قلبه بأنوار التوفيق، وأذاقه في حضرة القدس حلاوة التوحيد على موائد التحقيق. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. الحمد لله على إنعامه الخفي والمستبين، والشكر له على أن جعلنا من المسلمين، ومن جملة عباده المؤمنين. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة صادرة عن كشف حجاب الغفلة في مقام الإحسان واليقين. ونشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسول الله، صاحب الآيات الباهرة والفتح المبين، صلى الله عليه| وعلى جميع آله الأطهار، وأصحابه الأئمة الأبرار، وكل من والاهم واقتدى بهم في هذا الدين، من التابعين وتابعي التابعين، في كل وقت وحين، أما بعد: فاعلم يا

١٠٣ب

٤٧أ

أخي، علّمك الله تعالى كل خير، ودفع عنك في الدنيا والآخرة كل سوء وضير، بأن| هذه الأوقات الجارية بيننا لا تبقى، والمرء في كل ساعة إما أن يَسفُل عند الله تعالى بعلمه، وإما أن يَرقى. وكأنك بالدنيا وقد انقطعت حياتنا فيها على التعميم، وانتقل أمرنا إلى ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون. إلا من أتى الله بقلب سليم﴾[الشعراء، ٨٨-٨٩] فراقب يا أخي قلبك في خواطر السوء، وجاهد نفسك في دفعها عنك بقدر الإمكان. واعلم بأنها لا تزول بالكلية ولكن لك فيها أجر المجاهدة. وفي الأثر عن سيد البشر أنه كان يقول: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر.»[165] ونهاية ذلك حصول مقام الشهادة بمعاينة عين القلب للشاهد الرب في كل شيء على التنزيه التام، وذلك بعد موت النفس بقطع أوداج الحول والقوة، وكسر عظام الدعوى، وسيلان دم الوسواس. قال تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً﴾[آل عمران، ١٦٩] الآية.

١٠٣/ب

ولنا هنا طريقة أخرى، وهي أن تجعل عادة| قلبك الزهد في الزهد على طريقة المحمديين. فلا تشتغل في الليل والنهار بالاهتمام بأخذ الدنيا إلا بالمقدار المفروض عليك تناوله، مما لا[166] بدلك منه في قيام بنيتك. ولا تشتغل بالاهتمام بترك الدنيا أيضاً إلا ما حرّم عليك تناوله، مما هو معلوم عندك. فإنك إن اهتممت بما فُرض عليك من ذلك بنيّة امتثال أمر الله تعالى، وبترك ما نُهيت عنه بنيّة اجتناب نهيُ

١٠٤ب

---

١٦٥ لم يرد بهذا النص في *تاج الأصول*. ١٦٦ لا، ساقطة في أ.

الله تعالى، كنت من أهل التقوى. واجعل قلبك لربك خالصاً مُخلصاً. وأجهد نفسك في الصدق في ذلك، واحذر من تلبيس النفس عليك ما أنت بسبيله، تكتفي مؤنة كل شيء. ولا تهتم بشيء مما سوى الله تعالى أصلاً. ولا ترجو نجاة، ولا تخف من هلاك، فإن| ذلك يحجبك عن ربك. والأمور كلها جارية على مقاديرها الأزلية. وكن فارغاً من كل شيء، وأرح نفسك من تعب الأماني. فإن الذي لك لا بد أن يأتيك على| ضعفك، وما ليس لك مما تريده لا تقدر على تحصيله بقوتك وقدرتك. وخذ ما تيسر لك من أنواع الرزق إذا لم تعلم حرمته بلا اهتمام منك به، ولو كان مقداراً كثيراً. ولا تشغل نفسك بما لم يوصله الله تعالى إليك، ولا تطمع في حصوله ولو كان شيئاً يسيراً. وإياك و زهد الرهبان، وهو أن تعرض عما يسره الله تعالى لك من الحلال، وتبقى متكلاً على الناس في الرزق، ولست على ثقة من المنازعة للأقدار.

٤٧/أ

١٠٤/ب

واعلم بأن لك نفساً، إن لم تسسها بسياسة: ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾[القصص، ٧٧] أرجعتك على طريقة التقوى، ولو بعد حين، فإن استقامة النفوس في اعوجاجة. وأن لك شيطاناً، إن لم تلبس له درع: ﴿فلا[١٦٧] تَغرّنّكم الحياة الدنيا﴾[لقمان، ٣٣] زين لك ظواهر طاعاتك، وأفسد عليك بواطنها، فجعلها لك معاصي بلا شعور منك. واعتمد في كل ما ذكرته لك

١٦٧ ولا، في أ و ب و ت.

على أمير أعضائك، وهو القلب. فإنه إن صلح، فقد صلح الجسد| كله، وإن فسد، فقد فسد الجسد كله، كما ورد في الحديث. ولا تغتر بصلاح الظاهر منك ومن غيرك دون القلب، فإن ذلك وسواس الشيطان، لا صلاح حقيقي، وسوف يظهر بعد حين. ١٠٥ب

واعلم بأن وصيتي لك بترك الدنيا من القلب، حتى لا تهتم بها ولا بتركها، إقبالاً وإدباراً، وهو زهد المحمديين دون الرهبان، كما ذكرنا، لا يمنع منه جمع الأموال من الحلال، ولا الملك والنوال. كما قال بعض الأنبياء عليهم السلام: ﴿ربّ هَب لي حكمًا وألحقني بالصالحين[١٦٨]﴾[الشعراء، ٨٣] وقال الآخر: ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾[يوسف، ٥٥] وقال الآخر: ﴿هب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي﴾[ص، ٣٥] والزهد على هذا الوصف المذكور في العبد لا يعلم به أحد إلا الله تعالى، وهو زهد الأولياء ورثوه من الأنبياء بقرابة المتابعة| لهم في العقائد والأعمال التي لم تنسخ في شريعتنا. ولهذا قال ابن عطاء الله الإسكندري في كتابه *لطائف المنن*:| «أولياء الله تعالى أهل كهف الإيواء، فقليل من يعرفهم.» ونقل عن شيخه أبي العباس المرسي رحمه الله تعالى أنه قال: «معرفة الولي أصعب من معرفة الله تعالى، لأن الله ظاهر بجلاله وجماله. وحتى متى تعرف مخلوقًا مثلك، يأكل كما تأكل ويشرب كما ٤٨أ ١٠٥/ب

---

١٦٨ واجعلني من الصالحين، في أ وب وت.

تشرب؟»[١٦٩] انتهى. والزهد بالوصف الذي ذكرناه يتضمن خيراً كثيراً، وأمراً عظيماً كبيراً. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من زهد في الدنيا علمه الله بلا تعلم، وهداه بلا هداية، وجعله بصيراً، وكشف عنه العمى.»[١٧٠] رواه[١٧١] أبو نعيم في *الحلية* عن علي رضي الله عنه.[١٧٢] وذكره الأسيوطي في *الجامع الصغير*. ومعنى[١٧٣] «علّمه بلا تعلم، وهداه بلا هداية،» أي تولى الله تعالى تعليمه وهدايته، فلا يحوجه إلى تعليم أحد ولا هدايته. وهو «التوفيق» المفسر بـ«خلق الطاعة في العبد،» كما جاء في القرآن: ﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ [هود، ٨٨].

١٠٦ب فكر يا أخي هذه الوصايا على قلبك،| واحتفظ عليها بعلمك وعملك، وأشركني في دعائك بالخير. ختم الله تعالى أعمالي وأعمالك بالصالحات، وأحسن إلينا في الدنيا والآخرة، وحفظنا من شرور أنفسنا، وعفا عنا بمنه وكرمه. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

---

١٦٩ انظر ابن عطاء الله الإسكندري، *لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥). ١٧٠ لم يرد في *تاج الأصول*. ورد في السيوطي، *الجامع الصغير*، ٥٢٨ (ح ٨٧٢٥)، عن علي. ١٧١ رواه، ساقطة في أ و ب. ١٧٢ انظر أبو نعيم الإصبهاني، *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧). ١٧٣ معنى، في أ و ب.

[٠١٧ سنة ١٠٩٣هـ، إلى الحاج إبراهيم أفندي]

ومن ذلك ما أرسلته إلى خيره بول المذكورة أيضاً فيما تقدم في التاريخ المزبور، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. من العبد الفقير، والعاجز الحقير، عبد الغني ابن النابلسي، الحنفي، القادري، النقشبندي، غفر الله ذنوبه، وستر عيوبه، إلى أخيه في دين الله تعالى، الحاج إبراهيم أفندي، رفع الله درجاته في الدارين، وجعله من خير الفريقين، أما بعد: حمداً لله تعالى على جزيل إنعامه، والشكر له سبحانه على جليل بره وإكرامه، وشهادة التوحيد الصادرة عن خلاصة إيمان القلب| وصدق إسلامه، وشهادة النبوة والرسالة| لمحمد بن عبد الله بن ١٠٦/ب - ٤٨/أ عبد المطلب بن هاشم عليه من الله تعالى أشرف صلاته وأكمل سلامه، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين إلى قيام ساعة هذا الدهر وساعة قيامه. فإني أوصيك يا أخي بحسن الاعتقاد في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، المؤمنين به ولو كانوا من العوام. فإن الله تعالى مدحهم بقوله: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾[آل عمران، ١١٠] الآية. وقوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾[البقرة، ١٤٣] الآية. و«الوسط،»

«العدل.» فالعدالة هي الأصل فيهم، كما أن الأصل في الماء الطهارة، بقوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهوراً﴾ [الفرقان، ٤٨] والأصل في الأموال الحل، بقوله تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ [البقرة، ٢٩] وقد قررنا هذه

١٠٧ب الأصول مستوفاة الأبحاث في| كتابنا *الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية* للبركلي رحمه الله تعالى.[١٧٤] وهو شرح كبير بلغ ثلاث مجلدات. وأما الفِسق في الأمة المحمدية وارتكاب المعاصي، فهو أمر طارئ على الأصل المحقق، فلا يثبت بالشك. وإذا قدرت أن تستر جميع ذنوبهم، وتخفي سائر عيوبهم، في نسائهم و رجالهم، وصغارهم وكبارهم، فافعل، كما استحب العلماء كتمان الشهادة في الحدود. فإن الله تعالى يرضى منك بذلك ويجازيك عليه في الدنيا والآخرة، فيك و في ذريتك.

ومن كلام الإمام الشافعي رضي الله عنه: «من أحب أن يُختم له بالخير فليُحسن ظنه بالناس.» وعندي كتاب مستقل لبعض العلماء المصريين سماه *تحفة الأكياس في تحسين الظن بالناس*.[١٧٥] وارحم الضعيف منهم، وأشفق على الفقير

٤٩أ والمسكين، وتلطف بالمريض. ولهذا فرض الله| تعالى عيادة المرضى، وتشميت العاطس، وصلة الرحم. وإذا أمرت بالمعروف أو نهيت عن المنكر، فليكن ذلك

---

١٧٤ انظر عبد الغني النابلسي، *الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية* (استانبول: مطبعة عامره، ١٢٩٠هـ، طبعة جديدة، وقف الإخلاص، ١٩٨٩). ١٧٥ انظر علي بن محمد الشهير بالمصري، *تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس* (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٥).

منك على وجه العموم، ولا تخصص أحداً بالسوء في وجهه. روى الخرائطي في *مكارم الأخلاق* عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كان رسول| الله صلى الله عليه ٤٩أ وسلم إذا بلغه عن قوم شيء، قال: ‹ما بال أقوام يقولون كذا وكذا›.»[١٧٦] وروى أيضاً بإسناده عن أنس بن مالك: «إن رجلاً جاء فقعد في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لهم: ‹لو أمرتم هذا أن يدع الصغرة›. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحداً في وجهه بشيء.»[١٧٧] انتهى. واعلم أن أهل لا إله إلا الله عليهم عين من الله تعالى حافظة، ويد الله تعالى مساعدة لهم، والله تعالى معهم على كل حال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كفوا عن أهل لا إله إلا الله، لا تكفّروهم بذنب، فمن كفّر[١٧٨]| أهل لا إله إلا الله فهو إلى الكفر أقرب.»[١٧٩] ١٠٨ب ذكره الأسيوطي في *الجامع الصغير*، وفي شرحه للمناوي. وقال علي كرم الله وجهه:

---

١٧٦ «... ما بال أقوام يقولون كذا وكذا،» ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب اللواحق، باب أحاديث مشتركة في آفات اللسان، الراوي عائشة، ١١:٧٣٦. أخرجه أبو داود. انظر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي، *المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها* (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٨٦). ١٧٧ «... وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قلَّما يُواجِه رجلاً في وجهه بشيء يكرهه،» ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الزينة، باب الخَلوق، الراوي أنس بن مالك، ٤:٧٤٦. أخرجه أبو داود. ١٧٨ أكفر، في أ و ت. ١٧٩ الهيثمي، *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*، كتاب الإيمان، باب لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب، الراوي عبد الله بن عمر، ١:٢٩٧. أخرجه الطبراني في *المعجم الكبير*. انظر السيوطي، *الجامع الصغير*، ٣٩٠ (ح ٦٢٦٨)، عن ابن عمر.

«أعلم الناس بالله أشدهم حباً وتعظيماً لأهل لا إله إلا الله.» وقال ابن عدي رحمه الله تعالى: «إياك ومعاداة أهل لا إله إلا الله فإن لهم من الله الولاية العامة، فهم أولياء الله، ولو جاؤا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله، لقيهم الله بمثلها مغفرة.» انتهى.

وارفع حب الدنيا من قلبك بكثرة تفكرك فيما يؤول إليه أمر الكل من الفناء، والاضمحلال، والزوال. وانظر إلى جميع لذائذ الدنيا وشهواتها تجدها مجرد زوال أوجاع وآلام سبقت من قبل. فلولا وجع الجوع وألمه ما كانت شهوة الطعام، ولولا وجع العطش وألمه ما كانت شهوة شرب الماء، ولولا وجع احتراق المنى وألمه ماكانت شهوة إفراغ النطفة| بالجماع، ولولا وجع[١٨٠] هم ضيق المعيشة وحصر النفس من الغيرة من الغير وألم ذلك ما كانت شهوة المال والجاه، ولولا وجع المنافسة مع الأقران وخوف النفس من لحوق النقص بها والتألم من ذلك ما كانت شهوة الملابس الفاخرة والمساكن الحسنة والمراكب السَنيّة. ولو فرضنا عدم وجود تلك الأوجاع والآلام المذكورة لما كانت في الدنيا شهوات أصلاً.| وإنما الشهوات في الآخرة في دار النعيم. فإن الطعام هناك لذة من غير جوع، والشراب لذة من غير عطش، وهكذا البواقي. ولا تأسف يا أخي على فوات حظك في الدنيا، فإن الشريف من يتألم في المكان

١٠٨/ب

٤٩/أ

١٨٠ وجع، ساقطة في أ و ب.

الحقير، كبائع المسك إذا[١٨١] دخل بيت القاذورة يتألم على مقدار طيبه وحسن رائحته. وازهد في الدنيا بقلبك زهد المحمديين، وهو عدم الالتفات إلى الدنيا مع الاشتغال بها في الظاهر. كما قال تعالى: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن| ذكر الله وإقام الصلاة﴾[النور، ٣٧] ولم يقل: رجال تركوا التجارة والبيع. ولا تزهد زهد الرهبان، فإن الله تعالى يقول ﴿ولا تنسى نصيبك من الدنيا﴾[القصص، ٧٧] واقبل مني هذه النصائح الجامعة، وكرر نظرك فيها. واخلص لي من صالح دعائك، وعلى الله قصد السبيل. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. ١٠٩ب

---

١٨١ إلى، في أ.

[٠١٨ أواخر ربيع الأول ١٠٩٣هـ، إلى الشيخ أحمد النابلسي]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى بلدة نابلس المحمية في أواخر ربيع الأول من السنة المذكورة، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. من العبد الفقير، والعاجز الحقير، عبد الغني بن إسماعيل ابن النابلسي، إلى أخيه في دين الله تعالى، الشيخ أحمد النابلسي، حفظه الله تعالى وعافاه، في آخرته ودنياه، ورفع الله تعالى قدره في الدارين، وجعله من خير الفريقين، أما بعد: قال الله تعالى: ﴿فذكّر إن الذكرى تنفع المؤمنين﴾[الذاريات، ٥٥] وقال تعالى: ﴿سيذّكّر من يخشى﴾[الأعلى، ١٠] و«التذكر» خلاف| «النسيان،» ولهذا قال تعالى في قوم: ﴿نسوا الله فأنساهم﴾[الحشر، ١٩] وفي ذلك إشارة إلى أن المقصود من أمر الملك المعبود، بفعل المأمورات وترك المنهيات، إنما هو دوام الحضور والمراقبة. وهو مقام الإحسان المشار إليه بقوله صلى الله عليه وسلم: «اعبد الله كأنك تراه.»[١٨٢]

١٠٩/ب

---

١٨٢ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الإيمان والإسلام، باب في تعريف الإيمان والإسلام حقيقة ومجازاً: حقيقتهما وأركانهما، الراوي عبد الله بن عمر، ١:٢٠٨. أخرجه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

وكل عبادة خلت من شهود وحضور فليست بعبادة تامة. ولهذا قال تعالى: ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ [الماعون، ٤-٥] والذي يتضمن هذا الكتاب على طريقة الوصية به، النهوض إلى هذه الصفة[١٨٣] واستجلاب هذه المرتبة: بالتخلق أولاً، والتعلق ثانياً، والتحقق ثالثاً. | فإن في الحديث الشريف: ٥٠أ «ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا،»[١٨٤] و«المرء مع من أحب.» أخذ الله تعالى بيدكم في جميع الأحوال، وأسعفكم ببلوغ جميع المقاصد والآمال. وعلى الله قصد السبيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، وهو على كل| شيء قدير. ١١٠ب

---

١٨٣ الصفة، ساقطة في ب. ١٨٤ ابن ماجه، *سنن ابن ماجه*، كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء، الراوي سعد بن أبي وقاص، ١:٦١١. أخرجه ابن ماجه.

[٠١٩ في غرّة صفر سنة ١٠٩٤هـ، إلى الحاج إبراهيم أفندي]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى خيره بول المذكورة فيما سبق في غرّة صفر من شهور سنة أربع وتسعين وألف، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. لا إله إلا الله، عدة للقاء الله. من الحقير عبد الغني النابلسي، إلى أخيه في دين الله تعالى، الحاج إبراهيم أفندي، حفظه الله تعالى وسلمه مما عليه أهل الإنكار، من الخوض فيما لا يعرفونه في شأن المشايخ الكبار، أما بعد: فأنا يا أخي بالأشواق، وكثرة ألم الفراق، وكذلك جميع من عندنا من الرفاق. وقد وصل إلينا مكتوبكم وذكرتم فيه طلب رسالة السعد التفتازاني في مدح الشيخ الأكبر، قدس الله سره، نقيض الرسالة المنسوبة إليه على زعم الزاعمين.[١٨٥] فإن الذي صنّف هذه الرسالة، ونسبها للسعد لأجل رواجها، لم يصنف لها رسالة أخرى يناقضها بها. وإن الذي سمعتموه| منا، كما ذكرتم، إنكار كون الرسالة منسوبة للسعد تحقيقاً، ١١٠ب

١٨٥ مسعود بن عمر بن عبد الله، الشهير بسعد الدين التفتازاني (٧٢٢–٧٩٣هـ / ١٣٢٢–١٣٩٠م)، من علماء الدين واللغة البارزين. ولد في تفتازان، قرية قريبة من ناسا في أوراسان. اشتهر بشروحاته على عدد من الأعمال المشهورة في عدة مجالات والتي دُرّست في العديد من المدارس لوقت طويل. مؤلفاته الشخصية قليلة منها «المقاصد» في الإلهيات و«المفتاح» في الفقه الشافعي. وينسب إليه

لا أنّا قلنا أن للسعد رسالة أخرى تناقضها، ولا أن السعد رجع، رحمه الله تعالى، بل لم ينكر من الابتداء على أحد من أهل الكمال الشهودي، فضلاً عن أن يرجع عن ذلك. وإنما عندنا ما يؤيد اعتقاد السعد رحمه الله تعالى في أهل المعرفة بالله تعالى، من غير إنكار على أحد منهم، بحمل كلامهم الموهم على المعاني الحسنة. وإن تلك الرسالة كذب عليه وافتراء، كما سأذكر لك صريح عباراته في كتبه المعروفة له. وأما الرسالة المنسوبة إلى السعد فإنّا لم نسمع بها في بلادنا إلا في هذه الأزمان القريبة، وردت بها بعض جماعات من الديار الرومية ممن ينكر على الشيخ الأكبر قدس الله سره، ولا يجئ قطرة في بحار علومه المشروحة في كتابه *الفتوحات المكية* وغيرها. فإن الإنسان عدو ما ٥٠/أ - ١١١ب يجهل. والرجل علومه ليست مخفية عن الناس حتى يتشكك في شأنه الإنسان. وإنما علومه في كتبه، وكتبه بأيدي الناس يطالعونها ويفهمونها. ونحن ولله الحمد نقرئها للناس ليلاً ونهاراً، ونقررها للعام والخاص على طبق علوم الشريعة المحمدية من غير اختلال أصلاً، ونعرّف اصطلاحاته فيها، ولله الحمد، ببركة محبتنا له واعتقادنا فيه كمال الخير. وليس عندنا شك فيه أصلاً.

رسالة ينقض بها *فصوص الحكم* لابن عربي هي «فاضحة الملحدين وناصحة الموحدين في نقض فصوص الحكم،» وهي كما يبدو محور رسالة النابلسي هذه. وهذه الرسالة من تأليف تلميذ التفتازاني محمد بن محمد البخاري (ت ٨٤١هـ / ١٤٣٨م). انظر مقدمة بكري علاء الدين بالفرنسية لكتاب النابلسي، *الوجود الحق والخطاب الصدق* (دمشق: المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٩٥).

وأما ما يقع في كتبه من العبارات الموهمة للحلول أو الاتحاد ونحو ذلك، فإنّا نعرفها على أتم الوجوه. وهي مبنية على اصطلاح القوم العارفين، وبالضرورة تخفى على غيرهم من الأجانب، خصوصاً المنكرين. وانظر عبارة السعد التفتازاني رحمه الله تعالى، الذي تزعم الزاعمون أن تلك الرسالة| في ذم الشيخ قدس الله سره من تصنيفه، فإنه ذكر في كتابه *شرح المقاصد*، وراجعه فيها، فإن *شرح المقاصد* مشهور في الدنيا بأنه للسعد التفتازاني رحمه الله تعالى، وعبارته هي قوله: «اعلم أن السالك إذا انتهى إلى الله تعالى، أي أتى مرتبة من مراتب قربه وشهوده، وفى الله تعالى، أي وفى ما يوصله من حضرته العلية، يستغرق في بحار التوحيد والعرفان، بحيث تضمحل، أي باعتبار الشهود لا الحقيقة، ذاته في ذاته، وصفاته في صفاته، ويغيب عن كل ما سواه ولا يرى في الوجود إلا الله تعالى. وهذا هو الذي يسمونه ‹الفناء في التوحيد›. وإليه يشير الحديث الإلهي: ‹لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به›، الحديث. وحينئذٍ ربما تصدر عن الولي عبارات تُشعر بالحلول أو الاتحاد، لقصور العبارة عن| بيان تلك الحال، ولبعد الكشف عنها بالمثال. ونحن على ساحل التمني نغترف بقدر الإمكان، ونعترف أن طريق الفناء فيه العيان، دون البرهان.»[١٨٦] انتهى كلامه.

١١١/ب

١١٢ب

---

١٨٦ انظر سعد الدين التفتازاني، *شرح المقاصد* (بيروت: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨).

فتأمل حق التأمل، | فإن هذا كله كلامه. كيف يجهل فيتوهم الحلول والاتحاد في العبارات الموهمة لذلك في كلام الشيخ الأكبر قدس الله سره، أو غيره، حتى يُنكر عليه ويُصنّف رسالة في الرد عليه؟ هذا افتراء على السعد التفتازاني رحمه الله تعالى. وانظر عبارته أيضاً في *شرح عقائد النسفي* المشهور في الدنيا، حيث قال فيه عند بيان الإلحاد: "وأما ما ذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها، ومع ذلك ففيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان.»[١٨٧] انتهى كلامه. | ومن كان هذا قوله كيف يُتصور منه الإنكار على أحد من أهل العرفان الذي يوهم كلامه عند القاصرين خصوصاً؟

١٥أ

١١٢/ب

وقد ذكر السعد التفتازاني رحمه الله تعالى في كتابه *مختصر المعاني*، الذي شرح به تلخيص القزويني، قوله في مبحث المجاز العقلي، وقول صاحب التلخيص أيضاً: «ولهذا، أي ولأن مثل قول الجاهل ‹أنبت الربيع البقل› خارج عن المجاز لاشتراط التأول فيه، لم يحمل نحو قوله ‹أشاب الصغير وأفنى الكبير، كرّ الغداة ومرّ العشى› على المجاز ما دام لم يُعلم أو لم يُظن أن قائله لم يعتقد ظاهره، كما استدل على أن إسناد ‹ميز›، في قول أبي النجم ‹ميز عنه قنزعاً في قنزع، جذب الليالي أبطئي أو أسرعي›، إسناد مجازي، بقوله عقيبه ‹أفناه قيل الله للشمس

١٨٧ انظر سعد الدين التفتازاني، *شرح العقائد النسفية* (بيروت: مكتبة دار البيروتي، ٢٠٠٥).

اطلعي›، فإنه يدل على أنه فعل الله تعالى، وأنه المبدئ المعيد، والمنشئ والمفني، فيكون الإسناد| إلى ‹جذب الليالي› بتأول، لأنه زمان أو سبب.»[١٨٨] انتهى كلامه. ١١٣ب

ومَن هذه عباراته، كيف يُتصور منه أن يرى كلاماً في تصنيف، أو غيره من نثر أو نظم، مشتملاً ذلك الكلام على ذكر الله تعالى في ابتدائه، أو انتهائه، أو وسطه، وذكر أنبيائه والثناء على الله تعالى وعلى أنبيائه، إلى غير ذلك من القرائن الدالة على صدق الإيمان وكمال العرفان، وفي أثناء ذلك الكلام، كلام كثير أو قليل يوهم كفرًا أو شيئًا مما تدينه أهل الباطل، فيرجح الحكم به على| قائل ذلك الكلام، ويحمل على حقيقته، ولا يؤوله لصاحبه ويجعله مجازًا، كما أَوّل لأبي النجم قوله الموهم نسبة الأفعال إلى الدهر، كقول الدهرية النافين للصانع سبحانه، وحمله على المجاز بقرينة شطر بيت وقع في كلامه؟ ٥١/أ

والحاصل أن هذه الرسالة، التي في الإنكار على الشيخ الأكبر قدس الله سره،| مدسوسة على السعد التفتازاني، كذب وافتراء عليه. وهو بريئ مما فيها بشهادة الصريح من عباراته في كتبه المعروفة له. وهذه الرسالة يجب إتلافها، وتكذيبها، والحكم بأنها كذب وافتراء على السعد رحمه الله تعالى. وقد رأيتها أنا مع رجل ممقوت من أولاد العرب جاء بها من بلاد الروم. فتأملتها فوجدت عباراتها ١١٣/ب

١٨٨ انظر سعد الدين التفتازاني، *مختصر المعاني* (ديوبند: مكتبة ثنوي، ١٩٧٨).

ركيكة جدًا. ولا يليق أن تنسب إلى صدر المحققين السعد رحمه الله تعالى لما فيها من القلاقة والرّكّة. فإن تصانيف السعد رحمه الله على أتم وجوه الكمال من حسن السبك ولطافة المعاني، على الضد مما اشتملت كتب السعد على ما يكذبها ويناقضها، كما ذكرنا. والله ولي التوفيق، والهادي إلى سواء الطريق.

ومع قطع النظر عن هذا كله، فلو اعترض السعد على الشيخ الأكبر قدس الله سره، أو من هو أكبر من السعد، نقول له كما ذكر الشيخ ابن حجر الشافعي،| رحمه ١١٤ب الله تعالى، في فتاواه: «قال بعض المحققين فارقًا بينهم وبين علماء الكلام: ‹أولئك قوم اشتغلوا بالاسم عن المسمى، ونحن قوم اشتغلنا بالمسمى عن الاسم. ولذلك تجد أولئك لا شهود لهم ولا استحضار، بل قلوبهم مملوءة بشهود الأغيار. وإن فرض استحضارًا، فهو مقصور على حالة استحضار شيء من علمهم، على أن هذا للنادر منهم، وأما أكثرهم فهم لا يستحضرون إلا الألفاظ ومعانيها فحسب، دون أمر زائد على ذلك›.»[189] انتهى كلامه. فتأمل يا أخي ما كتبناه لك، وكرر نظرك فيه، وأفده لمن شئت من أهل الإنصاف، وراجعوا فيه النقول التي أشرنا إليها، وعلى الله| قصد السبيل. ٥٢أ

189 انظر ابن حجر الهيثمي، *الفتاوى الفقهية الكبرى* (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٨).

وأما علي القاري،[١٩٠] فلم نطلع على غالب كتبه ومصنفاته، وإنما وجدنا له بعض رسائل. فلعل ما له من الإنكار على الشيخ قدس الله سره مدسوس عليه أيضاً، أو هو بحسب ما فهم| من اصطلاح علوم الظاهر في معاني علوم الباطن. وقد وثق الشيخ الأكبر قدس الله سره من هو أكبر من علي القاري، كما ذكرناه في كتابنا «الرد المتين،»[١٩١] وهو عندكم فراجعوه، والله الموفق.

١١٤/ب

١٩٠ ربما يقصد الشيخ نور الدين علي بن السلطان محمد القاري الهروي، الفقيه الحنفي، نزيل مكة والمتوفى بها سنة ١٠١٣هـ / ١٦٠٥-٦م، وله عدد كبير من المؤلفات منها «الرد على القائلين بوحدة الوجود،» وربما هي المشار إليها هنا. ١٩١ عبد الغني النابلسي، «الرد المتين على منتقص العارف محيي الدين،» انظر قائمة المخطوطات.

[٠٢٠. أواخر جمادى الآخرة ١٠٩٤هـ، إلى الشيخ أحمد النابلسي]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى بلدة نابلس المحروسة في أواخر جمادى الآخرة من السنة المذكورة، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم، وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد: فهذا كتاب من أحقر الأنام، وأحوجهم إلى عفو الله الملك العلام، عبد الغني ابن النابلسي، إلى أخيه في نسب الإسلام، الشيخ أحمد النابلسي. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى جميع الإخوان والأحباب، والمأمول أن لا تنسونا من صالح الدعوات. قال تعالى: ﴿سنشد عضدك بأخيك﴾[القصص، ٣٥] الآية. وقال تعالى:﴿إن الله يحب الذين يقاتلون| في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾[الصف، ٤] وقال تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾[الأنفال، ٤٦] الآية. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «المؤمنون كرجل واحد إذا اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.»[١٩٢] رواه مسلم

١١٥ب

١٩٢ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الصحبة، باب كتمان السر، الراوي النعمان بن بشير، ٦:٥٤٧. أخرجه البخاري ومسلم.

في صحيحه عن النعمان بن بشير. ودعاء الإخوان في ظهر الغيب لبعضهم بعضًا في معنى الاجتماع وعدم الفرق.

واعلم يا أخي أن الشريعة المحمدية كلها فَرْق، وحقيقتها كلها جَمْع في ذلك الفَرْق. فالشريعة: «إياك نعبد،» والحقيقة: «إياك نستعين.» والشريعة: «اصبر،» والحقيقة: «وما صبرك إلا بالله.» والشريعة: «اعملوا،» والحقيقة: «فكل ميسر لما خلق له،» كما ورد في الحديث. فالشريعة: أعمال الجوارح في أحوال الدنيا والآخرة، والحقيقة: شهود الله تعالى عاملاً في جميع تلك الأعمال،| قائمًا بجميع تلك الأحوال، لا سواه. فهو الشاهد والمشهود، والقاصد والمقصود، والعابد والمعبود. لا على معنى حلول، ولا اتحاد، ولا اتصال، ولا انفصال، مع بقاء الغير والسوى، وانتفاء الغير والسوى. كشمعة أوقدت في شعاع الشمس فلا نور لها، وإذا نُقلت إلى محل مظلم لها نور عظيم. فالشريعة: القيام بالحق في عالم ظلمة الأكوان، والحقيقة: القيام بالحق في عالم نور الكشف والعيان. والقيام بالحق واحد، وإنما يختلف بحال القائم به. فإن قام في ظلمة فهو صاحب شريعة، وإن قام في نور فهو صاحب حقيقة. قال تعالى: ﴿وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾ [الأنعام، ١٢٢] الآية بتمامها. ولهذا قال الشيخ عبد الحق ابن سبعين قدس الله سره في وصاياه إلى تلامذته وأتباعه: «عليكم بالاستقامة| على الطريق، وقدموا فرض الشريعة على الحقيقة،

١١٥/ب
٥٢/أ
١١٦ب

ولا تفرقوا بينهما فإنهما من الأسماء المترادفة، واكفروا بالحقيقة التي في زمانكم هذا، وقولوا عليها وعلى أهلها اللعنة.»[١٩٣] وقال الشيخ إبراهيم الدسوقي قدس الله سره: «عليك بالوحدة فإنك في القرن السابع الذين أكثرهم يجعلون الحقيقة مخالفة للشريعة، ويقولون باب العطاء أُغلق حين رأوا باب العطاء أُغلق دونهم. وما علموا أن لله عباداً أفاض عليهم من جوده ما لا عين رأت ولا أذن سمعت[١٩٤] من علوم ومعارف وأسرار.»[١٩٥] ذكرهذا عنهما الشيخ عبد الرؤوف المناوي في *طبقات الأولياء*.[١٩٦]

والحاصل يا أخي أن المقصود بيان الشريعة والحقيقة حتى لا يحصل الاغترار بما عليه الآن غالب المتصوفة، من جعلهم الحقيقة غير الشريعة، وتفريقهم بين الله ورسوله. كما قال تعالى عن قوم من أهل الضلال: ﴿ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله﴾[النساء، ١٥٠] فيقولون الشريعة ما ورد عن الرسول من أحكام الظاهر، والحقيقة ما ورد عن الله تعالى بطريق الكشف والإلهام. وصدقوا في ذلك، ولكنهم كذبوا في ١١٦/ب

---

١٩٣ سبقت الإشارة إلى ابن سبعين، انظر رسالة رقم ٩. ١٩٤ ولا أذن سمعت، ساقطة في أ و ب. ١٩٥ الشيخ إبراهيم بن أبي المجد الدسوقي (٦٣٣–٦٧٦هـ / ١٢٣٥–١٢٧٧م)، صوفي مشهور، ولد في دسوق في مصر حيث مات ودفن. ١٩٦ ربما يقصد *الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية*، أنظر عبد الرؤوف المناوي، *الطبقات الكبرى-الصغرى / الكواكب الدرية* (بيروت: دار صادر، ١٩٩٩).

٥٣أ جعلهم كل واحد منهما غير الآخر، وقيامهم بالله في حظوظ أنفسهم،| دون آداب الخدمة الواردة عن الرسول عليه السلام، وزعمهم أن العبد يخرج عن العبودية بمجرد شهوده الربوبية، وهو أمر باطل. فاحذر يا أخي منهم، والله على ما نقول وكيل.

وقد أشار الشيخ عبد الكريم الجيلي قدس الله سره إلى ما أشرنا إليه نحن هنا في كتابه «شرح الخلوة المطلقة» للشيخ الأكبر رضي الله عنه، حيث قال محذراً ممن ذكرنا في ابتداء الشرح المذكور وصية: «يا أخي رحمك الله، قد سافرت إلى أقصى البلاد، وعاشرت أصناف العباد، فما رأت عيني ولا سمعت أذني أشر، ١١٧ب ولا| أقبح، ولا أبعد عن جناب الله تعالى، من طائفة تدّعي أنها من كُمّل الصوفية، وتنسب نفسها إلى الكُمّل، وتظهر بصورتهم، ومع هذا لا تؤمن بالله ورسله ولا باليوم الآخر، ولا تتعبّد بالتكاليف الشرعية، وتقرر أحوال الرسل وما جاؤوا به، لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان، فكيف من وصل إلى مراتب أهل الكشف والعيان. ورأينا منهم جماعة كثيرة من أكابرهم في بلاد أذربيجان، وشروان، وجيلان، وخراسان، لعن الله جميعهم. فالله الله يا أخي لا تسكن في قرية فيها واحد من هذه الطائفة، لقوله تعالى: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ [الأنفال، ٢٥] وإن لم يتيسر لك ذلك فاجهد أن لا تراهم ولا تجاورهم، فكيف أن تعاشرهم وتخالطهم. وإن لم تفعل فما نصحت

نفسك. والله الهادي.»[١٩٧] انتهى كلام الجيلي قدس الله سره. وهذا قولنا ١١٧/ب
مع أنا لا نسئ ظناً في أحد ممن ظاهره الإسلام ما لم نتحقق منه شيئاً من ذلك.
ولتكن أنت كذلك يا أخي، ولا تحكم بالظنون في أحد من أمة محمد صلى الله عليه
وسلم ما لم ينكشف ذلك بالعيان والبيان على وجه لا يحتمل التأويل أصلاً.
ومتى وجدت محلاً للتأويل فاجنح إليه، واحذر على العموم لا الخصوص، وهو
مراد أهل الكمال. والسلام على الدوام.

---

١٩٧ عبد الكريم قطب الدين بن إبراهيم الجيلي (٧٦٧-٨٣٢هـ / ١٣٦٥-١٤٢٨م)، صوفي مشهور من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلاني ومن أعلام مدرسة ابن عربي الصوفية. لا نعرف سوى القليل عن حياته. سافر إلى اليمن وأمضى وقتاً بصحبة الشيخ شرف الدين إسماعيل الجبرتي، كما سافر إلى الهند. له حوالي الثلاثين مصنفاً من أشهرها في الإلهيات كتاب *الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل* (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧).

[٠٢١ ١١ رمضان ١٠٩٤هـ، ربما إلى الشيخ أحمد النابلسي]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى نابلس المحروسة في اليوم الحادي عشر من شهر رمضان من| السنة المذكورة، وصورته: ٥٣/أ

بسم الله الرحمن الرحيم. إن أشرف ما تحصل به صلة الأرحام، وأكمل ما تتعاطف به القلوب ذات الشوق والغرام، سلامٌ قولاً من ربٍ رحيم، وتحية مباركة مزاجها من تسنيم. قال الله تعالى: ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ [العصر، ٣] أي ليوصي بعضكم بعضاً بالحق،| وهو ضد الباطل من الأفعال، والأقوال، والأحوال الموافقة للشريعة المحمدية، وليوصي بعضكم بعضاً بالصبر على مكابدة ذلك الحق. وفيه إشارة إلى أن الحق موافقته من أصعب الأمور، ولهذا أمرنا بالصبر عليه. ونحن يا أخي نأمرك بما أمرنا الله تعالى أن نتواصى به من الحق والصبر. فالميثاق بيننا على ملازمة إتباع الحق والصبر عليه في جميع الأمور. وهي وصية جامعة، ولمحة نورانية لامعة. والله يجمعنا في مستقر رحمته من غير عذاب يسبق، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير. ١١٨ب

[٠٢٢ سنة ١٠٩٤هـ، ربما إلى الشيخ أحمد النابلسي]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى بلدة نابلس المحروسة في التاريخ المذكور، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. من العبد الفقير عبد الغني ابن النابلسي، إلى أخيه في دين الله تعالى، أما بعد: فنحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، ونشكره على العافية الدينية والدنيوية،| ونهدي إليكم أشرف التحيات، وأكمل التسليمات الوافيات. قال الله تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم﴾ [البقرة، ٢٨٢] اعلم يا أخي أن طلب العلم على قسمين. القسم الأول، طلب العلم بالمدارسة، والقراءة على المشايخ، ومطالعة الكتب، والتفهم مع الإخوان. وهذا القسم إنما يفيد علم الظاهر، وهو العلم الذي على اللسان. قال صلى الله عليه وسلم: «العلم علمان.»[١٩٨] علم باللسان، وليس له تحقيق على القلب، فذلك العلم الضار، وعلم بالقلب، فذلك العلم النافع. والقسم الثاني، طلب العلم بالتقوى

١١٨/ب

١٩٨ «العلم علمان: فعلم في القلب فذلك العلم النافع، وعلم على اللسان فذلك حجه الله على ابن آدم،» الدارمي، *سنن الدارمي*، المقدمة، باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله، الراوي حسن البصري، ١:١. أخرجه الدارمي.

القلبية والجسمانية، والخوف، والمراقبة، والإخلاص. وهذا القسم يفيد علم الباطن، وهو علم القلب، وهو العلم النافع. فعليك يا أخي بطلب العلم على حسب هذا القسم الثاني إن لم| يتيسر لك الأول على وجه الإخلاص. وحرر موازين الشريعة في نفسك، واحذر فيها من الزيادة| والنقصان. ولا تأتمر زيادة على ما أمرك به ربك، ولا تنته زيادة على ما نهاك عنه. واجتنب وسواس النفس، ولا تعمل بالهوى، ولا تعبد بالتحسين العقلي، وكن مأسور الأحكام الإلهية، دُر معها كيفما دارت، والله يتولى هُداك.

٥٤أ
١١٩ب

[٠٢٣ أواخر صفر ١٠٩٥هـ، ربما إلى الحاج محمد أفندي الحميدي]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى أدرنه المحروسة في أواخر صفر سنة خمس وتسعين وألف:

ومنه قولنا، والذي نوصيكم به، فإن الكل فانٍ، حتى لا يخلو هذا المكتوب من البركة، أن تلازموا التوبة بالقلب، والاستغفار باللسان، وتنظروا في أفعالكم وأقوالكم، فإن كان فيها الطاعة فاشكروا الله تعالى، وإن كان فيها المعصية فاندموا عليها، واعزموا أن لا تعودوا إليها، واستغفروا الله تعالى، واعتادوا على ذلك. ولا تهملوا أنفسكم ولو عدتم إلى المعصية في اليوم والليلة ألف مرة، ١١٩/ب ثم فعلتم كذلك بأن ندمتم على فعلها بقلبكم وعزمتم أن لا تفعلوها أبداً، ندماً وعزماً صادقاً في تلك الساعة، واستغفرتم الله تعالى فإن الله تعالى غفور رحيم. وقد قال تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين﴾ [البقرة، ٢٢٢] أي الكثيرين التوبة. ويلزم من كثرة التوبة كثرة المعصية. وإياكم أن تقولوا إن الله تعالى لا يغفر للعائد، أو أن التوبة لا تصح إلا إذا لم يعد العبد بعد ذلك إلى المعصية أصلاً. فإن هذا من كيد الشيطان ليقطع الإنسان عن القرب إلى الرحمن. وإذا كانت التوبة من حقوق العباد فليس من شرطها أداء الحقوق، بل أداء الحقوق واجب آخر بمنزلة

الدين على العبد، كما حققناه في شرحنا على *الطريقة المحمدية* بالنقول الجلية.[١٩٩]
ولا تتهاونوا في أمر التوبة، كما ذكرناه لكم، فإن الإنسان كثير الذنوب، نعلم هذا
من أنفسنا. وقال| رسول الله صلى الله علية وسلم: «والذي نفسي بيده إني ١٢٠ب
لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم والليلة أكثر| من سبعين مرة.»[٢٠٠] وهو سيد ٥٤/أ
المرسلين، فكيف من هو دونه بيقين. وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا
إلى الله توبة نصوحا﴾ [التحريم، ٨] الآية. والله تعالى يسعدكم وإيانا في الدنيا
والآخرة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

١٩٩ سبقت الإشارة إلى *الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية*، انظر رسالة رقم ١٧. ٢٠٠ «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة،» ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الدعاء، باب فيما يجري مجرى الدعاء: الاستغفار والتسبيح والتهليل والتكبير والتحميد والحوقلة، الراوي أبو هريرة، ٤:٣٨٧. أخرجه البخاري والترمذي.

[٠٢٤ أواخر صفر ١٠٩٥هـ، إلى الحاج صالح]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى بلدة سنبر من بلاد الروم، وهي سرحد لبلاد الكفار، وذلك في أواخر صفر من شهور سنة خمس وتسعين وألف، وصورته: بسم الله الرحمن الرحيم. سلامٌ قولاً من رب رحيم، أما بعد: فهذا كتاب من العبد الفقير، والعاجز الحقير، عبد الغني بن إسماعيل ابن النابلسي، الحنفي، الشامي، الدمشقي، القادري، النقشبندي، أخذ الله تعالى بيده، وأمده بمدده، إلى أخيه في دين الله تعالى،| الفاضل الصالح، الحاج ١٢٠/ب صالح، القاطن بولاية سنبر من بلاد الروم، أعزّه الله تعالى بعزّ تقواه، وجعله ممن يعبد ربه كأنه يراه. الشوق إليكم كثير، وطرف المودة ناظر إليكم غير حسير. ونحن ولله الحمد بخير وعافية، ونعمة من الله وافيه، أما بعد أيضاً: فإنا نوصيكم بالمحافظة على تقوى الله تعالى والاحتراز من غضبه وسخطه بمتابعة أحكامه الخمسة اعتقاداً وعملاً. فالحرام والمكروه بالاجتناب، والفرض والسنة بالامتثال، والمباح بالتخيير بين الفعل والترك. فإذا زللتم بالمخالفة فالندم بالقلب، والعزم على عدم العود أبداً، والاستغفار باللسان، وإن تكرر الزلل وتكرر العود في اليوم والليلة ألف مرة. «فإن الله لا يملّ حتى تملّوا،» كما

ورد في الحديث الشريف. والتوبة من حقوق العباد صحيحة أيضًا، وليس من
١٢١ب شرطها أداؤها| إلى أربابها، بل تبقى ديونًا في الذمة. والتوبة صحيحة في الصحيح
من الأقوال. ثم إذا تمّ لكم ما ذكرناه من الرسوخ في مقام التوبة، حتى صار
ذلك عندكم مثل المأكل والمشرب — إذا جعتم وعطشتم، أكلتم وشربتم، مثل إذا
٥٥أ أذنبتم، تبتم واستغفرتم[٢٠١] — لا تنسون ذلك، ولا تتهاونون فيه.| فعليكم بذكر
الله تعالى بعد ذلك بالقلب وباللسان بقول: «لا إله إلا الله، وحده لا شريك
له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير،» حتى يقوى عندكم
باعث الحضور، ويستولي على قلبكم شهود وحدانية الله تعالى في كل ما
تتحركون وتسكنون، في الظاهر والباطن. فاقتصروا بعد ذلك على الذكر بقول:
«الله الله،» حتى تنفتح عين البصيرة ويذهب حجاب الغفلة بالكلية، ولا يبقى
منكم بقية. فعند ذلك يظهر على لسانكم قول: «هو هو.» وبعده يحصل لكم إن
١٢١/ب شاء الله تعالى السكر في الله والغيبة عن كل ما سوى الله. ويفنى ما لم| يكن،
ويبقى ما لم يزل. فخذ ما أتاك الله وكن من الشاكرين.

ولا تنساني يا أخي من دعائك المبارك. ومهما عرض من المسائل والإشكالات،

---

٢٠١ إذا جعتم وعطشتم مثل إذا أذنبتم، أكلتم وشربتم مثل تبتم واستغفرتم، في أ و ب.

فأرسل إلي في المكتوب أجبك عنها. واحذر من الانتقاد والإنكار على أحد ممن تراه في بلادك أو غيرها أو تسمع به من فقراء الصوفية. واجعل أمورهم موكولة إلى ربّ البريّة. وتأول جميع زلات إخوانك، واشتغل بنفسك عن عيوب أهل زمانك. ولا تتبع فقهاء هذا الزمان التاركين لأنفسهم، والمشتغلين بعيوب الإخوان، خصوصاً من يتقرب بذلك إلى جناب السلطان، أو الكبراء من أهل الشان. والله على ما نقول وكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[٠٢٥ ١٤ رمضان ١٠٩٥هـ، إلى الحاج محمد أفندي الحميدي]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى بلدة أدرنة المحروسة من بلاد الروم وذلك في رابع عشر شهر رمضان من شهور سنة خمس وتسعين وألف، وصورته:

١٢٢ب بسم الله الرحمن الرحيم. إلى جناب المحب الصادق، والصديق المصادق، الأخ في دين الله تعالى، الحاج محمد أفندي الحميدي، سلمه الله تعالى وتولاه، وجمع شملنا برؤياه، أما بعد: فإن الأشواق إليكم كثيرة، والأوقات

٥٥/أ قصيرة، وموانع كثرة المراسلات معلومة لديكم شهيرة. والله يجمعنا وإياكم على| الهدى، ويحسن خاتمتنا كما أحسن المبتدا. وقد ذكرتم لنا في ضمن مكتوبكم الشريف أن مسئلة إباحة الدخان، المسمى بـ«التتن،» في شرحنا على *الطريقة المحمدية*، قد يتعرض لها القاصرون من الخلق فينكرونها، ويلزم من ذلك عدم تداول الشرح المذكور بين الناس. وقد استأذنتم منا في إزالتها ورفعها من الشرح المذكور حتى يصير الشرح معتبراً، ومستعملاً، ومتداولاً بين الناس. وشاورتمونا في

١٢٢/ب ذلك، وبذلتم لنا غاية النصيحة بخلوص المحبة، فجازاكم الله تعالى خيراً على| قصدكم ونيّتكم. ولكن نقول لكم الآن أن ما ذكرتموه هو الصواب بالنسبة إلى أحوال الدنيا، ورواج العلم فيها، ورفعة الشأن بين أهلها، بحيث يصير الإنسان صاحب

منصب ديني في مقام دنيوي. وهذا أمر لا رغبة لنا فيه، ولا باعث عندنا له. ونحن لا نصنف كتاباً ونريد به وجه المخلوق إن شاء الله تعالى. وكيف يليق بنا أن نذكر في الكتاب مباحث الرياء، والسمعة، والعجب، ونشرح ذلك، ونبين قبح العمل لغير الله تعالى، ثم نعمل على ذلك بأنفسنا ونطوي عليه؟ هذا أمر عندنا من أقبح القبائح. نسأل الله تعالى أن يطهّرنا منه.

وإنما ذكرنا مسئلة إباحة الدخان في شرحنا المذكور، وفي غيره أيضاً من كتبنا، بل عملنا في إباحة الدخان كتاباً مستقلاً حافلاً على فصول سبعة، أوضحنا فيه الإباحة للخاص والعام، مع أنا لا نستعمل الدخان، ولا نحبه أيضاً، ولا عناد لنا مع أحد فيه أصلاً.[202] ولكن| كراهة طبيعتنا له لا تقتضي عندنا كراهة شرعية بمجردها. وقصدنا بذلك الخروج من عهدة العلم الشرعي الموضوع فينا نصحاً لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، فيما اختلفوا فيه واشتبه عليهم من هذا الأمر المباح. فإن كان الله يريد قبول كتبنا بين الناس فلا مانع لذلك من طاعن يطعن بالباطل، وإن كان الله تعالى لا يريد قبول كتبنا بين الناس، فأي عمل منّا ينفذ على خلاف مراد الله تعالى؟| وإنما أمر شرحنا المذكور يبقى على ما هو عليه، مما يسره الله تعالى لنا من التحرير، وغيره أيضاً من كتبنا. وحسبنا الله تعالى ونعم

١٢٣ب

٥٦أ

---

٢٠٢ كتب النابلسي رسالة مستقلة في مسألة إباحة الدخان، انظر عبد الغني النابلسي، *الصلح بين الأخوان في حكم إباحة الدخان* (دمشق: مطبعة الصداقة، ١٩٢٤).

الوكيل على كل طاعن يطعن بجهله. وإن للبيت رباً يحميه، وقال تعالى: ﴿والله يحكم لا معقب لحكمه﴾ [الرعد، ٤١] فلا مدخل لنا فيه. والذي أنطقنا بالحق وحرّك يدينا بكتابته قادر على حمايته. وهؤلاء المحرمون| للدخان بالأوهام العقلية لا مبالاة لهم بشيء، فلا اعتبار لهم. فيا طالما أهرقوا دماء بالباطل، وأباحوا الشتم والقذف بالأمر المموه العاطل، مع إقرارهم على محرّمات كثيرة تنتهكها الظالمون، والله بصير بما يعملون، عفا الله تعالى عنّا وعنهم، وتاب علينا وعليهم، وأصلح أحوالنا وأحوالهم على حسب ما يحبّ ويرضى. قال الله تعالى: ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ [محمد، ٧] وقال تعالى: ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ [الكهف، ٢٩] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من كتم علماً ألجم بلجام من نار.»[٢٠٣] ولا يخفى ما ورد في حق كاتم العلم من الذم، وإنما على العالم بالحق بيانه. والمكلف يصنع ما شاء، فإن شاء اختار الجنة، وإن شاء اختار النار. وقال تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ [البقرة، ٢٥].

١٢٣/ب

---

٢٠٣ الهيثمي، *موارد الظمآن*، كتاب العلم، باب فيمن كتم علمًا، الراوي أبو هريرة، ١:١٩٨. أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وأبو يعلى، والطبراني في *المعجم الصغير*، والإمام أحمد في مسنده، وابن حِبّان في صحيحه، والحاكم في مستدركه.

والمأمول الآن من جناب الأخ، أعزه الله تعالى بعزّ التقوى، أن يُبقي كتبنا ١٢٤ب
عنده كلها على حالها. فإن استعار شيئاً منها أحد منه للاستفادة أعاره، أو
للاستنساخ على حسب ما يراه ويرضى به، إذ أعيان الكتب في ملكه وتصرفه.
فإذا اعترض معترض أو طعن طاعن في شيء منها، فإن علم منه أنه ممتحن متعنّت،
أن يغض عنه ويتركه فإن الله يكفينا في ذلك، وإن كان مستشكلاً منصفاً غير
متعنّت، يكتب إلينا عين إشكاله فإنّا نجيبه بالحق إن شاء الله تعالى مرة بعد مرة
على حسب ما يقتضيه الأمر. والله ولي التوفيق والهادي إلى سواء الطريق.

[٠٢٦ ٩ شوال ١٠٩٥هـ، إلى الشيخ صالح]

٥٦/أ ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى بلدة سنبر من بلاد الروم في تاسع شوال، سنة خمس وتسعين وألف، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. من العبد الفقير، والعاجز الحقير،

١٢٤/ب عبد الغني ابن النابلسي، الشامي، النقشبندي، خادم العلم الشريف، والطريق المنيف، إلى أخيه الشيخ الصالح إن شاء الله تعالى، الرومي، جمعنا الله تعالى وإياه على الهدى، وأقامنا في سنن المتابعة والاقتدا، أما بعد: فإن الشوق إليكم كثير، والزمان يسير، والإنسان في الدنيا مسافر، وزاده الأعمال الصالحة بالنيات الصحيحة والإخلاص، والمقصد الخلاص. فلا تعتمد على غير الله تعالى في بلوغ المقاصد، واحذر من فتنة الدنيا. قال تعالى: ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾[آل عمران، ١٨٥] وقال تعالى: ﴿والآخرة خير وأبقى﴾[الأعلى، ١٧] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الدنيا موقوفة بين السماء والأرض كالشنّ البالي تنادي ربها تعالى منذ يوم خلقها: ‹يا ربّ، لم تبغضني›؟ فيقول الله تعالى: ‹اسكتي يا لا شيء، أسكتي يا لا شيء›.»[٢٠٤] فتأمل قوله «كالشنّ البالي،» أي

٢٠٤ لم يرد في *تاج الأصول*.

«القربة المنخرقة» التي لا تضبط الماء فيها. وقوله «اسكتي يا لا شيء،» فإن مالا يكون شيئًا من سرعة ذهابه وانقضائه، لا ينبغي للعاقل| أن يتمسك به، ١٢٥ب فينحجب به عن مراقبة تجليات ربه في المساء والصباح. ولقد نصحتك وعلى الله قصد السبيل.

[٠٢٧ أواخر صفر ١٠٩٦هـ، إلى الحاج محمد أفندي الحميدي]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى بلدة أدرنة المحروسة وذلك في أواخر صفر، سنة ست وتسعين وألف، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وأزكى التحيات المباركات الصافيات في الجهر والخفا، إلى جناب المحب الصادق ذي المودة والوفا، الأخ في دين الله تعالى، الحاج محمد أفندي الحميدي، حمده الله تعالى فيمن عنده، ووالى عليه نواله ورفده، أما بعد: فإن الأشواق إليكم، لا تخفى كثرتها عليكم، ومن القلوب إلى القلوب سواقي، والمأمول دوام المراسلات| فإن فيها بعض التلاقي. ٥٧أ وقّف قلبك يا أخي وقوف الحاجب لمنع دخول الخواطر الرديئة، ولا تخض في المجالس التي| يتكلم أهلها بالهواجس النفسانية. واصحب أهل ١٢٥/ب الكمال في الدين وإن سفلت مزاياهم، وإياك[٢٠٥] وأهل الجهل والنقص وإن ارتفعت زواياهم. وإذا فرغت عن الأغيار، فانصب بالمجاهدة الشرعية في الليل والنهار، وإلى ربك فارغب مع أهل المزية والاعتبار.

---

٢٠٥ وإياك، ساقطة في أ و ب.

وهذه وصية جامعة، ونصيحة قامعة. وما لا يدرك كلّه، لا يترك جُلّه. والله ولي التوفيق، والهادي إلى سواء الطريق.

[٠٢٨. أواخر صفر ١٠٩٦هـ، إلى الحاج إبراهيم أفندي]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى خيره بول من بلاد الروم في أواخر صفر، سنة ست وتسعين وألف، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. سبحان الملك الديّان، وجلّ وعزّ من كل يوم هو في شان. إلى جناب الأخ في الله، والصديق المصادق في دين الله، الحاج إبراهيم أفندي، أعزّه الله تعالى بعزّ تقواه، في دنياه وأخراه، أما بعد: فإن الشوق كثير، واللقاء عسير،| وليس إلا المراسلة، فإن فيها بعض المواصلة. والأرواح جنود مُجنّده، والأشباح خشب مُسنّده. وليكن تعويلنا على الاجتماع الروحاني، فإنه الجامع لأسرار المعاني، وهو اجتماع الأفاضل من أهل الله. وإنما اشتراط تلاقي الأجسام عند من إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم من الأنام. قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون. إلا من أتى الله بقلب سليم﴾[الشعراء، ٨٨ – ٨٩] وسلامة القلوب من الآفات الستين المذكورة في *الطريقة*، هي الأمر النافع في الدارين عند أهل الشريعة والحقيقة. ومن ذلك كله ترك الأغيار، والاكتفاء في المعقولات والمحسوسات بظهور الواحد القهار. وإن لم يمكن الاكتفاء به على العين فليكن

١٢٦ب

على السماع، فإن من ﴿يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ [الزلزلة، ٧ – ٨] بالإجماع. وهذه نصيحتنا إليكم، و وصيتنا لكم وعليكم. ١٢٦/ب حفظ الله تعالى أسراركم، وطهّر أرواحكم، وأنساكم حوت الطبيعة عند مجمع ٥٧/أ بحري الحقيقة والشريعة. وقوموا لله قانتين، يا أهل المعرفة والدين، فإن قيامكم له على التجريد، أكمل من قيامكم به على التوحيد.

[٠٢٩ ٣ رجب ١٠٩٦هـ، *إلى الحاج محمد أفندي الحميدي*]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى القسطنطينية في ثالث شهر رجب، سنة ست وتسعين وألف، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم، والله بكل شيء عليم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. من العبد الفقير إلى الله، عبد الغني ابن النابلسي، الدمشقي الحنفي، عامله الله تعالى بلطفه الجلي والخفي، إلى أخيه في دين الله، الحاج محمد أفندي الحميدي، حمده الله تعالى فيمن عنده، ووالى عليه إنعامه ورفده، أما بعد: فإن الله تعالى مشكور على كل حال، ولا بد من حالتي قبض وبسط، وجلال وجمال.| والصبر عبادة، والشكر عبادة. ولا بد أن يُذيق الله تعالى الصالحين ما يقتضي الترح لاستخراج الصبر منهم، وما يقتضي الفرح لاستخراج الشكر منهم. والذي يتضمنه هذا الكتاب إليكم من النصيحة أن تتواصوا بالفراغ القلبي والذكر اللساني والحالي، حيث أقامكم الله تعالى في ترك الشواغل الدنيوية في الجملة. ولا تغرنّكم الحياة الدنيا وزينتها. وتحققوا أن الذكر باللسان والحال لا نفع له إلا بعد الفراغ، كالدواء لا نفع له إذا لم يكن المريض آكلاً شيئًا من الطعام الغليظ، وإلا فسد الدواء وما نفع في زوال الداء. وربما

١٢٧ب

انقلب الدواء داء. وكذلك الفراغ القلبي، لا نفع له إلا بالذكر. فالنفع لا يحصل إلا بالفراغ والذكر اللساني والحالي. فالفراغ أنثى، والذِّكرُ ذكَر، والنتيجة بينهما هي النّفع. ومرادنا بـ«النّفع،» حصول الفتح الإلهي على القلب| بأنوار المعرفة، لا مرادنا بالنّفع حصول الثواب في الآخرة والعدالة في الوصف بين أهل الدنيا، فإن ذلك مقصود العامة لا الخاصة.| ونحن نتصحكم في مقاصد الخواص لا العوام. ١٢٧/ب ٥٨أ

وحيث كان ذلك موقوفًا على الفراغ والذكر، كما قال تعالى: ﴿فإذا[٢٠٦] فرغت فانصب. وإلى ربك فارغب﴾[الشرح، ٧ – ٨] فالرغبة إلى ربك موقوفة على الفراغ. فلابد من بيان الفراغ وبيان الذكر على وجه الاختصار، دون الإكثار. أما «الفراغ،» فهو خلو القلب من الخواطر المتعلقة بالدنيا وبالآخرة. كما روى أبو نعيم في *الحلية* بسنده عن أبي عبد الله الأنطاكي رضي الله عنه أنه كان يقول: «ما أغبط أحدًا إلا من عرف مولاه. واشتهي أن لا أموت حتى أعرفه معرفة العارفين الذين يسجونه، لا معرفة التصديق.» وروى أبو نعيم في *الحلية* أيضًا عن قاسم الجوعي رضي الله عنه قال: «قليل العمل مع المعرفة خير من كثير العمل بلا معرفة.» وروى أبو نعيم أيضًا عن الباجي رضي الله| عنه أنه قال: «الذي جعل الله المعرفة عنده يتنعم مع الله تعالى في كل أحواله.» وقال أيضًا: «اعرف وضع رأسك حيث شئت ونم، فما عُبِد الله بشيء أفضل من ١٢٨ب

٢٠٦ وإذا، في أ و ب.

المعرفة.»[٢٠٧] ويؤيده قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ركعتان من عالم بالله خير من ألف ركعة من جاهل بالله.»[٢٠٨]

ففارغ القلب مما سوى الله تعالى معناه قاصر الهمة عن تحصيل ما سواه. فيتعشق التحقيق في معاني تجلياته، ويتطلب الكشف عن سر توجه أسمائه الحسنى على إيجاد مخلوقاته، بحيث يبيت ويصبح لا همة له في غير ذلك. وإن اهتم في قوت بدنه وخرقة الكسوة فيكون من قبيل قوله تعالى: ﴿ولا تنسى نصيبك من الدنيا﴾[القصص، ٧٧] هذا حال السالكين في البداية، وللواصلين أحوال أخرى يقومون بها، هي أرقى لهم وأكمل في حال النهاية. وهذا الفراغ المذكور هو طهارة القلب، فإذا لم يحصل، لا نفع للذكر باللسان ولا بالحال غير الثواب ١٢٨/ب فقط. ولا نتيجة له من نتائج العرفان المشار إليها بقوله تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾[البقرة، ٢٨٢] وأما الذكر، فهو ذكر الله تعالى بأي اسم كان من ٥٨/أ أسمائه سبحانه على حسب ما يجد له الذاكر في نفسه هيبة، وتنفعل له قوة الخشوع من قلبه. والذكر الحالي، هو فعل العبادات لله تعالى والطاعات، كالصلاة،

٢٠٧ انظر أبو نعيم الإصبهاني، *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧). ٢٠٨ لم يرد في *تاج الأصول*. ورد بنص مختلف في السيوطي، *الجامع الصغير*، ٢٧٤ (ح٤٤٧٦)، عن ابن النجار عن محمد بن علي مرسلاً.

والصوم، والصدقة، فرضاً أو نفلاً، مع النية الخالصة لوجه الله تعالى، والخشوع وحسن المعاملة مع الناس في حقوقهم بكفّ الأذى عنهم بالظاهر والباطن، والاجتماع معهم بالنصيحة، والغيبة عنهم بالدعاء لهم بالهداية والتوفيق، وترك التكبّر عليهم والافتخار بالقلب أو باللسان. وهذا وأمثاله كله ذِكْرُ الله تعالى بالحال، حيث لم يقصد به فاعله إلا وجه الله تعالى، والله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه.

وقد لخصنا لك الطريق إلى الله، ونسأل من الله تعالى أن | يسهل لك السلوك فيه، فيكون هو سبحانه نعم الرفيق، كما ورد: «الرفيق ثم الطريق.» ولا أرفق من الله بالعبد، ولا أرحم منه به. وعلى الله قصد السبيل. ١٢٩ب

[٠٣٠ ٧ رجب ١٠٩٦هـ، ربما إلى الحاج محمد أفندي الحميدي]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى أدرنة المحروسة في سابع شهر رجب، سنة ست وتسعين وألف، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. سلام الله المبارك[٢٠٩] الأسنى، وتحيته المقدسة الحسنى، الممتدة من لمعات أنوار قاب قوسين أو أدنى، إلى الروح المطهّرة بأنوار أسرار السماع، والنفس المطمئنة على استجلاء لوامع أقمار الدف الذاكر والناي المتواجد واليراع، أما بعد: فهذا كوكب مودة طلع من سماء محبة، فبذر في أرض القلوب الصادقة لغراس الكمالات حبة بعد حبة. من الحقير ساكن دمشق الشام، عبد الغني ابن النابلسي، حفظه الله تعالى من شرور السفلة الطغام. كثر في هذا الزمان| يا أخي جهل الخلق بالحق، وزادت ١٢٩/ب دعاويهم من غير علم ولا صدق. وقرروا بأقوالهم المزخرفة شرائع الأحكام، وغيروا بأعمالهم المحرّفة شعائر الإسلام. فتراهم ينكرون المكروه ويأكلون الحرام، ويقرون الأغنياء على الكفر والمعاصي والآثام، ويأمرون الفقراء وينهونهم على وجه الازدراء والانتقام.| شدّدوا على غيرهم، وسهّلوا على ٥٩أ

٢٠٩ المباركة، في أوت.

أنفسهم، لتظهر لهم المزية والتأمّر بالكلام. ورحم الله تعالى الفقهاء الحنفية، فإنهم يقولون في كتبهم: «يُحرّم استماع الملاهي وآلات اللّهو،» ونحو ذلك من العبارات. وهؤلاء يطلقون الحرمة للآلات، من غير تقييد باللّهو بها، كأنهم لم يفهموا كلام الفقهاء في كتبهم ولا عرفوا قيودها. فجرّدوا الآلات من قيود اللّهو، وحرموها مطلقاً، ولم يعتبروا ما قيدتها به الفقهاء. وهذا أمر شنيع في الدين، وفساد عام بين المسلمين، اخترعته متفقهة الزمان، لمّا لم يتعاط كلام الفقهاء غيرهم من أهل الإيمان. ١٣٠ب

فإن كانت الآلات واستماعها تحرّم مطلقاً، بلهو وبلا لهو، وسواء كانت ملاهي أو لم تكن، فهو خروج من مذهب الفقهاء بالكلية. ونظيره قول الفقهاء: «يحرم على الرجل الجنب مس المصحف.» فإذا لم يعتبر أحد لفظ «الجنب،» وأسقطه من كلام الفقهاء، وقال: «يحرم على الرجل مس المصحف،» فهل كنتم تخطّئونه أم تصوّبونه؟ فكذلك قول الفقهاء: «يحرم استماع الملاهي وآلات اللّهو،» ونحو ذلك. فإن قيد «اللّهو» في حرمة هذه الآلات شرط وارد في عبارات الفقهاء كلهم، أخذاً من نصوص الأحاديث، فلا بد من اعتباره في وجود حرمة السماع للآلات. وكنت أورد لك عبارات الفقهاء والأحاديث الواردة في ذكر قيد اللّهو، ولكن هذا محل اختصار، فإنه مكتوب لا كتاب. ١٣٠/ب

وقد ذكرنا في شرحنا على *الطريقة المحمدية* للبركلي هذه المسئلة، ولنا رسالة أيضاً

مستقلة بهذا التفصيل الذي نذكره.[٢١٠] فلابد في كون سماع الآلات بجميع أنواعها حرامًا، أن تكون ملاهي وآلات لهو. وإذا زال عنها هذا القيد زالت الحرمة. ولا بد أن يكون المراد بـ«اللّهو،» الذي تقترن به تلك الآلات حتى يحرم سماعها، لهوًا محرمًا، لا لهوًا مباحًا. واللّهو قسمان: قسم حرام، كشرب الخمر، والزنا، واللواط، وكل ما يُلهي ويُشغل عن الصلاة| المفروضة، فينساها ٥٩/أ صاحبها لاشتغاله به، فتفوت عن وقتها، أو يلهي عن غيرها أيضًا من العبادات والطاعات المفروضة على المكلّف. وهذا هو اللّهو الذي إذا اقترن به سماع الآلات المطربات بالنغمات الطيبات كان حرامًا. وتسمى حينئذ تلك الآلات «ملاهي،» و«آلات لهو،» ونحو ذلك،| وهو مراد الفقهاء بتحريم الملاهي. ١٣١ب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «استماع الملاهي حرام، والجلوس عندها فسق، والتلذذ بها كفر.»[٢١١] ونحو ذلك من الأحاديث. وورد في حديث آخر: «إذا شربت الخمور، واتخذت القينات، وضربت الملاهي، فانتظروا الساعة.»[٢١٢] و«القينات» هي «النساء الزواني.»

والقسم الآخر من اللّهو وهو اللّهو المباح. فقد قال تعالى: ﴿اعلموا أن الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ [الحديد، ٢٠] ولم يقل أحد أن الحياة الدنيا حرام

---

٢١٠ عبد الغني النابلسي، *إيضاح الدلالات في سماع الآلات* (دمشق: دار الفكر، ١٩٨١). ٢١١ لم يرد بالنص المذكور في *تاج الأصول*. ٢١٢ لم يرد بالنص المذكور في *تاج الأصول*.

لكونها لهواً، فهي لهو مباح. وكذلك ورد في الحديث، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الهوا والعبوا فإني أكره أن يكون في دينكم غلظة.»[٢١٣] رواه البيهقي عن المطلب بن عبد الله. وفي رواية الديلمي في مسند الفردوس: «الهوا والعبوا فإني أكره أن يكون في دينكم غلظة.» ومعلوم أن المراد بهذا اللّهو، اللّهو المباح، لا اللّهو الحرام. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خير لهو المؤمن السباحة، وخير لهو المرأة المغزل.»[٢١٤] فإذا اقترن سماع الآلات بمثل هذا اللّهو المباح، كان لهواً مباحًا. فلا تسمى حينئذ تلك الآلات في اصطلاح الفقهاء «ملاهي» ولا «آلات لهو،» خصوصًا إذا اجتمعت عليها المشايخ الصالحون مع الفقراء الذاكرين، يذكرون الله تعالى، ويمجدونه، وينطربون بها في ذكرهم وتمجيدهم. ومعلوم أن مجالس الصالحين لا شيء فيها من اللّهو الحرام، كالخمر، والزنا، واللواط، ونحو ذلك. ولا تلهيهم عن فرض من فروض الله تعالى، بل تحثهم على طاعته وامتثال أمره. فمن أنكرها عليهم فهو ممن طبع الله على قلبه، وأضله عن السبيل، وأضل به من لم يهده من عباده. وهذا الذي ذكرناه لك هنا تخريج للمسألة على مذهب الفقهاء الحنفية،

١٣١/ب ٦٠أ ١٣٢ب

٢١٣ لم يرد في *تاج الأصول*. ورد باختلاف طفيف («أن يُرى» بدل «أن يكون») في السيوطي، *الجامع الصغير*، ٩٨ (ح ١٥٨٢)، عن عبد المطلب بن عبد الله. ٢١٤ لم يرد في *تاج الأصول*. ورد في السيوطي، *الجامع الصغير*، ٢٤٨ (ح ٤٠٧٦)، عن ابن عباس.

دون أئمة الصوفية. وإلا فإن عندنا من كلام أئمة الصوفية والعارفين في كون السماع المذكور مباحًا بل مستحبًا، بل قد يكون واجبًا عندهم للسالك، ما لو أظهرناه لطال الكلام، واتسع مجال الإفهام. ولكن إذا كانت متفقهة زماننا قاصرين عن تحقيق ما بأيديهم من كتب الفقه لانطماس بصائرهم في الغالب بأكل الحرام، وفي البعض بالتقليد المحض لأغنياء العلماء، فكيف يفهمون ما في كتب الصوفية؟ والله يعلم المفسد من المصلح، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وأما ما يَحتجّ به بعض المتفقهة من قول النبي صلى الله عليه وسلم: «كل لهو ابن آدم حرام إلا ثلاث.»[٢١٥] فهو مثل قوله أيضًا صلى الله عليه وسلم: «كل بدعة ضلالة،»[٢١٦] مع أن في البدع ما هو مباح. فهو عام مخصوص بـ«الحياة الدنيا،» فإنها «لهو» بنص القرآن،| وليست بحرام، و«بالسباحة والمغزل» في الحديث الذي ذكرناه، فإنهما «لهو،» وهو خير. فالمعنى «كل لهو ابن آدم هو حرام،» فهو حرام، كما أن «كل بدعة هي ضلالة،» فهي ضلالة. والحمل

١٣٢/ب

---

٢١٥ «كلُّ لهو باطل، ليس من اللهوِ محمود إلا ثلاثة،» ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب السبق والرمي، باب أحكامها، الراوي عقبة بن عامر، ٥:٤١. أخرجه أبو داود، والترمذي، والنسائي. ٢١٦ الحاكم، *المستدرك على الصحيحين*، كتاب العلم، الراوي العرباض بن سارية، ١:١٧٤. أخرجه ابن حِبّان والحاكم.

مفيد. مثل قوله تعالى: ﴿والسابقون السابقون﴾ [الواقعة، ١٠] أي كل لهو ابن آدم هو حرام، لاقترانه بأمر حرام، فهو حرام. وكل بدعة هي ضلالة، لأنها تؤدي إلى ضلالة، فهي ضلالة. وإن استشكل عليكم أحد من أهل الإنصاف شيئًا من هذا فأرسلوا إلينا خبرًا نحل إشكاله إن شاء الله تعالى، وإن كان المستشكل معاندًا متعنتًا فالله يكفينا وإياكم فيه. فإن الذي فهّمنا الحق، وأنطقنا، وحرّك يدنا بكتابته، قادر على حمايته. والله على كل شيء قدير، وهو العليم الخبير.

[٠٣١ ٥ رمضان ١٠٩٦هـ، إلى الشيخ أحمد الحارثي]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى بلاد نابلس المحروسة في خامس شهر رمضان، سنة ست وتسعين وألف، وصورته:|

٦٠/أ

بسم الله خير الأسما،| والأرفع في إظهار الآثار الكونية والأسما، والحمد لله خالق الأرض والسما، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي رقى في مراقي الكمال والأسما، أما بعد: فسلام الله الأتم، ومزيد تحيته الأخص والأعم. من العبد الفقير الحقير، المعترف بالعجز، المغترف من فيض فضل القدير، عبد الغني ابن النابلسي، إلى أخيه في دين الله تعالى، الشيخ الصالح، والكامل الفالح الناجح، الشيخ أحمد الحارثي، حرس الله تعالى ذاته من طروق الأغيار، وفتح بصيرته بمفتاح التوفيق وكشف له عن وجه الأسرار، غبار الإضافة والاعتبار، ليكون من أهل الفطنة والاعتبار. الذي نوصله إليكم أولاً، شكراً لله تعالى على العافية الدينية والدنيوية، وتوالي نعمه إن شاء الله تعالى ظاهرة وباطنة في كل بكرة وعشية.| وقد وصل إلينا مكتوبكم بالخير، وعلمنا كمال محبتكم لنا إن شاء الله تعالى. فالذي نعلمكم أننا نحبّكم في دين الله تعالى. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أحبّ أحدكم أخاه

١٣٣ب

١٣٣/ب

فليعلمه أنه يحبّه.»[٢١٧] رواه الإمام أحمد، والبخاري في *الأدب*،[٢١٨] وأبوداود، والترمذي، وابن حِبّان، والحاكم، عن المقدام بن معدي كرب. وفي رواية: «إذا أحبّ أحدكم عبداً فليخبره، فإنه يجد مثل الذي يجده.»[٢١٩] رواه البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما.

واعلم يا أخي أن الزمان استترت رجاله تحت سوء الظنون من كثرة الخبث وظهرت القشور. ولله در من قال في المتقدمين والمتأخرين من الرجال:

لا سِتتارِ الرجالِ في كلِّ عصرٍ تحتَ سوءِ الظنونِ أمرٌ جليلُ
ما يضرُّ الهلال في حِندِسِ الليلِ سَوادُ السحابِ وهو جميلُ

فاحذر على نفسك يا أخي من المتابعة لأهل الزمان، واعمل بما تعلم. قال رسول

---

٢١٧ «إذا أحبّ أحدكم أخاه فليعلمه،» الهيثمي، *موارد الظمآن*، كتاب الزهد، باب إعلام الحب، الراوي المقدام بن معدي كرب، ٨:١٩٦. أخرجه أبوداود، والترمذي، والإمام أحمد في مسنده، وابن حِبّان في صحيحه، والحاكم في مستدركه. ٢١٨ محمد بن إسماعيل البخاري، *الأدب المفرد* (القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠٣). ٢١٩ «... فإنه يجد له مثل الذي يجد،» ابن حجر العسقلاني، *المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية*، كتاب الأدب، باب الحب والإخاء، الراوي عمر بن ميمون، ١٢:٧٠. أخرجه مسدد بن مسرهد في مسنده.

١٣٤ب الله| صلى الله عليه وسلم: «اتق الله فيما تعلم.»[٢٢٠] رواه أبو يعلى والترمذي
٦١أ عن يزيد بن سلمة الجعفي. وقال| رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا رأيت
الناس قد مرجت عهودهم، وخفت أماناتهم، وكانوا هكذا، وشبك بين أنامله،
فالزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك
بخاصة أمر نفسك، ودع عنك أمر العامة.»[٢٢١] رواه الحاكم عن ابن عمر. وقوله
صلى الله عليه وسلم: «وكانوا هكذا، وشبك بين أنامله،» أي كانوا مختلطين،
قد التبس الصالح منهم بالفاسد. فلا يمكن التمييز على التعيين، كما نقول نحن من
حيث العموم أنه في زماننا اليوم. وإذا رجعنا إلى تحقيق البصيرة فلا التباس
من أمر مطلقاً. قال تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ [البقرة،
٢٥٦] الآية. فاضطر إلى الله تعالى يا أخي في جميع أحوالك، في ظاهرك
١٣٤/ب وباطنك، يكشف لك عن الأمر على ما هو عليه،| ويريك الحق حقاً والباطل
باطلاً. ولا تك بنفسك في شيء من أحوالك، واترك الحركة بالغرض النفساني
في الخير والشر، فإن النفس أمارة بالسوء، كما قال الله تعالى: ﴿إن النفس

---

٢٢٠ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب العلم، باب آداب العالم، الراوي يزيد بن سلمة، ٨:١٣. أخرجه الترمذي. ٢٢١ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الفتن والأهواء والاختلاف، باب الوصية عند وقوع الفتن وحدوثها، الراوي عبد الله بن عمرو بن العاص، ١٠:٥. أخرجه أبو داود والبخاري. الحاكم، *المستدرك على الصحيحين*، كتاب الأدب، ٤:٣١٥. أخرجه ابن حِبّان والحاكم.

لأمارة بالسوء إلا ما[٢٢٢] رحم ربي﴾ [يوسف، ٥٣] يعني بالكشف عن كونها بيد الله تعالى، فهي مقيدة لا مطلقة، كما قال عليه السلام: «والذي نفسي بيده.»[٢٢٣] وهو الاضطرار إلى الله تعالى كما قلنا. ولله در القائل:

كلّ أوقاتي اضْطرارٌ إلى الله　　　وما ليَ وَقتٌ بِغيرِ اضطرارِ

---

٢٢٢ من، في أ و ب و ت. ٢٢٣ وردت العبارة في العديد من الأحاديث.

[٠٣٢ أواخر رمضان ١٠٩٦هـ، *إلى الحاج إبراهيم أفندي*]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى بلدة خيره بول من بلاد الروم في أواخر شهر رمضان، سنة ست وتسعين وألف، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. من العبد الفقير الحقير، عبد الغني ابن النابلسي، إلى أخيه في دين الله تعالى، الحاج إبراهيم أفندي الخيره بولي، لا زال ساكناً في الخير الواسع، بالعز الشاسع، سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فسبحان الله العظيم، الذي لا إله| إلا هو، الرب الحليم. نحن كنا في بيتنا مع جماعة من إخواننا نقرئهم كتاب *فصوص الحكم*| للشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي رضي الله عنه، وقد شرحناه الآن في جزأين كبار، وتم شرحه.[٢٢٤] فدخل علينا هذا الرجل المسمى محمود أفندي في يوم من الأيام، وكنا نترحب به إذا دخل، ونظن أنه يفهم الكلام وعنده أدب البحث. فإذا أصغر من عندنا يفهم أكثر منه. فقلنا في أثناء درسنا عبارة مذكورة في كتاب *الفتوحات المكية* للشيخ

١٣٥ب

٦١/أ

---

٢٢٤ انظر عبد الغني النابلسي، *جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨). صدر نص الفصوص في عدد من الطبعات. انظر ابن عربي، *فصوص الحكم*، تقديم وشرح أبو العلا عفيفي (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٠).

الأكبر رضي الله تعالى عنه، هكذا بطريق الاستفهام، ولم نصرح بالنقل اعتماداً على ثقة الحاضرين بنا، كما يفعل كثير من المدرّسين: «هل حُكمُ الله تعالى على أصحاب الكتب، يعني اليهود والنصارى، بالجزية وإبقائهم على دينهم، شرع من الله تعالى لهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم؟ ذلك ما أعطوا الجزية عن قوة من| الآخذين وصغار منهم، فقد فعلوا ما كلفوا، وكان هذا حظهم من الشريعة. فإبقاؤهم على شرعهم، [شرع] محمّدي [لهم]، فسعدوا بذلك. فتكون مؤاخذة من أخذ منهم بما فرّط فيه من الشرع الذي هم عليه، كسائر العصاة الذين لم يعملوا بجميع ما تضمنه شرعهم وإن كانوا مؤمنين.»[225] هذه عبارة *الفتوحات المكية* بحروفها في أواخر الباب السابع والثلاثين وثلاثمائة منها في معرفة منزل محمد صلى الله عليه وسلم. ثم قال بعد ذلك: «وهذا علم غريب، ما أعلم أن له ذائقاً، من فتوح المكاشفة، وهو من علوم الأسرار التي غار عليها أهل الله فصانوها.»[226]

١٣٥/ب

فقد قلنا كلاماً هذا معناه، إن لم يكن هذا لفظه، لأن العلم أمانة، والنقل بالمعنى دون اللفظ جائز في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف في عبارات الكتب؟ فرأينا ذلك الرجل بمجرد ما نقلنا| هذا الكلام أنكره علينا، وظن

١٣٦ب

---

٢٢٥ هناك اختلافات طفيفة بين نص *الفتوحات* المطبوع ونص النابلسي. أنظر *الفتوحات المكية*، ٣:١٤٤. ٢٢٦ المصدر السابق.

أننا أو ردناه من تلقاء أنفسنا، ولم يسألنا عن نقله، ولا قال لنا من نقل هذا، وإنما ذهب ليرد علينا بقوله تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين﴾[التوبة، ٥] الآية، ونحو ذلك. فقلنا له: هذا[٢٢٧] عام، مخصوص بقوله| تعالى: ﴿حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾[التوبة، ٢٩] وبأن أهل الذمة لا يجوز قتلهم بالإجماع. على أن ما أورده غير ما نحن بصدده، كما لا يخفى. وتكلم معنا كلاماً آخر ثم سكت، حيث لم يجد له مساغًا في الكلام من قصوره. كل هذا ولم يسألنا عن نقل المسألة، قاطعاً جازماً بتخطئتنا فيها. والإنسان يحكي الكفر عن غيره ولا يكفر، فكيف إذا حكينا عبارة بالمعنى عن الشيخ الأكبر رضي الله عنه في كتابه المذكور، ونحن نعرفها، يكون ذلك خطأً في حقنا؟

٦٢أ

فأضمر في الحال ذلك الرجل العداوة لنا، ونحن نحس بقلبنا من صفاء سريرتنا| وسلامة صدرنا بما في قلبه لنا، ولكن لم نواجهه بسوء أصلاً مدة تردده إلينا، واسألوه عن ذلك. فكان يدخل إلى بيتنا، يقرأ عندنا من أوائل *صحيح البخاري*، كما أشرتم أنتم إلينا بذلك في مكتوبكم لنا معه، توصية فيه. فاعتبرنا منكم صدق محبتكم واعتقادكم فينا، واحتملنا عداوته لنا وإنكاره علينا بقلبه طول تلك المدة، وهو ينافقنا. حتى أنه لما جاء من مكة المشرفة وطلب مناكتابة المكتوب لكم، جاء وأخذ المكتوب و وعدنا أن يأتي ثانياً يودعنا قبل سفره. فسافر ولم يأت، ولم نره بعد ذلك أصلاً. واسألوه عن

١٣٦/ب

٢٢٧ هذا، ساقطة في أ و ب.

ذلك فإنه ربما يعترف به. وليس هذا بأمر لا نؤمنه. يقرأ علينا حصة من أوائل *صحيح البخاري* في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بنيّة أخذ الإجازة منا بذلك، ويَصدر منه الوعد لنا بالعود قبل السفر، ويسافر، ويكذب، ويخلف في وعده. | فقد ١٣٧ب ورد في الحديث في أوائل الكتاب الذي كان يقرأ فيه، بل في الكراس الذي دفعناه له ليقرأ فيه من أوائل *صحيح البخاري*، باب علامات المنافق، بعد إيراد السند عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «آية المنافق ثلاث: إذا| حدث كذب، ٦٢/أ وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان.»[٢٢٨] ونحن وجدنا في هذا الرجل العلامات الثلاث. وعدنا فأخلف كما ذكرنا، وكذب علينا بما لم نقله. فإنا ما قلنا كما أنهى إليكم عنا، أن الكفار إما أن يسلموا أو أن يعطوا الجزية، فإذا أعطوا الجزية لا يدخلون النار. وحاشا أن نقول ذلك. ولفظ «الكفار» شامل للمجوس، وعباد الكواكب، وعباد الأوثان، والمشركين من أهل الكتاب. وكلامنا ليس كذلك. وإنما قلنا كما قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه في عبارته السابقة، من غير لفظ «الكفار،» أهل الكتاب خاصة، وهم| اليهود والنصارى. وذلك على فرض وتقدير أنهم ١٣٧/ب مؤمنون بالله تعالى من غير شرك منهم به تعالى، وعلى فرض أنهم متمسكون بالتوراة والإنجيل، ولم يخالفوا منهما شيئاً. وعلى فرض أن توراتهم وإنجيلهم لم يغيروا

---

٢٢٨ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب النفاق، الراوي أبو هريرة، ١١:٥٦٩. أخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي.

شيئاً منهما، ولم يضعوا فيهما الكفر. ولهذا قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه في آخر عبارته السابقة: «فإبقاؤهم على شرعهم، شرع محمدي.» وقال: «وإبقاؤهم على دينهم شرع من الله لهم.» وإذا حرفوا شرعهم ودينهم و وضعوا الكفر في توراتهم وإنجيلهم، فليس ذلك بشرعهم ولا دينهم حتى يكون شرعاً محمدياً لهم، كما لا يخفى على أهل الأفهام. وقال أيضاً كما سبق في عبارته: «فتكون مؤاخذة من أخذ منهم بما فرّط به من الشرع الذي هم عليه، كسائر العصاة الذين لم يعملوا بجميع ما تضمنه شرعهم وإن كانوا مؤمنين.» يعني فمن خالف| منهم لشرعه الصحيح، الذي لم يتغير ولم يتبدل، على فرض ذلك وتقديره، فهو عاص فاسق بمقتضى ذلك، أو كافر إن اقتضى شرعهم ذلك، حيث هم مقرون عليه في شرعنا ولم ينسخ ذلك في حقهم. أرأيت أن الفقهاء مصرحون بصحة نكاحهم، وإن كان بغير شهود أو في عدة كافر، إن كان ذلك صحيحاً في دينهم، ويقرون عليه بعد الإسلام. ١٣٨ب

و في الواقع الآن شرعهم ودينهم متضمن| للكفر، حيث غيّروه وبدّلوه بنص القرآن. قال تعالى: ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾[النساء، ٤٦] وقال تعالى: ﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾[المائدة، ٤٧] الآية. وليس في شيء من شرعهم الصحيح ما هم فيه الآن من القول بحلول الإله في المسيح واتحاده به،[٢٢٩] وقول اليهود بالتجسيم في حقه تعالى، وقولهم يد الله مغلولة ونحو ذلك. والرجل ٦٣أ

٢٢٩ به، ساقطة في أ و ب.

لم يستفهم منا عن هذه المسئلة، واسألوه هل راجعنا فيها أو في غيرها مما سمعه ١٣٨/ب
منا في وقت من الأوقات، أو قال لنا لمّا كان يدخل علينا وليس عندنا أحد غيره،
المسألة الفلانية ما فهمناها، وكيف يسوغ الكلام فيها. لم يصدر منه شيء من
ذلك أصلاً غير البشاشة في وجهنا في الظاهر، وإضمار الإنكار في الباطن. وقد
ائتمناه على ذكر هذا المبحث في وقت حضوره عندنا، فخاننا فيه، وشنّع علينا عندكم
بما لم يفهمه منا. وهذا المبحث في علوم أسرار الشريعة المحمدية، كما قال الشيخ الأكبر
رضي الله عنه في آخر عبارته السابقة: «وهذا علم غريب، ما أعلم له ذائقاً، من فتوح
المكاشفة، وهو من علوم الأسرار التي غار عليها أهل الله فصانوها.» وإنما ذكره
الشيخ الأكبر قدس الله سره في كتابه لبيان السر في إقرار اليهود والنصارى على
شرعهم ودينهم اليوم، إذا أعطوا الجزية، حيث كان لهم[٢٣٠] ما لنا وعليهم ما علينا ١٣٩ب
في جميع الأحكام، كما هو مقرر في مواضعه، ونحن قررناه لبيان ذلك أيضاً. ولم
نعلم أن في المجلس جاهلاً لا يفهم ويدعي العلم، فلا يتنزل أن يستفهم أيضاً إذا لم
يفهم، ويضمر العداوة لمن لم يصدر له منه ضرر ولا أذى أصلاً، ويفارقه من
غير خصومة ولا إظهار سوء، ويشنع عليه في بلاد أُخر ليس فيها أحد يعرفه،
وهو غريب فيها جداً، حقير ذليل. فجازاك الله تعالى يا أخي خيراً عنك وعن كل
منصف في الحق، إذا تبيّن وظهر، حيث أعلمتنا بما قيل في حقنا وطلبت منا[٢٣١]

---

٢٣٠ لهم، ساقطة في أ. ٢٣١ منا، ساقطة في أ و ب.

٦٣/أ جلية الأمر حتى كشفناه لك. فإننا لا نتضرر بعون الله تعالى وحفظه،| ولكن ربما
يقع فينا من لا يعرفنا بناء على إنهاء ذلك الرجل. والله تعالى له الغيرة على عباده
المؤمنين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى، ونعم النصير. ولا حول ولا قوة إلا
١٣٩/ب بالله العلي العظيم،| والله بكل شيء عليم.

[٠٣٣. منتصف صفر ١٠٩٧هـ، إلى الحاج محمد أفندي الحميدي]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى القسطنطينية المحمية في منتصف صفر، سنة سبع وتسعين وألف، وصورته:

سلام الله الأسنى الأسما، وتحيته المشمولة ببركات صفاته الكاملة والأسما، إلى الحضرة المقصودة بالأشواق فما زينب وأسما، جناب الأخ في دين الله تعالى، والمختص بتوفيق الله تعالى، الحاج محمد أفندي الحميدي، حفظه الله تعالى، وحرس ذاته من كل سوء، وكمل صفاته بكل خير، أما بعد: فإن الشوق كثير، واللقاء عسير، والأيام مراحل، والعبد فيها إلى آخرته في كل يوم راحل. والزاد مطلوب، قال تعالى: ﴿وتزودوا[٢٣٢] فإن خير الزاد التقوى﴾[البقرة، ١٩٧] والراحة في لقاء المحبوب. فإنه العالم بالسر والنجوى. ونشكر الله تعالى إليكم أن وفقنا في هذا العام الماضي إلى إتمام تصنيف كتب متعددة، غير ما علمتم، منه شرحنا على *فصوص الحكم*| للشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي قدس الله ١٤٠ب سره، جاء في مجلدين سميناه *جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص*.[٢٣٣] ومنها كتاب في

---

٢٣٢ فتزودوا، في أ و ب. ٢٣٣ عبد الغني النابلسي، *جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨).

تعبير المنامات في مجلد كبير، جمعنا فيه تعبير القادري المشهور وزدنا عليه من كتب أخرى، وجعلناه على ترتيب حروف المعجم، وسميناه *تعطير الأنام في تعبير المنام*.[٢٣٤] ومنها كتاب تراجم العلماء والمحدثين المذكورين في متن *الطريقة المحمدية* للبركلي رحمه الله، حيث لم نترجمهم في شرحنا على الطريقة مخافة التطويل فيها، فجاء هذا الكتاب في مجلد سميناه «زهر الحديقة في تراجم رجال الطريقة.»[٢٣٥] ومنها كتاب في الأحاديث المختصرة جمعنا فيه ثلاثة آلاف وثمانمائة وثمانين حديثًا من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، مع صغر | حجمه، ورتبناه على حروف المعجم. اختصرناه من كتاب للشيخ عبد الرؤوف المناوي رحمه الله في ذلك، وسميناه| «كنز الحق المبين في أحاديث سيد المرسلين.»[٢٣٦] ومنها كتاب جمعنا فيه المقطوع لهم بالجنة بصريح أسمائهم زيادة على العشرة المبشرة بذلك، والمقطوع لهم بالنار كذلك، حيث لم نجد أحدًا صنف في ذلك، وسميناه «لمعات الأنوار في المقطوع لهم بالجنة والمقطوع لهم بالنار.»[٢٣٧] ومنها كتاب صنفناه في ترك مخالطة الناس في هذا الزمان ولزوم البيوت والحث على ذلك

٦٤أ

١٤٠/ب

---

٢٣٤ عبد الغني النابلسي، *تعطير الأنام في تعبير المنام* (بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٨). ظهر في إصدارات عديدة ومن عدة دور نشر، انظر قائمة أعمال النابلسي المطبوعة. ٢٣٥ عبد الغني النابلسي، «زهر الحديقة في تراجم رجال الطريقة،» انظر قائمة المخطوطات. ٢٣٦ عبد الغني النابلسي، «كنز الحق المبين في أحاديث سيد المرسلين،» انظر قائمة المخطوطات. ٢٣٧ عبد الغني النابلسي، «لمعات الأنوار في المقطوع لهم بالجنة والمقطوع لهم بالنار،» انظر قائمة المخطوطات وقائمة المطبوعات.

من الأحاديث النبويـة، حيث تهاون الناس في أمور الطاعـات، ودخلت الكراهـات بل المفسدات في عباداتهم من غير نكير منهم لشيء من ذلك ولا مبالاة، وسميناه «تكميل النعوت في لزوم البيوت.»[238] ومنها كتاب صنفناه لفقراء الطريقة المولويـة في بيان السماع المولوي، سميناه *العقود اللؤلؤية في بيان الطريقة المولوية*.[239] ومنها كتاب آخر في بيان المحبـة للحسن والجمال، وإثبات أن ذلك من أخلاق النـبي صلى الله عليه| وسلم وغيره من الأنبياء، والأوليـاء، والعلماء ١٤١ب العاملين، وبيـان الحث على ذلك، والإرشاد إليه في النصوص النبويـة والآثار المحمدية، وسميناه *غاية المطلوب في محبة المحبوب*.[240]

ولكن الحسد يا أخي كثير في بلادنا جداً، والإيذاء، والاحتقار، وتسلط الأشرار، وكثرة النفاق، والكذب، والافتراء. ونحن نقول الآن كما قال الشيخ العارف الكامل إبراهيم الدسوقي القرشي الهاشمي قدس الله سره: «واغوثاه من أهل هذا الزمان، لو علمت أن في الأجل فسحة سكنت أكم الجبال وبطون الأوديـة بين الوحش حتى أموت.»[241] وكان رحمه الله في عصر السبعمائة، كما ذكره المناوي في *طبقات الأولياء*، فكيف نقول نحن| الآن في عصر الألف وقريب ٦٤/أ

٢٣٨ عبد الغني النابلسي، «تكميل النعوت في لزوم البيوت،» انظر قائمة المخطوطات. ٢٣٩ عبد الغني النابلسي، *العقود اللؤلؤية في طريق السادة المولوية* (دمشق: مطبعة الترقي، ١٩٣٢). ٢٤٠ عبد الغني النابلسي، *غاية المطلوب في محبة المحبوب* (دمشق: دار شهرزاد، ٢٠٠٧). ٢٤١ سبقت الإشارة إلى إبراهيم الدسوقي، انظر رسالة رقم ٢٠.

المائة؟ فإنا لله وإنا إلى الله راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل. فنحن ننفعهم[٢٤٢] وهم يضرونا، ونحن نحسن إليهم وهم يسيئون إلينا. والله| يعلم المفسد من المصلح، ١٤١/ب والحياة الدنيا عرض زائل لا يساوي الالتفات إليه، والموت كائن لا محالة، والله حافظ لعبده المؤمن على كل حالة. والسلام على الدوام.

٢٤٢ نفعهم، في أ.

[٠٣٤ منتصف صفر ١٠٩٧هـ، إلى الحاج إبراهيم أفندي]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى بلاد خيره بول من بلاد الروم في منتصف شهر صفر، سنة سبع وتسعين وألف، وصورته:

أزكى التحيات الصافية الموارد والمصادر، الصحيحة الأسماء بالشوارد والنوادر، السالمة الأفعال من العلل، المحفوظة الحروف والأطراف بالبواده والبوادر، إلى جناب الأخ الصادق في دين الله، والخليل المصادق بتوفيق الله، الحاج إبراهيم أفندي، لا زال في عناية المعيد المبدي، أما بعد: فقد رَفَعَت إليكم الأشواق عَرْض حالها، ونظرت إلى بروق جهاتكم الأفكار بعيون بالها، من أجفان بلبالها. والمنهي إلى حضرتكم أولاً، الوصية بالتقوى، فإنها حبل الله المتين الأقوى. وهي ١٤٢ب وصية الله تعالى لجميع الأمم، فلتنصرف إليها عوالي الهمم. ومحلها فيما يعلم العبد من الخير والشر، لا فيما يشكّ أو يظنّ. روى الترمذي في سننه المشهورة، قال حدثنا هناد، قال حدثنا أبو الأخوص، عن سعيد، عن مسروق، عن ابن أشوع، عن يزيد بن سلمة الجعفي قال، قال يزيد بن سلمة: «يا رسول الله إني سمعت منك حديثاً كثيراً أخاف أن يُنسيني أوله[٢٤٣] آخره، فحدثني بكلمة تكون جامعة. قال:

٢٤٣ وله، في أ و ب.

‹اتق الله فيما تعلم›. »[٢٤٤] انتهى. وأما الظنّ فقد نهى الله عنه وعن إتباعه. فقال سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظنّ﴾ [الحجرات، ١٢] ثم قال تعالى: ﴿إن بعض الظنّ إثم﴾ [الحجرات، ١٢] أي متابعة البعض منه موصلة إلى الإثم، فكيف الكثير منه. وقال تعالى: ﴿وما يتبع أكثرهم[٢٤٥] إلا ظنًّا إن الظنّ لا يغني من الحق شيئًا﴾ [يونس، ٣٦] وحكى تعالى عن الكافرين أنهم قالوا: ﴿أن نظنّ| إلا| ظنًّا وما نحن بمستيقنين﴾ [الجاثية، ٣٢] وإذا كان الظنّ بهذه المثابة، وهو رجحان أحد الطرفين على الآخر، أدنى رجحان، فكيف إتباع الشك الذي هو استواء الطرفين من غير رجحان أصلاً، فإنه أضعف من الظنّ؟ والنهي عنه مفهوم بالأولى من طريقة دلالة النص. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إياكم والظنّ، فإن الظنّ أكذب الحديث.»[٢٤٦] رواه الإمام أحمد والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه. وقد لخّصنا لك الدين كله اعتقادًا، وعملاً، وحالاً، وقالاً. والله على ما نقول وكيل، وعلى الله قصد السبيل. والسلام التام في المبدأ والختام.

١٤٢/ب – ٦٥أ

---

٢٤٤ «... تكون جماعًا،» ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب العلم، باب آداب العالم، الراوي يزيد بن سلمة، ٨:١٣. أخرجه الترمذي. ٢٤٥ وما يؤمن أكثرهم بالله، في أ و ب و ت. ٢٤٦ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الصحبة، باب في أحاديث جامعة لخصال من آداب الصحبة، الراوي أبو هريرة، ٦:٥٢٣. أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، ومالك في *الموطأ*.

[٠٣٥ شعبان ١٠٩٧هـ، إلى الشيخ أحمد النابلسي]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى نابلس المحروسة في شعبان من شهور سنة سبع وتسعين وألف، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد: فمن العبد| الفقير، والعاجز الحقير، عبد الغني، المعروف بابن النابلسي، نوّر الله بصيرته، وأخذ الله تعالى بيده، وأمده بمدده، إلى أخيه في رضاعة ثدي الإسلام، والتربية في حجر التوكل والاعتصام، الشيخ أحمد النابلسي، نوّر الله تعالى بصيرته بنور التوفيق، وطهر سريرته بمياه اليقين والتحقيق. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وصل إلينا مكتوبكم الشريف، ووصلت الرسالة التي أرسلها الشيخ أحمد سلّمه الله تعالى. وقد نظرنا فيها، وعندنا خبر منها ومن غيرها أيضاً، والتعرض لرد مثل هذا إضاعة للأوقات. ولكن نقول الآن في تحقيق هذه القضية، بمعونة رب البرية، اعلم يا أخي أن الله تعالى من حيث مراتب أسمائه الحسنى وصفاته العليا لا يزال في ظهور وتجل لأقوام، وفي خفاء واستتار لأقوام. وهو تعالى كما قال: ﴿الله نور السموات| والأرض﴾ [النور، ٣٥] أي موجدها بوجوده. وهذا| عند أهل الظهور

١٤٣ب

١٤٣/ب

٦٥/أ

والتجلي. وهو تعالى أيضاً كما قال: ﴿وهو عليهم عَمى﴾ [فصلت، ٤٤] ﴿وهم صُمٌ بُكمٌ عُميٌ فهم لا يعقلون﴾ [البقرة، ١٧١] عند أهل الخفاء والاستتار. وقد قال تعالى: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾ [الحديد، ٣] فالظاهر عند قوم، هو الباطن عند قوم آخرين أيضاً. وقال تعالى في وصف كتابه الكريم أنه: ﴿يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً﴾ [البقرة، ٢٦] مع أنه نور مبين وحق مستبين. كما قال: ﴿والنور الذي أنزلنا﴾ [التغابن، ٨] فهو تعالى يضل بالنور ويهدي بالنور. قال تعالى: ﴿ومن آياته [...] الشمس والقمر﴾ [فصلت، ٣٧].[247]

وقد خلق تعالى طيراً بواسطة عيسى بن مريم عليه السلام، وهو الخفاش، لا يستطيع النظر إلى نور الشمس من ضعف بصره، فيرى نورها ظلمة. وإذا غابت الشمس وجاء الليل فتح بصره فرأى، وكانت عنده الظلمة نور. وكذلك من خلق الله تعالى عنده رؤيته وإدراكه بواسطة نفسه| الجزئية، كانت بصيرته في نور ١٤٤ب شمس الأحدية بمنزلة بصر الخفاش، يرى نور شمس الأحدية ظلمة، ويرى ظلمة الأكوان نوراً: ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ [النور، ٤٠] وهذه الهياكل الإنسانية الكاملة خزائن أسرار الحق تعالى. وقد خُلق الوجود الحسي والعقلي كله لها، ومن أجلها، وسُخر لها جميع ما عداها من الملائكة، والأنس،

---

٢٤٧ الآية: ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر﴾

والجن، وسائر الحيوان، وغير ذلك. وأولها آدم عليه السلام. قال تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾[البقرة، ٣٠] الآية. فحين لمعت لهم بوارق أنوار الكمال من ذكر الخليفة، الذي هو أشرف شيء في أخس شيء، وهي الأرض، قالوا: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾[البقرة، ٣٠] فضعفت بصائرهم عن رؤية شمس الكمال النبوي، والنور الآدمي. ثم نظروا في ظلمة الأكوان الحادثة فرأوا نور تسبيحهم وتقديسهم فقالوا: ﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني| أعلم مالا تعلمون﴾[البقرة، ٣٠] ولكن أراد تعالى بهذا ١٤٤/ب اختبارهم، وهو العليم بهم، وإظهار ما فيهم لهم. وكان هذا قبل خلق الخليفة. فلما خلقه وعلّمه الأسماء كلها، وأظهره| بالعلم فيما بينهم، رأوا ظلمة كونهم في نور ٦٦أ وجوده فقالوا: ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾[البقرة، ٣٢] وسجدوا لآدم حيث أمروا بذلك ﴿إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾[البقرة، ٣٤] أي الساترين بظلمة الكون نور شمس العين. فكانت الحقيقة الآدمية بعد ظهورها نوراً في بصائر الملائكة وظلمة في بصيرة إبليس، وذلك لحيلولة ظلمة الحسد والتكبر بينه وبين النور الآدمي. فقال: ﴿أأسجد لمن خلقت طيناً﴾[الإسراء، ٦١] فعُصمت الملائكة عليهم السلام من الزلل، ووقع إبليس في الخطأ والخلل: ﴿يضلّ به كثيرًا ويهدي به كثيرًا وما يضل به إلا الفاسقين. الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾[البقرة، ٢٦-٢٧] الآية.

١٤٥ب ثم لا يزال الكمال| الآدمي يظهر في كل زمان، ويوجد من يضل به ومن يهتدي به، حتى انختمت النبوة، وتمت مظاهر الرسالة الإلهية، وابتدأت خلافة النبوة والميراث العلمي في رجال هذه الأمة المحمدية. فكانت الخلفاء الراشدون، رضي الله عنهم، كذلك من الناس من يهتدي بهم ومنهم من يضل بهم، حتى وقع البغي على أئمة الدين، وانتهكت حرمتهم بالخروج عليهم، والقتال لهم، والإهانة في حقهم. ثم لما انتقل الأمر إلى التابعين ومن بعدهم كان الأمر كذلك، ولم يزل ولا يزال إلى يومنا هذا وإلى ما بعده، لا يُظهر الله تعالى كاملاً من الكاملين حتى يضلّ به كثيراً ويهدي به كثيراً. وهذه القضية كلها عين ما وقع لآدم عليه السلام مع الملائكة، وإبليس يتلون ذلك بألوان، ويتفنن على صفحات الأوقات والأزمان. ولما كان زمان حضرة الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي قدس الله سره،| كان الأمر هكذا. ١٤٥/ب

ولا يغرنّك يا أخي ما تتصف به أهل الإنكار على هذه الطائفة العليّة من العلوم القولية والمباحث العقلية. فإن الواحد منهم ولو ملأ أطباق الأرض علوماً فهو جاهل بنفسه ما عرفها أصلاً، ولو عرفها ما اعترض يوماً على أهل العرفان والكاملين في مراتب الشهود والعيان. فإن إبليس| كان أعلم منهم، وقد ٦٦/أ وقع له ما وقع بالإنكار، والاعتراض على صفوة الله تعالى من خلقة آدم عليه السلام. وأشقاه الله تعالى هذا الشقاء الأبدي، وجعله سبباً لشقاء كل شقيّ

إلى يوم القيامة، كما هؤلاء المنكرون سبب لشقاء كل شقي إلى يوم القيامة.

ولم نقبل هذه الرسالة الواصلة إليكم الآن مع حامل هذه الأحرف على نقصها من آخرها كما وصلت إلينا كذلك، ولا تصرفنا فيها بإتلاف ولا غيره. والواجب على كل مؤمن منصف وعاقل موفق أنه يتلف كل ما يقف عليه من مثل ذلك إن كان في ملكه، ويزيل هذا المنكر الذي جعله الله تعالى لإمداد أهل الغي والضلالة. ١٤٦ب

وقد رأينا مثل ذلك كثيراً، نحو كتاب الواسطي الذي سماه «هتك أستار الفصوص،» وأمرنا صاحبه فأتلفه. ورأينا أيضاً رسالة ابن الخياط والرد عليه لمجد الدين الفيروزبادي صاحب القاموس رحمه الله تعالى. ورأينا رسالة ابن إمام الكاملية فرددناها بكتابنا «الرد المتين على منتقص العارف محيي الدين.»[٢٤٨] وأتلفنا تلك الرسالة بإذن مالكها. ورأينا الرسالة المنسوبة لسعد الدين التفتازاني، وسُئلنا عنها، فكتبنا براءة سعد الدين من نسبة ذلك إليه. وإنما هي كذب عليه بمؤيدات من كلامه في كتابه *شرح المقاصد* و *شرح العقائد* وغيرهما.[٢٤٩] ورأينا تصنيف البقاعي في ذلك، فأذن لنا صاحبه فأتلفناه ولله

---

٢٤٨ عبد الغني النابلسي، «الرد المتين على منتقص العارف محيي الدين،» انظر قائمة المخطوطات. ٢٤٩ سبقت الإشارة إلى سعد الدين التفتازاني ومصنفاته، انظر رسالة رقم ١٩.

الحمد. و رأينا كتاب الجلال الأسيوطي، الذي سماه *تنبيه الغبي بتبرئة ابن العربي*،
١٤٦/ب وكتاب الشعراني[٢٥٠] الذي| سماه *الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر*، وغير ذلك.[٢٥١]

وقد كتبنا لكم في هذه الصحيفة ما فيه غنية لمن يخشى الله ويتقيه. ولو أردنا أن ننتقد على هؤلاء المنتقدين ونقابلهم من جنس عملهم لأبدينا ما لا يسعنا إبداؤه، مما يشهد العقل والنقل بثبوته فيهم واتصافهم به. ولكن «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.»[٢٥٢] ﴿ومن يُضْلِلِ[٢٥٣] الله فما له من هادٍ. ٦٧أ ومن يهدي الله فما له من مُضِلّ| أليس الله بعزيزٍ ذي انتقام﴾[الزمر، ٣٦–٣٧] والسلام التام في المبدأ والختام.

---

٢٥٠ الشعراوي، في أ و ب و ت. ٢٥١ جلال الدين السيوطي، *تنبيه الغبي بتبرئة ابن العربي* (القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩٥)؛ عبد الوهاب الشعراني، *الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥) ٢٥٢ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب اللواحق، أحاديث مشتركة في آفات اللسان، الراوي أبو هريرة، ١١:٧٢٩. أخرجه الترمذي، ومالك في *الموطأ*. ٢٥٣ يضل، في أ و ب.

[٠٣٦ ٧ رمضان ١٠٩٧هـ، إلى الحاج محمد أفندي الحميدي]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى القسطنطينية المحروسة في سابع شهر رمضان، سنة سبع وتسعين وألف، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. لئلا يكون كتابنا هذا أجزم، أو أبتر، أو أقطع،[٢٥٤] لأنه أمر ذو بال وارد بالتعظيم، سلامٌ قولاً من ربٍ رحيم. إن أبهى ما انشرحت به صدور الطروس، وأبهج ما سرحت فيه عيون الصدور والرؤوس، وأبهر ما قلبته الخواطر بأيدي العقول والنفوس، سلام يدخل قلوب الأحبة من أبواب المحبة مثل دخول العروس، ويهدي صحائف التهاني ببلوغ الأماني إلى ذلك الجناب المحروس، جناب الأخ في دين الله، والموفق إن شاء الله تعالى بتوفيق الله، الحاج محمد أفندي الحميدي، حفظ الله تعالى شريف ذاته، وأودع الكمال الحقيقي بأخلاقه وصفاته، أما بعد: فالمنهي إليكم كثرة الأشواق، إلى أيام التلاق، وزيادة الفرح والسرور، بوصول أخباركم السّارة إلينا من أفواه المحابر على ألسنة السطور. وقد طلبتم شرحنا على كتاب فصوص الحكم للشيخ الإمام، والمقدم الضرغام، قدوة أهل التحقيق، وقائد أئمة

١٤٧ب

٢٥٤ قطع، في أ.

١٤٧/ب السلوك في أقوم الطريق، محيي الدين ابن العربي، الحاتمي، الأندلسي، قدس الله سره، وأعلى في أعلا درجات القرب مقرّه. ففرحنا بطلبكم هذا الكتاب، وتحريك همتكم بمحبة الإطلاع على طريق السادة العارفين أولي الألباب. فإن هذا الطريق هو طريقنا الذي معوّلنا عليه، وانتسابنا في جميع أحوالنا إليه، لأنه المقصود بالذات، وجميع العلوم خادمة له واقفة بين يديه. فبادرنا بامتثال الأمر في الحال، وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه والآل.

[٠٣٧ ٨ ذو القعدة ١٠٩٧هـ، إلى قاضي طرابلس المولى محمد سعيد أفندي]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى بلدة طرابلس الشام المحروسة| في ثامن ذي القعدة من شهور سنة سبع وتسعين وألف، وصورته: ٦٧/أ

بسم الله الرحمن الرحيم، والله بكل شيء عليم. سلام الله الأسنى، وتحيته المباركة الحسنى، إلى الجناب المحفوف بالعناية والتوفيق، المحفوظ بروح من الإيمان والتصديق، حضرة المولى محمد سعيد أفندي، القاضي حالاً بمدينة طرابلس| الشام المحروسة، أسعده الله تعالى في الدارين، وجعله من خير الفريقين، ١٤٨ب أما بعد: فقد وصل إلينا الآن مكتوبكم الشريف، وتأملنا مضمونه المنيف، ولم يصل إلينا منكم قبله غيره، والله يجمعنا وإياكم في مستقر رحمته تحت لواء سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم. وذكرتم لنا ما يتعلق بالأسباب الوفقية، مما هو منوط بالعلوم الحرفية،[٢٥٥] ونحن الآن همتنا مصروفة عن الالتفات إلى ذلك بالكلية، وإنما اشتغالنا

---

٢٥٥ يعني علم الأوفاق العددية والحرفية، الذي يعرفه طاش كبري زاده في *مفتاح السعادة* على أنه «علم باحث عن كيفية تمزيج الأعداد أو الحروف على التناسب والتعادل، بحيث يتعلق بواسطة هذا التعديل أرواح متصرفة، تؤثر في القوابل حسب ما يراد ويقصد من ترتيب الأعداد والحروف وكيفياتها.» وينسب طاش كبري زاده إلى الشيخ عبد الرحمن البسطامي كتاب في هذا العلم هو «علم الخواص الروحانية من الأوفاق العددية والحرفية والتكسيرات العددية والحرفية.» انظر *موسوعة مصطلحات مفتاح*

من حيث الباطن بعلوم التجليّات الإلهية، ومن حيث الظاهر بعلوم الشريعة المحمدية.
وهذا الذي نجد قلوبنا مستغرقة فيه منذ نشأنا، والله تعالى صارف إرادتنا إليه تقريراً
وتحريراً، وتحقيقاً وتصويراً. قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس
١٤٨/ب ما قدمت لغد واتقوا الله إن| الله خبير بما تعملون﴾ [الحشر، ١٨] فالأهم الأهم أن
تنصرف همة النفس إلى النظر فيما أعدته لآخرتها بعد أن تتقي الله تعالى فيما أقامها فيه
من أمر دنياها. فإن لكل إقامة تقوى يعلمها صاحبها. وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم: «اتق الله فيما تعلم.» [٢٥٦] وإنما الله تعالى بيده الأمر كله. والأسباب لا تأثير
لها أصلاً، لا مباشرة ولا تولداً. والله تعالى مقدر للأرزاق، فلا تزيد ولا تنقص،
ومقدر للآجال وجميع الأحوال، فلا تتقدم ولا تتأخر. قال تعالى: ﴿وكل شيء
٦٨أ عنده بمقدار[٢٥٧]﴾ [الرعد، ٨] ﴿وما ننزله إلا بقدر| معلوم﴾ [الحجر، ٢١].

وهذا عقدنا القاطع، وبرهاننا الساطع. والنافع بحرف مرقوم، أو سر
معلوم، هو الحي القيوم. والسعيد من يكتفي بجنابه، ولا يعرف غير بابه.
١٤٩ب فإن الجميع في يديه، ولا يتم الأمر إلا به، ومنه، وإليه. ولكن مراتب| الخلق
تتفاوت بمعرفته، وبالتحقق والحضور معه وتخليص محبته. فمن حجبه بأوهام

السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٨)، ٤٠٥. ٢٥٦ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب العلم، باب آداب العالم، الراوي يزيد بن سلمة، ٨:١٣. أخرجه الترمذي. ٢٥٧ إنا كل شيء عندنا بمقدار، في أ وب وت.

الأغيار، فقد ستر عليه وجوه الأسرار، فلا ينفعه بجميع المقاصد إذا تحققت له الأوطار.[٢٥٨] ومن فتح له باب الدار، وكشف عن وجهه هذا الثائر من الغبار، فقد بلغ الأماني في جميع الأطوار، وإن حرمه ما أراد وقصد من قبل لحصول الاستبصار: ﴿واعتبروا يا أولي الأبصار﴾ [الحشر، ٢].

وإن شاء المولى أعزه الله تعالى فليواظب على هذا الدعاء الوارد في سنن أبي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو: «أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه، وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون.»[٢٥٩] فإنه أمان من الفزع. وعن أبي الدرداء قال، سمعت رسول الله عليه وسلم| ١٤٩ب يقول: «من اشتكى منكم شيئًا، أو اشتكاه أخ له، فليقل: ربنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض. أغفرلنا حُوبَنا وخطأنا، أنت رب الطيبين. أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ.»[٢٦٠] ذكره أبو داود في سننه. وذكر ابن ماجة في سننه أنه أتى رجل فقال: «يا رسول الله كيف أقول حين

---

٢٥٨ والأوطار، في أوت. ٢٥٩ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الدعاء، باب أقسام الدعاء: الأدعية المؤقتة والمضافة إلى أسبابها، أدعية النوم والانتباه، الراوي مالك ابن أنس، ٤:٢٧٣. أخرجه مالك في *الموطأ*. ٢٦٠ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الطب والرقى، باب الرُّقى والتمائم: رُقى مسنونة عن النبي وأصحابه، الراوي أبو الدرداء، ٧:٥٦٤. أخرجه أبو داود.

أسأل ربي؟ قال: ‹قل اللّٰهم اغفر لي، وارحمني، وعافني، وارزقني، فإن هؤلاء يجمعن لك دينك ودنياك›. »[٢٦١] والله الموفق.

٢٦١ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الدعاء، أقسام الدعاء: أدعية غير مؤقتة ولا مضافة، الراوي طارق بن أشيم، ٤:٣٤٣. أخرجه مسلم.

[٠٣٨ صفر ١٠٩٨هـ، رسالة إلى الحاج محمد أفندي الحميدي]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى القسطنطينية المحمية في صفر من شهور سنة ثمان وتسعين وألف، وصورته:| ٦٨/أ

أشرف تحية على أكمل حالة مرضية، وأبلغ سلام مشتمل على الإجلال والإكرام، إلى جناب الأخ في دين الله، الواثق بجناب الله، أما بعد: فقد وصل إلينا مكتوبكم وما فيه، ورأينا| ما ذكرتموه لنا من الفتن في تلك البلاد، وأنتم وأمثالكم ١٥٠ب محروسون إن شاء الله تعالى ببركة إيمانكم واعتقادكم الحسن. قال الله تعالى: ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور﴾ [الحج، ٣٨] وينبغي لكم أن تواظبوا على هذا الدعاء الوارد في سنن أبي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو: «أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه، وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون.»[٢٦٢] فإنه أمان من الفزع. وقال تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ [البقرة، ٤٥] الآية. فالصبر

---

٢٦٢ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الدعاء، باب أقسام الدعاء: الأدعية المؤقتة والمضافة إلى أسبابها، أدعية النوم والانتباه، الراوي مالك ابن أنس، ٤:٢٧٣. أخرجه مالك في *الموطأ*.

مفتاح الفرج، والصلاة وصلة بين العبد والربّ. وسلّموا الأمور إلى الله تعالى بواطنكم وظواهركم، فإن الفتن مفاتيح أبواب الخير في أهل الخير، ومفاتيح أبواب الشر في أهل الشر. والله يعلم المفسد من المصلح، والله بكل شيء عليم: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران، ١٣٩].

[٠٣٩ *أواخر صفر ١٠٩٨هـ، إلى الشيخ محمد أفندي*]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى القسطنطينية| المحروسة في أواخر صفر أيضاً، ١٥٠/ب
سنة ثمان وتسعين وألف، وصورته:

نحمد الله تعالى إليكم، ونهدي جزيل السلام عليكم. أعزّك الله تعالى يا أخي بعزّ تقواه، وألبسك حلة إحسانه ونعماه، وجعلك مسعوداً محفوظاً، مبجلاً مكرماً في الدارين ملحوظاً. ودفع عنك كل ما تكره في دينك ودنياك، وعاملك بالحراسة، والرعاية، والحماية، والهداية، والعناية، وأوصلك إلى مقصودك ومناك، أما بعد: فقد وصل إلينا مكتوبكم الأول والثاني، وسررنا بتمام الصحة لكم والعافية باطناً وظاهراً ببركة السبع المثاني. وقد كتبنا لكم النصف الأول من شرحنا على *فصوص الحكم* للشيخ الأكبر قدس الله سره حسبما طلبتم، فعليكم بدوام المطالعة فيه لعلّ يصير لكم مَلَكة في فهم العلوم الباطنية ومعرفة اصطلاحاتها. فإن كتب ابن العربي، رضي الله عنه،| نافعة في الدين جداً| لمن ٦٩أ - ١٥١ب
تحقق بها وعرف الاصطلاح. ومتى أشكل شيء فيها أو في غيرها فأرسلوا إلينا نوضحه إن شاء الله تعالى. واحذروا من الانتقاد فإن فوق كل ذي علم عليم. والتكلم بالمتشابه سنة الله ورسوله، والتسليم فيه أسلم من التأويل.

والشيخ الأكبر وأمثاله[٢٦٣] رضي الله عنهم علومهم الباطنية ذوقية لا خيالية، فلا تكاد تـدرك بالتخيل والتفهم من دون ذوق. ولنا فيها، ولله الحمـد، قدم راسخة، وهمة شامخـة، فراجعونا فيما تشابـه وأشكل إن تخالج في خاطركم شيء من ذلك. والله الهادي إلى أقوم[٢٦٤] المسالك، والمنقذ من جميع المهالك.

ونحن الآن تركنا الاشتغال بالعلوم الظاهرة رأسًا لأنها خيالية، آلة إدراكها ومعرفتها الخيال، والفكر، والفهـم، وأقبلنا بكليتنا على العلوم الباطنية الحقيقية لأنها العلوم النافعـة، والخصلة الرافعة، لأنها ذوقيـة وجدانية، وآلة إدراكها الذوق والوجدان، والكشف والعيان. ورحـم الله تعالى داود السكنـدري الأمي المحمدي، قـدس الله سره، فإن من كلامـه: «عالم الظاهر كلما اتسع علمه اشتهر، وعالم الباطن كلما اتسع علمـه خفا.» وذلك لأن العلم الظاهر علم خيالي مفهوم، والكل لهم خيال وفهـم، والعلم الباطن علم ذوقي، كشفي، وجداني، وليس للكل ذوق، وكشف، ووجـدان. وبالله المستعان في كل آن.

١٥١/ب

---

٢٦٣ وأمثالهم، في أ و ب. ٢٦٤ قوم، في أ.

[٠٤٠ ٦ شوال ١٠٩٨هـ، إلى الحاج إبراهيم أفندي]

ومن ذلك ما أرسلته إلى بلدة خيره بول من بلاد الروم، وحررته في يوم السبت السادس من شوال، سنة ثمان وتسعين وألف، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم، والله بكل شيء عليم. سلام الله الأسنى، وتحيته المباركة الحسنى، إلى جناب الأخ في الله، والصديق الصدوق في عهد الله، الحاج إبراهيم أفندي، أعزه الله تعالى بتقواه في كل ما يعيد ويبدي، وحفظه في سره وجهره،| وحماه وحرسه في نفسه، وأهله، وماله، وبلاده، من مجاري بلائه وقهره، وجعل التوكل شعاره، والاعتصام بالله دثاره، إنه| على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير. هذا كتاب أرسلنا به إليكم، أنزل الله تعالى عنايته وحمايته وسكينته عليكم، والمأمول منكم أن تكثروا يا إخواننا المؤمنين في هذه الأيام من الصلاة والسلام على رسول الله محمد عليه أفضل الصلاة والسلام. فإنه ورد في الحديث الشريف قال عليه الصلاة والسلام: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشراً.»[٢٦٥] و«الصلاة» من الله تعالى معناها «الرحمة،»

١٥٢ب

٦٩/أ

٢٦٥ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الدعاء، باب فيما يجري مجرى الدعاء: الصلاة على النبي، الراوي أبو هريرة، ٤:٤٠٤. أخرجه مسلم، وأبوداود، والترمذي، والنسائي.

يعني يرحمه الله تعالى بصلاة واحدة على نبيه صلى الله عليه وسلم عشر رحمات،
١٥٢/ب فينجّيه من البليات والنقمات، وينصره على أعدائه وحساده، ويبلغه غاية مأموله|
ومراده. وقد جاء في حديث أبي داود عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيه، ثم نفث فيهما،
فقرأ فيهما: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس. ثم يمسح
بها ما استطاع من جسده. يبدأ بهما على رأسه، و وجهه، وما أقبل من جسده.
يفعل ذلك ثلاث مرات.»[٢٦٦] و«النفث» هو «النفخ» مع بعض رطوبة من
فمه. و في سنن أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم من الفزع
كلمات: «أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه، وعقابه، وشر عباده، ومن همزات
الشياطين، وأن يحضرون.»[٢٦٧] وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضي
الله عنه يعلمهن من عَقُلَ من بنيه، ومن لم يعقل كتبه فأعلقه عليه. واحفظوا هذا
الدعاء، واكتبوه، وعلقوه في رؤوس الأطفال، ينفعك وإياهم بإذن الله تعالى إن
١٥٣ب شاء الله تعالى. والسلام منا| عليكم.

---

٢٦٦ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الدعاء، باب أقسام الدعاء: الأدعية المؤقتة والمضافة إلى أسبابها، أدعية النوم والانتباه، الراوي عائشة، ٤:٢٥٩. أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، ومالك في *الموطأ*. ٢٦٧ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الدعاء، باب أقسام الدعاء: الأدعية المؤقتة والمضافة إلى أسبابها، أدعية النوم والانتباه، الراوي مالك ابن أنس، ٤:٢٧٣. أخرجه مالك في *الموطأ*.

[٠٤١ ٨ شوال ١٠٩٨هـ، ربما إلى الشيخ أحمد النابلسي]

ومن ذلك أيضاً ما أرسلته إلى بلدة نابلس المحروسة في ثامن شوال، سنة ثمان وتسعين وألف، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. اللّهم أنت السلام، ومنك السلام، وإليك السلام، بلغ عنّا أحبابنا جزيل السلام،| وأدخلهم في الآخرة وإيانا دار السلام بسلام: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلّ إخواناً[٢٦٨] على سرر متقابلين﴾ [الحجر، ٤٧] نسألك اللّهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه، اجمع ما شتّت من القلوب، على صدق العزم في الإيمان بالغيوب، أما بعد: فهذا كتاب من أخ في الله إلى أخ في الله، مشتمل على مودةٍ صافيةٍ، وتحيةٍ وافيةٍ، ووصيةٍ كافيةٍ، ونصيحةٍ شافيةٍ. قال الله تعالى ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت﴾ [البقرة، ٢٨١] الآية. وهذا الخطاب عام في مراتب الناس الثلاثة المؤمن، والفاسق، والكافر. وكل مرتبة من هذه الثلاثة، ثلاثة. فالمؤمن: من| العامة، والخاصة، وخاصة الخاصة. والفاسق: فاعل الكبيرة، وفاعل الصغيرة، والمنهمك في الغفلة والغرور. والكافر: المشرك،

٧٠أ

١٥٣/ب

---

٢٦٨ إخوانًا، ساقطة في أ.

والجاحد، والشاك. وكلهم مخاطبون بهذه الآية، مأمورون فيها بالتقوى. فالعامة من المؤمنين هم المحبّون، مأمورون بالتقوى في صدق المحبة. والخاصة منهم السالكون، مأمورون بالتقوى بصدق الأحوال. وخاصة الخاصة منهم وهم الواصلون، مأمورون بالتقوى في دوام الشهود والحضور بين يدي الحق المعبود. والفاسقون بأنواعهم الثلاثة مأمورون بالتقوى بإخلاص التوبة، وتصحيح الأوبة. والكافرون بأنواعهم كذلك مأمورون بالتقوى بالتوحيد، والإسلام، والإيمان. وكلهم مجموعون لذلك اليوم، راجعون فيه إلى الله تعالى. وهكذا الآيات العامة القرآنية المقتضية للتقوى مخرّجة على هذا. فليتق الله كل فرد فرد من أهل هذه| المراتب الثلاثة على حسب ما هو مكلّف به، ١٥٤ب وهي وصية الله تعالى للأمم كلهم. قال الله تعالى: ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله[٢٦٩]﴾ [النساء، ١٣١] والإنسان الواحد بالخواطر التي ترد على قلبه قد يكون في هذه الأقسام كلها. فليتق الله في كل رتبة يكون فيها، ويضبط أحواله، ويحرر أعماله، فإنه يدرك| إن شاء الله تعالى ٧٠/أ في الدنيا والآخرة آماله. والله على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

---

٢٦٩ ولقد وصاكم والذين من قبلكم أن اتقوا الله، في أ وب وت.

[٠٤٢. أواخر ذو القعدة ١٠٩٨هـ، إلى الشيخ أحمد النابلسي]

ومن ذلك ما أرسلته إلى بلدة نابلس المحروسة وذلك في أواخر ذي القعدة من شهور سنة ثمان وتسعين وألف، وصورته:

إن أجلّ ما سمحت به الأفواه، وأعزّ ما سحّت به سحائب الشفاه، سلامٌ أرقّ من النسمات، نهدي إلى ألطف النسمات، الأخ في دين الله، والمتخصص بخصائص الله، الشيخ أحمد، الذي هو أشكر عبد إن شاء الله تعالى لله تعالى وأحمد، أما بعد: ١٥٤/ب فإن الأشواق وافية، ومناهل المودة صافية، والمحبة الدينية ظاهرة لكم غير خافية. وهي إيمان أهل الخصوص، وعليها مدار المعارف والحقائق عند أهل الخلوص. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء، ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله. قالوا: ‹يا رسول الله فخبرنا من هم›. قال: ‹هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها. فوالله إن وجوههم لنور، وأنهم لعلى نور، ولا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس›. وقرأ هذه الآية: ﴿ألا إن أولياء

الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [يونس، ٦٢]»[٢٧٠] رواه أبو داود في سننه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ومعنى «يغبطهم الأنبياء والشهداء،» يعني «يحسدونهم حسداً غبطة» يوم القيامة، وذلك من علو شأن المحبة في الله تعالى لما يرون من مقامهم عند الله تعالى. ولا يلزم من هذا تفضيلهم على الأنبياء والشهداء، فإن الأنبياء والشهداء يوجد فيهم ذلك الحب في الله تعالى أيضاً، ولكن قد يكون للأنبياء والشهداء موقف في القيامة يحسدون فيه أهل المحبة في الله المخصوصين بهذا المقام فقط، فيصدق الكلام النبوي والحديث المحمدي، والله أعلم، وأحكم، وأحلم.

١٥٥ب

---

٢٧٠ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الصحبة، باب التحابب والتواد: الحب في الله، الراوي عمر بن الخطاب، ٦:٥٥٢. أخرجه أبو داود.

[٠٤٣ أواخر صفر ١٠٩٩هـ، إلى الحاج إبراهيم أفندي]

ومن ذلك ما أرسلته إلى بلدة خيره بول من بلاد الروم في أواخر صفر من شهور سنة تسع وتسعين وألف، وصورته: ١٧١أ

بسم الله الرحمن الرحيم. افتتاح كل كتاب، في مراسلة الأحباب إلى الأحباب، سلام الله عليكم، وتحيته الطيبة المباركة واصلة إليكم، من العبد الفقير، إلى مولاه القدير، عبد الغني ابن النابلسي، القاطن بدمشق الشام، إلى أخيه في دين الله تعالى، الحاج إبراهيم أفندي المحفوظ بعناية الملك العلاّم، أما بعد: ﴿ومن[٢٧١] يتوكل على الله فهو حَسْبُهُ إن الله بالغُ أمرِه قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾ [الطلاق، ٣] فإن للخير قدراً، وللشر قدراً، ولليسر قدراً، وللعسر قدراً. وهكذا جميع الأمور في سائر الدهور. فإذا تمت المقادير، ونفذت التقادير، ظهرت التدابير، وبطلت التماثيل والتصاوير، والله على كل شيء قدير، وهو السميع البصير. وهذه تسع وتسعون من التقادير، التي هي السنون، والتي بعدها هي آخر درجة من الميزان. فالتفتوا يا أولي البصائر النافذة في غيب الملكوت إلى معنى هذا الاقتران، واكتموا أسراركم، واجتلوا ١٥٥/ب

---

٢٧١ فمن، في أ و ب و ت.

أنواركم، فإن الله معكم يقلب أطواركم، ويحفظ عليكم ليلكم ونهاركم. وأنتم يا أهل الإيمان، في كمال أمن وأمان، وإكرام وإحسان. ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله. والعالم ينتفع بعلمه، والجاهل يتضرر بجهله. وهذا جواب خاطركم ١٥٦ب المتوجه إلينا بالسؤال، عن حقيقة هذه الأحوال. ولا يعلم الغيوب غير مقلب الأبصار والقلوب. وقد أنطقنا وارد الوقت بهذه الحروف، التي هي لشراب المعاني بمنزلة الظروف.

[٠٤٤. أواخر صفر ١٠٩٩هـ، ربما إلى الشيخ محمد أفندي]

ومن ذلك ما أرسلته إلى بلدة القسطنطينية المحمية في أواخر صفر من شهور سنة تسع وتسعين وألف، وهذه صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب كريم، منا صديق حميم، ٧١/أ
إلى ولي صادق المحبة من الصميم، أما بعد: فالتقوى بضاعة رابحة، وخصلة صالحة، ونصيحة شافية، وعطية وافية. تبتهج بها قلوب الأبرار، وتنشرح لها صدور المقربين الأخيار. وهي الأصل والفرع، وبها تحصل البركة في الحبة والضرع. وهي وصية الله تعالى لجميع الأمم، ولها يكون السلوك في الطريق ١٥٦/ب
الأمم، أما بعد ثانيًا: فالسلام الوافر منا إليكم، والتحية الوافية نهديها مقدمة بين يديكم. أدام الله تعالى جنابكم محروسًا، ومجلسكم مأنوسًا. وجمعنا وإياكم على كمال التوفيق، وألبسنا وإياكم حلة التحقيق.

[٤٥. أواخر ربيع الأول ١٠٩٩هـ، إلى لطفي الصيداوي]

ومن ذلك ما أرسلته إلى بلدة صيدا المحروسة أواخر ربيع الأول، سنة تسع وتسعين وألف، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. من العبد الفقير عبد الغني ابن النابلسي، إلى أخيه في دين الله تعالى لطفي الصيداوي، المقبل بالإيمان على مراتب الأمان، والقابل بالإذعان ما يخصه في مقام الإحسان، أما بعد: فقد قال تعالى: ﴿الله لطيف بعباده﴾ [الشورى، ١٩] والاسم «الله» اسمٌ جامعٌ. فدلنا تعالى أنه لطيف بجميع من دخل تحت حيطة هذا الاسم الجامع. ودلنا تعالى بإرجاع ضمير «عباده» إلى هذا الاسم الجامع، أن الجميع| عباده أيضاً، ولكن من حضرات شتى. فاسمه الهادي له عباد، واسمه المضل له عباد، واسمه النافع له عباد، واسمه الضار له عباد، واسمه المعطي له عباد، واسمه المانع له عباد، واسمه الجبار كذلك، واسمه المنتقم كذلك، واسمه المحيي، واسمه المميت، وهكذا. وانقسم اللطف بهذا السبب إلى قسمين. لطف محمود، وهو حفظه تعالى لعبده مما لا يلائمه في الدنيا والآخرة، وإليه إشارة بقوله تعالى: ﴿ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي

١٥٧ب

لهم خيرٌ لأنفسهم﴾[آل عمران، ١٧٨] الآية. فعلمنا أن الفارق بين|ا أهل ٧٢أ
اللطف المحمود واللطف المذموم إنما هو بالإيمان والكفر. فإياك يا لطفي أن تكون
مجادلاً في الحق في باطنك أو ظاهرك، فيكون للشيطان عليك استيلاء. وكن
مسلماً مؤمناً، مسلِماً، مسلَّماً. قال تعالى: ﴿ولا تقفُ ما ليس لك به علم إن
السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾|[الإسراء، ٣٦] وكل ما ١٥٧/ب
ظننته أو شككت فيه، فليس لك به علم، لأن العلم خلاف الظن والشك. وليس
كتابنا هذا مما نخاطبك أنت به وحدك، فلا تفهم ما يسوء. وإنما الكتاب يقع
في يد المعتقد والمنكر، والمؤمن والمنافق. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل،
وحسبنا الله ونعم الوكيل. وهذا فتوح الوقت كتبنا بعضه إليك فليصادف
منك إذعاناً لمن تجلى بنا علينا به، فأثبته لك في هذا القرطاس، وأوصله إليك
إن شاء الله تعالى، وعلى الله قصد السبيل.

[٠٤٦ ١٢ محرم ١١٠٠هـ، إلى الشيخ أحمد النابلسي]

ومن ذلك ما أرسلته إلى بلدة نابلس المحروسة في ثاني عشر المحرم من شهور سنة مائة وألف، وهذه صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم، والله بكل شيء عليم. أسنى سلام وافي، وأشرف تحية توافي، من مورد صافي، ومنهل عذب شافي، إلى جناب أخينا في دين الله تعالى، الشيخ أحمد، أمده الله تعالى| بإمداده، وأدام له ١٥٨ب الاستقامة في طريق رشاده، أما بعد: فقد وصل إلينا مكتوبكم المبارك مع الشاب الصالح موسى، فسررنا بصحتكم وعافيتكم. وقد أوصيناكم سابقاً، ونوصيكم الآن لاحقاً، أن لا تخالطوا أرباب الدنيا إلا قليلاً بمقدار الضرورة. واشتغلوا بالتقوى في خطرات القلوب، وفي أعمال الجوارح. ولا تضيعوا الأوقات بغير الطاعات، واتكلوا على ربّ الأرض والسموات. واعلموا أن الأرزاق مقسومة، والآجال معلومة، وأن مع العسر يسرا، وقد جعل الله لكل شيء قدرا. وكرروا النظر فيما ذكرناه، والله خيرٌ حافظاً، وهو أرحم الراحمين. والسلام التام منا على جميع| الإخوان لديكم والأحباب، أمدهم الله تعالى بالسلامة والخلاص من كل ٧٢/أ فتنة، وسلك بهم سبيل الصواب من غير ارتياب.

[٠٤٧ ٧ صفر ١١٠٠هـ، ربما إلى الحاج محمد أفندي الحميدي]

ومن ذلك ما أرسلته إلى أدرنة المحروسة في سابع صفر من شهور سنة مائة ١٥٨/ب
وألف، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. سلامٌ قولاً من رب رحيم، إلى
جناب الأخ في الله، أما بعد: فقد قال الله تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾[يونس، ٦٢- ٦٣] فـ«الولي»
هو المؤمن المتقي، وهو الساكن المرتقي. والولي هو الذي آمن بالله فهدى الله
قلبه. قال تعالى: ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾[التغابن، ١١] وعلامته التقوى،
في العافية والبلوى. والولي هو الذي آمن، فطهّر باطنه بنور الإيمان، واتقى،
فطهّر ظاهره بمواظبة الأعمال الصالحة الحسان. والولي هو الذي آمن بأن
الكل من عند الله. قال تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من
حيث لا يحتسب﴾[الطلاق، ٢-٣] والولي هو ذِكر الله المحفوظ، والولي هو
الذي بعين عناية الله ملحوظ. لا يمر على خاطره غير الله، ولا يعرف إلا الله.
قال الله: ﴿ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾[الأنعام، ٩١] فمن كان قيامه بالله ١٥٩ب
تصديقًا وإيمانًا، ليس كمن كان قيامه بالله شهودًا وعيانًا. فالتصديق والإيمان

للخيال، والشهود والعيان للأحوال. والولي هو المؤمن على الحقيقة، وغيره على المجاز. والولي هو الذي فتح طلسم هذا الهيكل الإنساني، فهو الواحد، وكل من سواه حائر في الثالث والثاني. فاطلبه، واعلم إذا طلبته، أن طلبك له هو طلبه لنفسه. وتحقق أنك إذا وصلت إليه، فقد كشف له ما هو مكشوف له هو عن حجاب وجهه بإزالة لبسه. ودُمْ طالبًا له به، واشتغل به عن كل ما سواه. وقل لهؤلاء الذين هم عن وجهه محجوبون: ﴿ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون﴾[الأنبياء، ٥٢] ونسأل الله أن يؤيدنا وإياكم بالحفظ والعناية، وينصرنا وإياكم على أعدائنا في كل بداية ونهاية. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ١٧٣أ

[٠٤٨ أواخر صفر ١١٠٠هـ، إلى الحاج إبراهيم أفندي الخيره بولي]

ومن ذلك ما أرسلته إلى خيره بول من بلاد الروم في أواخر صفر من شهور سنة مائة وألف، وصورته: ١٥٩/ب

بسم الله الرحمن الرحيم، وهو بكل شيء عليم. إن السلام من اللقاء بالاسماع، والتحية نوع من أنواع الاجتماع. وللمحبة يد تحرّك القلوب إلى القلوب، فتكشف ستائر السرائر فيما بينها وتفتح خزائن الغيوب. إلى جناب الأعز في دين الإسلام، والصديق المختص بمزيد الإجلال والإكرام، الحاج إبراهيم أفندي الخيره بولي، شمله الله تعالى بأنوار التجلي، وحفظه في جميع أطواره بنفحات الرؤية والتملي، أما بعد: فإن الله تعالى فعّال لما يشاء بعباده، ولا معقّب لحكمه، ولا رادّ لمراده. والمؤمنون هم أهل العناية والهداية، والنصرة والكفاية. وهم حزب الله: ﴿ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ [المجادلة، ٢٢] ﴿ليقطع طَرَفًا من الذين كفروا، أو يَكْبِتَهم فينقلبوا خائبين. ليس لك من الأمرِ شيءٌ أو يتوبَ عليهم أو يُعذبهم فإنهم ظالمون﴾ [آل عمران، ١٢٧-١٢٨] ولا يخفى عليكم ما في هذه الأزمان من إهانة المسلمين لجانب الشرع المحمدي المبين، والدخول بالتأويلات في أحكام هذا الدين المتين، لتسليك أغراض الظالمين الفاجرين، والتوصل إلى شهوات ١٦٠ب

النفوس ونصرة وسواس الشيطان اللعين. وقلة الإنصاف، وكثرة الميل عن الحق والانصراف. وتقديم من لا يستحق التقديم، وتأخير أهل الرأي الصائب والحال المستقيم. وارتكاب العلماء الظاهرين، والصلحاء المعتقدين المشهورين، لكبائر الذنوب، والإصرار عليها، وعدم المبالاة بها في نفوسهم، بل عدم رؤية شيء من ذلك حراماً، ولا نقصاً، ولا عيباً، ولا عاراً، في قيامهم وجلوسهم، فضلاً عن عامة الناس، ومن لا يعرف الفرق بين الرجل والراس. ورحم الله تعالى الشيخ أبا الحسن الشاذلي فإنه| قال مشيراً إلى العلم الإلهي الذي عليه أهل التصوف والمعرفة: «عِلمنا هذا من مات ولم يتوغل فيه مات مصرًا على| الكبائر.»[٢٧٢] وصدق قدس الله سره في مقالته هذه عند من تأمل وأنصف، وبيان ما قلناه على وجه الاختصار، بقصد التقرير للحق والانتصار، لا بنيّة الإعابة والاحتقار. والله على ما نقول وكيل، وعلى الله قصد السبيل.

٧٣/أ ١٦٠/ب

وقد ذكر الكبائر من الذنوب كثير من العلماء في كتبهم وبيّنوها. وأحسن من صنّف في ذلك، واستقصى لما هنالك، الشيخ الإمام شهاب الدين بن حجر

---

٢٧٢ الشيخ أبو الحسن الشاذلي (٥٩٣-٦٥٦هـ / ١١٩٦-١٢٥٨م)، من أقطاب الصوفية ومؤسس الطريقة الشاذلية المنتشرة بشكل واسع في العالم الإسلامي وخاصة في شمال إفريقيا. ولد في شمال المغرب العربي في قرية غمارة ودرس في فاس، ثم سافر إلى العراق ودرس على يد الشيخ أبو الفتح الواسطي، عاد بعدها إلى المغرب ولازم الشيخ عبد السلام مشيش. استقر في النهاية في الإسكندرية وتوفي في صحراء مصر.

الهيثمي. فإنه رحمه الله تعالى ذكر في كتابه الذي سماه *الزواجر عن*[٢٧٣] *اقتراف الكبائر* أن عدد الكبائر أربعمائة وسبعة وستون كبيرة، وأفرد كل واحدة منها على حدة، وذكر دليل كل كبيرة والبحث عنها، وحقق ذلك أتم تحقيق.[٢٧٤] ونحن نذكر لك بعض ذلك مما أكب عليه أعيان مِلّتنا هذه، واتخذوه بينهم ضرورة من غير نكير منكر، ولبسوا به على العوام، ولم يبالوا فيه بالإصرار على الحرام.

فمن ذلك ذكر في كتابه أن من جملة|| الكبائر: المداهنة، والإعراض عن الغير ١٦١ب بالاستكبار في النفس، والخوض فيما لا يعني، والطمع في الدنيا، والحرص على الدنيا، وخوف الفقر، والتسخط من المقدور الذي أراده الله تعالى إذا وقع، وتعظيم الغني من أجل غناه، وإهانة الفقير من أجل فقره،[٢٧٥] والتنافس في الدنيا، والمباهاة بالدنيا، والتزيّن لأجل المخلوقين بما لا يرضى به الله، وحبّ المدح بما لا يفعل، والاشتغال بعيوب الخلق عن عيوب نفسه، ونسيان نعمة الله تعالى عليه، والحمية لغير دين الله تعالى، وترك الشكر، وإهانة حق الله تعالى وأمره، والسخرية والازدراء لخلق الله، والاحتقار لهم، واتباع الهوى، والإعراض عن الحق لأجل الغرض، والمكر والخداع، وحب الحياة الدنيا، والعناد في الحق، وسوء الظن بالمسلم، والفرح بالمعصية، والإصرار على المعاصي،|| ومحبة أن يحمده ٧٤أ - ١٦١/ب

٢٧٣ في، في أ وب وت. ٢٧٤ انظر أبو العباس أحمد بن حجر الهيثمي، *الزواجر عن اقتراف الكبائر* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥). ٢٧٥ فقير، في أ.

الناس بما فعل من طاعة الله تعالى، والرضا بالحياة الدنيا والطمأنينة بها، ونسيان الله والدار الآخرة، والغضب للنفس والانتصار لها، وتعلم العلم لأجل تحصيل الدنيا، وعدم العمل بالعلم، وسن السنة السيئة، وعدم الوفاء بالعهد وهو الغدر، ومحبة الظالمين والفاسقين، وبغض أهل الحق وأذية الأولياء، وسبّ الدهر، وقسوة القلب، وفحش الكلام، والحيلة على أكل الربا، واحتكار القوت، والغش، وتنفيق السلع بالحلف الكاذب، وتنقيص البائع في الكيل والميزان والذراع، وإيذاء الجار، والبنيان فوق الحاجة للخيلاء والمباهاة، إلى غير ذلك مما هو مفصل في مكانه بأدلته وشواهده.

وانظر يا أخي فهل تراها موجودة في أهل زمانك أم لا؟ وهل تجد من يصرح بحرمتها منهم فضلاً عن كونها من كبائر الذنوب أم لا؟ وانظر كيف احتالوا عليها | بالحيل والتأويلات البعيدة، لاستباحتها ودرأها عنهم، حتى لا يعترفوا بها ولا يظهر نقصهم بين الناس. وإذا كان الأمر كذلك، وقد وصل الحال بأزيد مما هنالك، فلا تستبعد ما هو الواقع الآن. أتريد باستبعادك أن تحلل ما حرم الله، أو تطلب نسخ هذه الملة الإسلامية وبطلان أحكامها؟[٢٧٦] وحاشاك من ذلك. فإن المسلمين أهانوا الإسلام، فسلط الله تعالى عليهم من

١٦٢ب

---

٢٧٦ أتريد أن تحلل ما حرم الله، أو تطلب نسخ هذه الملة الإسلامية باستبعادك وبطلان أحكامها، في أ و ب.

يهينهم. والإسلام عند أهله القائمين به مكرّم معزّز. وأصله في قلوبهم مغروز. وقد ملك الدنيا جميعها من مشرقها إلى مغربها مؤمنان وكافران. فالمؤمنان: سليمان وذو القرنين عليهما السلام، ولم يقدروا على إزالة الكفر والفسق من الدنيا. والكافران: النمرود وبخت نصر، ولم يقدروا على إزالة الإيمان والطاعة من الدنيا. والله يؤتي ملكه من يشاء، وهو العزيز الحكيم. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو أن الدنيا تعدل عند الله جناح ١٦٢/ب - ٧٤/أ بعوضة ما سقى منها كافرًا شربة ماء.»[٢٧٧] والله بكل شيء عليم.

٢٧٧ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب ذم الدنيا وذم أماكن من الأرض، باب الذم، الراوي جابر بن عبد الله، ٤:٥٠٧. أخرجه مسلم وأبو داود.

[٠٤٩ أواخر صفر ١١٠٠هـ، إلى الحاج إبراهيم أفندي الخيره بولي]

ومن ذلك ما أرسلته أيضاً إلى خيره بول في الأيام المذكورة من السنة المذكورة، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. سلامٌ قولاً من رب رحيم، نخص به جناب الأخ المكرم، والصديق المبجل المعظم، صاحب الوداد الأكيد، الذي شوقنا إليه ما عليه من مزيد، أمده الله تعالى بالمدد القدسي، في المقام الأنسي، الحاج محمد أفندي الخيره بولي، أما بعد: أولاً، فقد قال تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾[غافر، ٥١] يعني القيامة. فالرسل عليهم السلام منصورون على كل حال، وإن كذّبهم أعداؤهم وآذوهم. والمؤمنون بالرسل أيضاً إلى يوم القيامة منصورون على كل حال، وإن كذّبهم أعداؤهم وآذوهم. وقد انحصر الإيمان| بالرسل الآن في المؤمنين ١٦٣ب بمحمد نبينا صلى الله عليه وسلم. فمن آمن به فهو المؤمن بجميع الرسل، ومن كذّب به فهو المكذب بجميع الرسل. قال تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾[الفتح، ٢٩] فالمعية المحمدية لا تختص بزمان، ولا بمكان، ولا بإنسان، لأنها معية الإيمان، والنصرة والإيقان. ولكن لكل شيء أوان،

وبالله المستعان، وعليه التكلان. وهذه تقدمة قدمناها لكم إمام الكلام، لتكون مفصحة لكم عن عناية الله تعالى وحراسته والسلام.

[٥٠. أواخر صفر ١١٠٠ هـ، إلى الحاج محمد أفندي الحميدي]

ومن ذلك ما أرسلته إلى القسطنطينية المحمية بالتاريخ المذكور، وصورته:
بسم الله الرحمن الرحيم. اللّهم، يا حافظ السموات والأرض، ويا من لنبيه القيام بالسُنّة، وله القيام بالفرض، احفظ أحبابنا من كل سوء في الحياة الدنيا ويوم العرض،| واجعلهم قائمين لك بطاعتك المسنونة والمفروضة، ١٦٣ب واقرض أعدائهم عنهم أيما قرض، إنك سميع الأصوات، ومجيب الدعوات،| أما ٧٥أ بعد: فالواجب من السلام، واللائق من أنواع التحية والإكرام، إلى جناب الأخ في الدين، المحفوظ على كل حال من كل ما يشين، الحاج محمد أفندي الحميدي، سعد صاحبه، وعزّ جانبه. ونوصيكم أولاً بالتقوى التي هي وصية الله تعالى لجميع الأمم، وثانيًا بالشكر على النعم، والصبر على البلوى، فإن ذلك إلى الوصول هو الطريق الأمم. ولا تخافوا من غير الله تعالى، فإن من خاف من شيء سُلِّط عليه. ولا ترجوا من غيره، فإن الرجاء من غيره يوجب الحرمان مما لديه. ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ [البقرة، ٤٥] وتوكلوا على الله فإن الله يحب المتوكلين. ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا﴾ [آل عمران، ١٠٣] واتفقوا على الحق والهدى فإنه| أحرى لكم أن تتوافقوا. ١٦٤ب

ونسأل الله تعالى أن يمنّ عليكم يا أيها الأحباب بالدخول إلى حضرة قربه ورفع الحجاب. وأن يوفقكم إلى الأعمال الصالحة، ويحققكم بالأحوال الفالحة الناجحة. ويحرسكم في جميع الأوقات من سائر البليّات. ويدفع عنكم كل شر، ويوقيكم كل ضرّ. إنه على ما يشاء قدير، وبإجابة دعاء المؤمنين جدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

[٥١. أواخر صفر ١١٠٠هـ، إلى الشيخ أحمد بن الحارثية النابلسي]

ومن ذلك ما أرسلته إلى بلدة نابلس المحروسة في السنة المذكورة، وصورته: بسم الله الرحمن الرحيم. إلى جناب الأخ في دين الله تعالى، الشيخ أحمد بن الحارثية النابلسي، أتحفه الله تعالى بالمقام القدسي، في الجناب الأنسي، وأعزه الله تعالى غداً كما أعزّه اليوم وأمسِ، أما بعد: فإن المحبة مناهل، ولا يشتملها بأعذبها إلا العالم،| لا الجاهل. وإن لله تعالى قلوباً فارغة عما سواه، مملوءة بأنواع تجلياته على حسب ما قدّره وقضاه. ومن سلك سبيل المحبة، وصل به إلى مقام القربة. فامتلؤا من تجلياته، وتحققوا بمعرفة ذاته وصفاته. وسبيل| المحبة بين الإخوان، يوجب سلوكه زوال العداوة والهجران. قال تعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلّ إخواناً على سرر متقابلين﴾ [الحجر، ٤٧] فكونوا إخواناً فيما بينكم، وتحابوا في الله رب العالمين. فلا مقام يماثل هذا ولا شيء دونه، ﴿فسوف يأتي الله بقوم يُحبّهم ويُحبّونه﴾ [المائدة، ٥٤] فاحتفظوا عباد الله على المحبة القلبية فيما بينكم، وأشفقوا على الصغير، وعظموا الكبير، وأعينوا المساوئ، وانزعوا بُعدكم وبَينكم، فإنكم عباد ربّ واحد، وأمة نبيّ واحد، وأولا دأب واحد وأم واحدة. وكلكم في صورة واحدة آدمية،| فتأملوا هذه القضية. وعليكم السلام ورحمته الله وبركاته.

١٦٤/ب

٧٥/أ

١٦٥ب

[٠٥٢ ختام محرم ١١٠٢هـ، إلى إبراهيم آغا]

ومن ذلك ما أرسلته إلى أخينا إبراهيم آغا سلمه الله تعالى، إلى قرية شحب في عرض الباشا، ختام محرم من شهور سنة اثنين ومائة وألف، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم، والله خيرٌ حافظًا، وهو أرحم الراحمين.[٢٧٨] حضرة الأخ في دين الله تعالى، جناب إبراهيم، قال الله تعالى: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون. إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ [الشعراء، ٨٨- ٨٩] والإتيان إلى الله تعالى في كل ساعة، لأن العبد المخلوق عاجز، فهو مفتقر إلى الله تعالى في جميع أحواله، إن قام وإن قعد، وإن أكل وإن شرب، وإن تحرك وإن سكن، مضطرٌ إليه تعالى غاية الاضطرار. لا يقدر أن يقوم حتى يخلق الله تعالى له قيامًا، ولا يقدر أن يقعد حتى يخلق الله تعالى له[٢٧٩] قعودًا، ولا يقدر أن يأكل أو يشرب، أو | يتحرك أو يسكن، حتى يخلق الله تعالى له أكلاً وشربًا، وحركةً وسكونًا. سواء كان ذلك العبد ملاحظًا لجميع ذلك، أو كان غافلاً عن ذلك. قال الله تعالى: ﴿الله خالق كل شيء﴾ [الزمر، ٦٢] وقال تعالى:

١٦٥/ب

---

٢٧٨ إشارة إلى الآية: ﴿فالله خيرٌ حافظًا وهو أرحمُ الراحمين﴾ [يوسف، ٦٤]. ٢٧٩ له، ساقطة في أ.

﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ [الحديد، ٤] فالعبد مع ربه كالظل مع الشجرة. قال الله تعالى: ﴿ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل ولو شاء لجعله ساكنًا. ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً﴾ [الفرقان، ٤٥ - ٤٦] فلا بدا أنه تعالى يقبض العبد إليه قبضاً يسيراً، كما تقبض الشمس ظلها الذي أظهرته بظهورها. فالمراد أن يكون العبد مع ربه من حين بسطه له إلى حين قبضه له، ملاحظاً لجنابه، مراقباً لحضرته تعالى. فإن هذا العبد لا ينفعه إلا مولاه الكريم، وهو كافيه في جميع أموره. قال الله تعالى: ﴿أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه﴾ [الزمر، ٣٦] وقال تعالى: ﴿فلا[٢٨٠] تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران، ١٧٥].

١٧٦أ

وأنت يا أخي يا إبراهيم على ثقة من هذا التذكير الذي ذكرناه لك كله. فكن في جميع| أحوالك معتمداً على الله تعالى، متحققاً بمعونته لك أنت وجميع إخواننا الآغوات. فإن الله تعالى حافظكم، وناصركم، ومؤيدكم، على كل حال، لأنه ربكم، وهذا الذي يحملكم في كل حركة تتحركونها وكل سكون تسكنونه. وهو المتكفّل بكم، لأنكم أهل الشام، وجند الله، وعسكر الموحدين، يدفع الله تعالى بكم عن الضعفاء والمساكين كل شر وكل سوء. قال تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ [غافر، ٥١] وقال رسول الله صلى

١٦٦ب

---

٢٨٠ ولا، في أ وب وت.

الله عليه وسلم: «أهل الشام سوط الله في الأرض ينتقم بهم ممن يشاء من عباده.»[٢٨١] فإذا حملكم الله تعالى بالسلامة، وانتقم بكم، وبهيبتكم، وبسيوفكم، ممن شاء من عباده، فاثبتوا، ولا تضجروا، ولا تخافوا، ولا تحزنوا. واتفقوا كلكم على كلمة واحدة، وانزلوا كلكم جملة واحدة، ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران، ١٣٩] وأنتم كلكم مؤمنون، ولله الحمد والمنّة. وقال تعالى: ﴿ولا تنازعوا[٢٨٢] فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا﴾ [الأنفال، ٤٦] وأنتم ولله الحمد متفقون، فـ «ريحكم،» أي «قوتكم،» شديدة. فاتوا ربكم كما ذكرنا لكم في كل ساعة بقلب «سليم،» أي «مستسلم» إلى جميع ما يريده تعالى منكم [و]ما هو فاعِلُه بكم، ولا تعتمدوا على غيره سبحانه. وسلموا إلى الله تعالى جميع أموركم، بظواهركم وبواطنكم، واعلموا أن جميع ما يخطر في نفوسكم، مما يضاد ما ذكرناه لكم، إنما هو من الوساوس الشيطانية. ونحن الآن في الشام لا شغل لنا في غالب الأوقات إلا الدعاء لكم والتوسل إلى الله تعالى في حفظكم، ونصركم، واتفاق قلوبكم، ومعونتكم، على كل حال. وهذا المكتوب ما أرسلناه إليكم بقصد تبليغ السلام إلى جميعكم فقط، وإنما

١٦٦/ب

٧٦/أ

---

٢٨١ «أهل الشام سوط الله في أرضه...،» الهيثمي، *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*، كتاب المناقب، باب ما جاء في فضل الشام، الراوي خريم بن فاتك الأسدي، ١٠:٣٩. أخرجه الطبراني في *المعجم الكبير* والإمام أحمد في مسنده. ٢٨٢ ولا تفرقوا، في أ و ب و ت.

المقصود تذكيركم بالله تعالى وإن كنتم ذاكرين. قال تعالى: ﴿وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ [الذاريات، ٥٥] وأنتم في أمان الله تعالى وحفظه وعنايته. ولم نكتب إليكم هذا المكتوب بالألقاب اللائقة بكم والكلمات المناسبة بجنابكم، على عادة المكاتيب، احتراماً لما تضمّنه من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والمعاني التوحيدية والإيمانية، جرياً على عادتنا في طريقتنا الخاصة. فاقرؤوه فيما بينكم، وقلبنا معكم إن شاء الله تعالى. ولا تغيبون عنا إن شاء الله تعالى بدوام الدعاء بجنابكم في كل حال، وأنتم في أمان الله وحفظه.

١٦٧ب

[٠٥٣ ٣ شوال ١١٠٢هـ، إلى الوزير مصطفى كمال باشا ابن الكبرلي]

ومن ذلك ما أرسلته إلى القسطنطينية المحروسة، إلى جناب صدر الصدور، ومفخر أرباب الورود والصدور، العالم الفاضل، حضرة مصطفى باشا ابن الكبرلي، الوزير، أخذ الله بيده، وذلك في الثالث من شوال، سنة اثنين ومائة وألف، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. وتحية مرفوعة الجناب،| مكشوفة الحجاب، سارية من الأحباب إلى الأحباب، أما بعد: فقد قال الله تعالى: ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾ [محمد، ٧] ونَصْر الله تعالى إنما هو عند المؤمنين المحافظين لجماعة المسلمين، القائمين بنصرة هذه الملة وهذا الدين. فنَصْرُ الله تعالى لهم محقق معلوم، وإعلاء كلمتهم في الأرض أمر موعود به ممن وَعْده محتوم. كيف ومن جملة عساكرهم الفقراء والضعفاء، الذين يقاتلون عنهم بالدعاء. روى البخاري في صحيحه عن سليمان بن حرب، قال حدثنا محمد بن طلحة| عن مصعب بن سعد، قال رأى سعد أن له فضلاً على من دونه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هل تنصرون وترزقون إلا

١٦٧/ب

١٧٧أ

بضعفائكم.»[283] وروى الترمذي في سننه عن أحمد بن محمد، حدثنا ابن المبارك، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر،| حدثني زيد بن أرطاة، عن جبير بن نفير، عن أبي الدرداء، قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ابغوني عند ضعفائكم فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم.»[284] قال الترمذي في سننه عن محمد بن إدريس، قال حدثنا عمر بن حفص بن غياث عن أبيه، عن مسعر، عن طلحة بن مصرف، عن مصعب بن سعد،[285] عن أبيه، أنه ظن أن له فضلاً على من دونه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها: بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم.»[286] أخبرنا يحيى بن عثمان، قال حدثنا عمر بن عبد الواحد، قال حدثنا ابن جابر، قال حدثني زيد بن أرطاة الفزاري، عن جبير بن نفير الحضرمي، أنه سمع أبا الدرداء يقول، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ابغوني عند الضعيف فإنكم إنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم.» وإنما ذكرنا رجال هذه الأسانيد للتبرك بهم.

١٦٨ ب

٢٨٣ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الزهد والفقر، باب في الترغيب في الزهد بالدنيا، الراوي سعد بن أبي وقاص، ٤:٦٧٧. أخرجه البخاري والنسائي. ٢٨٤ «ابغوني في ضعفائكم فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم،» الحاكم، *المستدرك على الصحيحين*، كتاب الجهاد وقسم الفيء، الراوي أبو الدرداء، ٢:١١٦ \ ٢:١٥٧. أخرجه ابن حِبّان في صحيحه والحاكم في مستدركه. ٢٨٥ عن مسعر، عن طلحة بن مصرف، عن مصعب بن سعد، ساقطة في أ و ب. ٢٨٦ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الزهد والفقر، باب في الترغيب في الزهد بالدنيا، سعد بن أبي وقاص، ٤:٦٧٧. أخرجه البخاري والنسائي.

فمفهوم هذه| الأحاديث أن نصرة هذه الأمة إنما تكون بالضعفاء، ١٦٨/ب
وبدعائهم وصلواتهم وإخلاصهم لله تعالى. وقد ورد ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم بطريق الحصر في الأحاديث المذكورة، فامتنع أن تكون النصرة بالقوة، أو بالأموال، أو بكثرة الرجال. ويؤيده قول الله تعالى: ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ [آل عمران، ١٢٦] فانحصر نصر هذه الأمة في مرحمة الرعية، والملاطفة بالضعفاء، والشفقة على فقراء المسلمين، والرأفة بالمساكين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.
ومن كلام السلطان نور الدين الشهيد، من ملوك بني أيوب،[287] رحمه الله تعالى، لما انهزم مع عسكره في قتال| الفرنج، وقد نُهِبَ جميع ما معه، ١٧٧أ
فقال له بعض خاصته: اقطع صدقاتك للفقراء والضعفاء في دمشق الشام وغيرها في هذا العام لتستعين بذلك على ما ذهب لك. فقال والله إني لا أرجو النصر إلا بأولئك،| فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم. ١٦٩ب
كيف أقطع صلات قوم يقاتلون عني وأنا نائم في فراشي بسهام لا تخطئ، وأصرفها إلى من يقاتل عني إذا رآني بسهام قد تخطئ وتصيب.

---

٢٨٧ هذا خطأ تاريخي من المؤلف، إذ أن نور الدين الزنكي، المشهور بنور الدين الشهيد، كان قبل الأيوبيين.

ونسأل الله تعالى أن يمدكم يا أولي الأمر على التحقيق، بكلا القولين في نصرة هـذا الدين الذي هو بالنصرة حقيق. وأن يحفظكم بالملائكة المقربين، لتطمئن بذلك قلوب الموحدين.

لَو لَم تَكنْ مُصطفى ربّنا ... من الكلِّ في ذا الزمانِ الأخير

لما خَصّكَ الله بالعلِم والـ ... معالي وكونَكَ فينا الوَزير

وناسَبْتَ سُلطاننا في التُقى ... وفي الزُهدِ بالباطنِ المُستنير

فشَمسُ السموات مُحتاجة ... بليلٍ إلى القمرِ المُستدير

جَزاكَ إلهي عنِ المسلمينَ ... خير الجَزا والجَزيلِ الكثير

ولا زِلتَ تَقْهَرُ كلّ العِدا ... بِسَعدٍ عَظيمٍ وقدرٍ خَطير

وإن ضِقتَ لا ضقت في حالة ... قل الله حَسبي ونِعمَ النَصيرا

١٦٩/ب

[٥٤. صفر ١١٠٣هـ، إلى يحيى أفندي ابن نوح أفندي الواني]

ومن ذلك ما أرسلته إلى بلاد وان في شهر صفر، سنة ثلاث ومائة وألف، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي بحمده قام كل موجود، وظهرت مرتبة الشاهد والمشهود، والصلاة والسلام على حبله المشدود، وظله الممدود، وبحره المورود، ونبيه ورسوله محمد المحمود، وعلى جميع آله الآيلين إليه بالصدق في المعاملة، وأصحابه المصاحبين له بالكشف في تحقق المقابلة، وعلى التابعين له ولهم بالاقتداء والاهتداء في كل حقيقة قابلة، أما بعد: فمن هذا العبد الفقير لتجليات ربه القدير، الغريب بين كل قريب،| عبد الغني، الشهير بابن النابلسي، الدمشقي المولد والمسكن، أخذ الله بيده، وأمده بمدده، إلى أخيه في دين الله، والمقبل بهمته على اللحوق بزمرة أهل الله، إن شاء| الله، الغني بالآثار الحميدة، والمكاتبة الأدبية الفريدة، عن كثرة الألقاب والنعوت، فإن الثابت في نفسه لا يحتاج إلى الثبوت، جناب يحيى أفندي ابن نوح أفندي الواني، بصّره الله تعالى بأنوار حقيقته، وكشف له عن سره المستتر بأوهام خليقته. نهدي إلى جنابكم أنواع التحيّات، وأشرف التسليمات الوافيات. وقد وصل

٧٨أ

١٧٠ب

مكتوبكم الشريف في أحسن الأوقات، فسررنا[٢٨٨] بانبعاث الهمة العلية إلى الرفقة في هذه الطريقة المحمدية، وتحركت منا المحبة الألسنية،[٢٨٩] إلى وجه هذه الحقيقة الاختصاصية. وإن العلوم كثيرة، ولكن النافع منها قليل، وذلك القليل هو العلم العظيم الجليل، ألا وهو علم التجليات الرحمانية والحضرات الربانية، الذي لا تطلع شمسه على أفلاك القلوب الإنسانية، إلا بعد طلوع| فجر الرغبة فيه من الهمم النفسانية. ١٧٠/ب

وليعلم وليّ، حفظه الله تعالى، أن هذا الشأن العظيم، والتنزّل الكريم، لا يحصل لمن توجه إليه بالأنظار العقلية، والأفكار النفسانية. لأن الحاصل لا يُحصل بالتحصيل، والمكشوف الظاهر لكل بصر وبصيرة لا يُعرف بالتخيل والتمثيل. وإنما العناية الربانية تقوى بها البصيرة الإنسانية فتوجب الحضور، ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ [النور، ٤٠] وإياكم من كتب علم الكلام فيما أقرت به وما أنكرته، فإنها مبنية على البراهين العقلية والأدلة الخيالية. وتمسكوا بمجرد الإيمان بكلمات الكتاب والسنة على طريق القطع واليقين، ولا تسلكوا سبيل الأدلة العقلية والبراهين. فقد قيل للإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله، ما تقول فيما أخذته الناس من الكلام في العرض، والجوهر، والجسم. فقال: «هذه مقالات| الفلاسفة، فعليكم بالآثار وطريقة السلف، وإياكم وكل مُحْدَث| ٧٨/أ - ١٧١ب

---

٢٨٨ فسرر، في أ. ٢٨٩ الألستية، في أ وب وت.

فإنه بدعة.» وكان الإمام الشافعي رحمه الله يقول: «من خاض في علم الكلام فكأنه دخل البحر في حال هيجانه.» فقيل له: «يا أبا عبد الله إنه في علم التوحيد.» فقال: «قد سألت مالكا عن التوحيد، فقال: ‹هو ما دخل به الرجل الإسلام وعُصم به دمه وماله، وهو قول الرجل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده و رسوله›.» وكان أبو سليمان الخطّابي[290] رحمه الله يقول: «عليكم بترك الجدال في الحديث وأقوال الأئمة، فإن الله تعالى يقول: ﴿ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا﴾ [غافر، ٤] وما كانت قط زندقة، أو بدعة، أو كفر، أو جرأة على الله تعالى، إلا من قبل الجدال وعلم الكلام.» واجتهد يا أخي بصدق عزمك في تصفية قلبك من شواغل الدنيا على حسب الإمكان. واترك الهمّ والغمّ على فوات المطلوب، أو عدم حصول المرغوب. فإن الهموم والأحزان مما يطمس بصيرة الإنسان.

واعلم بأنك إذا فهمت| الأمور الإلهية بعقلك فإنما يتحصل لك العلم بها على مقدار قوة عقلك، وعلى حسب ما عندك من الاستعداد، لا على ما هو ١٧١/ب

---

٢٩٠ حَمْد بن محمد بن إبراهيم أبو سليمان الخطّابي (٣١٩-٣٨٨هـ / ٩٣١-٩٩٨م)، نسبة إلى زيد بن الخطّاب أخي أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب، من علماء الحديث. رحل إلى العراق، وتلقى تعليمه بالبصرة وبغداد، ثم انتقل إلى الحجاز وعاش في مكة، ثم عاد إلى خراسان واستقر به الحال في نيسابور ما يقرب من سنتين، حيث تفرغ للتصنيف والتأليف. له العديد من المؤلفات في علم الحديث منها «معالم السنن،» و«شرح البخاري،» و«غريب الحديث.»

عليه الأمر في نفسه. فإذا زاد بعد مدة عقلك أو نقص إدراكه، اختلف عليك علمك الذي حصل لك بواسطة إدراك عقلك. وإذا لم تكن في تفاوت من العقل في الدنيا، فبعد الموت يتفاوت عليك إدراك عقلك. فلا تأمن أن تدرك الشيء على خلاف ما كنت تدركه من قبل ذلك. فالنصح لك أن لا تثق بمدركات العقول في الأحوال الإلهية أصلاً. خصوصاً وقد ورد في الحديث عن معاذ بن جبل، رضي الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما خلق الله في الأرض شيئًا أقل من العقل، وإن العقل في الأرض أقل من الكبريت الأحمر.»[٢٩١] ذكره الأسيوطي في *الجامع الكبير* و*الجامع الصغير*.

٧٩أ وتمسّك| بإيمانك بالغيب، واستسلامك وانقيادك باطنًا وظاهرًا إلى معاني الكتاب والسنة، على حسب ما يعلمه الله تعالى| ويعلمه رسوله صلى الله عليه ١٧٢ب وسلم، وارفع همتك عن الإيمان بمقتضى ما يظهر لك من حيث النظر العقلي من معاني الكتاب والسنة إلى حضرة الإيمان بذلك، على مقتضى ما هو الأمر عليه في نفسه، مما يعلمه الله ورسوله. فإنك إذا تعلقت همة إيمانك بذلك الغيب المعلوم عند الله ورسوله، ربما جذبك ذلك المعنى الغيبي، أو جذبته بقوة حالك وصدقك في الإذعان إلى الغيب. فينفتح لك باب العرفان على طريقة الكشف والبيان، وتخرج من أسر الطبيعة إلى ميادين علوم الشريعة.

---

٢٩١ لم يرد في *تاج الأصول*. ورد في السيوطي، *الجامع الصغير*، ٤٨٣ (ح ٧٩٠١)، عن معاذ.

وكنا نذكر لك طريق الوصول إلى الكشف عن حقيقة الحقائق، ونبين لك كيفية الفناء في بقاء تلك الحقيقة، ثم البقاء بعد الفناء ببقائها، إلى غير ذلك من الأصول التي بني عليها كلام المحققين من أهل الله تعالى، ولكن منعنا من ذلك أن هذه الأغراض الصحيحة والمقاصد اللازمة لا تتأدى إلا بكلمات وألفاظ استعملها| من تقدمنا في أهل طريق الله تعالى وغيرهم، فيما أرادوه من المعاني الصحيحة التي نريد أن نذكرها نحن الآن. فسمعها رجال من أهل الكلام وغيرهم، ونظروا إليها بآرائهم وعقولهم، ففهموا منها معانٍ فاسدة وعقائد غير صحيحة. فنسبوا الزيغ والضلال إلى قائلها، ولم يفهموا المعنى الذي أراده قائلها. لأن قائلها لم يتكلم بها على حسب المعنى العقلي المفهوم منها، وإنما أراد به المعنى الكشفي الذي أحس به. فعبر عنه بتلك العبارات، حيث لم يجد لما كشف عنه عبارة تؤديه أقرب من تلك العبارات، وقد فهم منها غيره ما فهم من الفساد. ونحن أيضاً نخشى إذا تكلمنا بمثل تلك الكلمات،| أن تستنطق بحسب القوانين العربية، وتدخل في فهم معانيها العقول بالآراء النظرية، فيظهر منها غير المعنى المراد لنا، فيوجب ذلك قطع الإمداد، و زيادة البعد بيننا وبينكم في المعنى كما هو في الحس أيضاً ببعد البلاد، خصوصاً إذا| رأيتم تلك الكلمات مطعوناً فيها في علم الكلام و في كتب العقائد على حسب ما ذكرنا. فالأولى والأحرى تحذيركم من موضع الفساد، ودلالتكم على موضع الهداية والرشاد. فالنظر العقلي موضع

١٧٢/ب

٧٩أ

١٧٣ب

الفساد، والإيمان بالغيب في كل ما ورد الإيمان به موضع الرشاد. والله يتولى الهداية، ومنه العناية في كل بداية ونهاية، والسلام.

[٠٥٥ شعبان ١١٠٣هـ، جواب مكتوب ورد بالتركية]

وقد ورد علينا في ضمن مكتوب من بلاد الروم، من قصبة خيره بول، تابع تكرداغ، في شعبان سنة ثلاث ومائة وألف، سؤال بالتركية، ومعناه بالعربية: إن حرمة الشيء الثابتة بالاجتهاد لا يكفّر مُستحِّلها، فما وجه إكفار مُستحَلّ الرقص في ذكر الله تعالى؟

فأجبناه عن ذلك بعون الله تعالى حيث قلنا: الفرق بين التواجد في ذكر الله تعالى وبين الرقص في الغناء ظاهر لكل مسلم. فإن الباعث على التواجد هو الشوق إلى الله تعالى والمحبة في جلاله وجماله، والباعث على الرقص إنما هي الشهوات النفسانية والأغراض الشيطانية في الفسق والفجور. فمن قال عن التواجد في ذكر الله تعالى أنه رقص فقد كفر، لأنه سمى الطاعة معصية، كما ذكر الفقهاء في الخمرة التي يذكرها الأولياء في أشعارهم ويمدحونها. فإذا قال إنها هي الخمرة المحرمة المعروفة في الدنيا كفر. قال علي القاري المكي:[٢٩٢] «فالعبارات في الميمية الفارضية، وكذا في الأشعار الحافظية

١٧٣/ب

٢٩٢ سبقت الإشارة إلى علي القاري، انظر رسالة رقم ١٩.

والقاسمية وأمثالها،[٢٩٣] كلمات كفرية لمن حملها على المعاني الظاهرية، كأهل الإلحاد والإباحة.» انتهى كلامه في شرحه لمكفرات بدر الرشيدي. فمن رقص بالمعنى الذي ذكرناه على ذكر الله تعالى، كان رقصه| حراماً بالإجماع، وذكر الله تعالى طاعة بالإجماع. ومن تواجد بالمعنى الذي ذكرناه على الغناء والفسق، كان تواجده طاعة بالإجماع، لأن الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى، وكان الغناء بالفسق والفجور حراماً بالإجماع. فمن| قال أن الرقص حرام، مراده الرقص بالمعنى الذي ذكرناه، ومراده أنه حرام بالإجماع، لا بالاجتهاد. واستحلال الحرام المجمع عليه، كفر. ومن قال بعدم الحرمة، مراده التواجد على الذكر، لا الرقص، فليست المسألة اجتهادية، وإنما هي مبنية على حسن الظن وسوء الظن. فمن رأى الحركة المختلفة في حال ذكر الله تعالى من السالكين فحسن الظن بهم، قال هذا تواجد على ذكر الله تعالى، وهو طاعة. ومن أساء الظن بهم، قال هذا رقص حرام لأنه معصية، لأن الرقص لا يكون إلا بالباعث النفساني والشهوة الحيوانية.

١٨٠أ

١٧٤ب

والحاصل أن الفرق بين الرقص وبين التواجد لا يخفى على المسلم المنصف الخالي من التعصّب، سواء كان من العوام أو من العلماء. والرقص يكون بالتكسر

٢٩٣ الميمية الفارضيّة نسبة إلى ابن الفارض؛ الأشعار الحافظية نسبة إلى حافظ الشيرازي؛ أما الأشعار القاسميّة فربما نسبة لأبو القاسم الفردوسي صاحب الشاهنامه.

والتخلع لإثارة الشهوة، والتواجد إنما يكون بالشوق الإلهي والمحبة الربانية.
ولا يخفى ذلك على جميع الناس. فمن ساوى بين الرقص والتواجد، بواسطة أن ١٧٤/ب
كلا منهما بحركة موزونة على نغمة موزونة، كان كمن ساوى بين السجود للأصنام
والسجود لله تعالى، بواسطة أن كلا منهما وضع الجبهة والأنف على الأرض،
فيكفّر بلا خلاف. والله الموفق للصواب.

[٠٥٦ أوائل ذو القعدة ١١٠٦هـ، رسالة من محمد أفندي نقيب أشراف حلب]

وقد أرسل إلينا حضرة السيد محمد أفندي نقيب أشراف حلب المحروسة مكتوباً في أوائل شهر ذي القعدة، سنة ست ومائة وألف، وصورته:

يا نَفْحَةَ البانِ بل يا نَسْمَةَ السَّحَرِ عُوجي على حيّ ساداتٍ هُم وَطَري
ولتَحمِلي مِن سَلامي عَنْبراً عَطِراً[٢٩٤] ولتُشعليهِ بنارِ الشّوقِ مِن فِكري

٨٠/أ لحضرة التي تطلع من أفقه بدور الكمال، وتسطع من شروقه| شموس الفضل والأفضال، أعني به جناب الأخ الجليل، صاحب الفضل والمجد الأثيل، سيدي وسندي، بل ذخيرتي وعضدي، حضرة الشيخ عبد الغني أفندي، ١٧٥ب كان الله له فيما يعيد ويبدي. بعد ما أهدي| إليه من الأدعية أعلاها وأغلاها، ومن الأثنية أزهرها وأزهاها، دعوات من حضرات القدس مسراها، وفي رقائق الأنس مجراها، أعرضُ لعلى ذلك المقدار، الذي يكاد سنا برقه يذهب

٢٩٤ عطر، في أ.

بالأبصار، هو أنني إلى جنابه الكريم، على وظيفة الدعاء مقيم، فالرجاء من شيمه الكريمة، أن لا يخرج هذا الداعي المخلص من خاطره العاطر، ولا ينساه من دعائه الصالح الوافر،[٢٩٥] فلا زلتم محروسين بعين الظفر والتأييد، ثم الدعاء سرمدا.

فأرسلنا الجواب بعون الملك الوهاب، وصورته:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. الحمد لله وسلام على عباده الذي اصطفى، في كل ظهور وخفا، صعوداً في معاريج الوفا، إلى سدرة منتهى أهل الصفا، أما بعد: فأنواع التحيّات الزكيّات منا إلى جناب حبيبنا، درة تيجان بني هاشم وبني عبد مناف، الكامل النعوت والأوصاف، محمد أفندي، لا زال في عناية المعيد المبدي، وأمده الله تعالى بإمداده، وعامله بألطافه وإسعاده. وصيتنا لكم حسن السريرة، لتكميل قوة البصيرة، فإن المقامات كلها حاضرة، والحقيقة بجميع اعتباراتها ناظرة. وقد وصلت مشرفتكم فأسرّت القلوب، وكشفت عن أسرار الغيوب. ومنا أشرف السلام إلى كل من التفت إلينا بعين الخاطر من السادة الكرام، أهل الشهامة والاحتشام، بلّغهم الله تعالى وإياكم غاية المرام، والسلام من السلام على أهل السلام.

١٧٥/ب

---

٢٩٥ الوافر، ساقطة في أوت.

[٠٥٧ ربيع الأول ١١٠٨هـ، إلى الحاج محمد أفندي الحميدي]

ومن ذلك ما أرسلته إلى البلاد الرومية في ربيع الأول سنة ثمان ومائة وألف، وصورته:| ١٨١أ

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله والسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد: فإن المودة لا تزال أكيدة، والمحبة عتيقة جديدة، وكثرة الأشواق لا تقدر على حملها مطايا الأوراق. والوصية بيننا تقوى الله تعالى في السر والعلانية، ودوام الإقبال عليه سبحانه في كل حالة متباعدة أو متدانية، وصدق الأقوال والأعمال، والصبر والشكر على جميع الأحوال، والتجانب عن دار الغرور، والتعري عن ملابس الزور. والله يحفظكم بنواظر العناية والتوفيق، ويلحظكم بعيون المعارف والتحقيق، ويدفع عنكم شر كل ذي شر، ويعزكم في الدنيا والآخرة عزة كل صالح بر، جناب الولد العزيز، جعله الله تعالى من هدايته في حرز حريز. الفاضل الكامل، والعالم العامل، الحاج محمد أفندي الحميدي، حمد الله تعالى سيرته، وطهّر من الأغيار سريرته. وصلى الله على سيدنا محمد| وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. ١٧٦ب ١٧٦/ب

[٠٥٨ ربيع الأول ١١٠٨هـ، إلى الشيخ نصوحي أفندي الأسكداري]

ومن ذلك ما أرسلته إلى البلاد الرومية في التاريخ المزبور، وصورته:[٢٩٦]
بسم الله الرحمن الرحيم. سلامٌ قولاً من رب رحيم. هذا حقيقة، كما هو مقتضى الطريقة، وأما مجازاً، فمن العبد الفقير، إلى مولاه القدير، عبد الغني ابن النابلسي الشهير، أتحفه الله تعالى بهباته، وغلب على أسمائه بأسمائه، وعلى ذاته بذاته، أما بعد: فإن مودة الإخوان خارجة عن قيود الإمكان، ومتخلصة من حبائل الزمان والمكان. جعلنا الله وإياكم من الآمنين، ﴿إخواناً على سرر متقابلين﴾ [الحجر، ٤٧] والجامع التقوى، في السر والنجوى. والمقصود بالمراسلة، التي هي بعض المواصلة، جناب الأخ في الدين، أدخلنا الله تعالى وإياه في زمرة عباده الصالحين، حضرة نصوحي أفندي، مظهر عناية[٢٩٧] المعيد المبدي، وحفظه| بجيوش الأسرار، من حضرات الأغيار ١٧٧ب الأشرار، وحمله على كفوف تجليات| الأسما، وزج به في نور المقام الأسما، ١٨١أ وأما بعد أيضاً: فقد وصل إلينا مكتوب من جنابكم الكريم، إنه من سليمان، وإنه

---

٢٩٦ ومن ذلك ما أرسلته إلى البلاد الرومية، إلى الشيخ نصوحي أفندي الأسكداري في التاريخ المذكور، في ت. ٢٩٧ العناية، في أ وت.

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، ولسليمان الروح وبلقيس النفس أمر عظيم، وهو بهذه الأسماء الثلاثة يظهر له التقسيم: فالروح لله، والنفس للرحمن، والجسد للرحيم، والله بكل شيء عليم. والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

[٠٥٩ ربيع الأول ١١٠٨هـ، إلى معنوي أفندي ابن الشيخ قره باس علي أفندي]

ومن ذلك ما أرسلته إلى البلاد الرومية في التاريخ المذكور، وصورته:[٢٩٨]
بسم الله الرحمن الرحيم. اللّٰهم أنت السلام، ومنك السلام، واليك يرجع السلام، تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام، أما بعد: فمن العبد الفقير مجازاً في الطريقة، إلى الأخ في دين الله تعالى أتحفه الله بأسرار الحقيقة، حضرة معنوي أفندي، معنى اللفظ الشريف، القائم بالإجلال في مقام العبودية والتعريف. المودة باقية، والمحبة راقية، ومن القلب إلى القلب نهر جار وساقية. والتقوى خير الزاد، ومن سلك بالمعرفة الإلهية فقد وصل وزاد. والدنيا دار الغرور، وإنما السرور فيها شرور، والصفا منها كدور. وقال تعالى: ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ [العصر، ٣] وقال تعالى: ﴿ولئن شكرتم لأزيدنكم﴾ [إبراهيم، ٧] والصبر والشكر عبادتان أمر الله تعالى بهما عباده، وأعد لهم في مقابلتهما الحسنى وزيادة. فالصبر يظهره

١٧٧/ب

---

٢٩٨ ومن ذلك ما أرسلته إلى البلاد الرومية، إلى الشيخ معنوي أفندي ابن الشيخ قره باس علي أفندي في التاريخ المذكور، وصورته، في ت.

البلاء والنقمة، والشكر تظهره النعمة. وكل عبد له دائماً هاتان الحالتان، لا ينفك عن إحداهما، فإما في بلاء، أو في نعمة وآلاء. وهو المطالب من جهة رب الناس، في كل نفس من الأنفاس. حفظنا الله تعالى وإياكم من| مضلات ١٧٨ب الفتن، ومن جميع المحن، ورزقنا العفو والعافية، وسلك بنا وبكم إن شاء الله تعالى مسالك أهل القلوب الصافية، والموارد الوافية. هذا وقد جاءنا مكتوبكم الشريف، فقصدنا بقاء المواصلة، بتحريك سلسلة| المراسلة. وصلى الله على ١٨٢أ سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

[٠٦٠ ربيع الأول ١١٠٨هـ، إلى الشيخ أبي المواهب البكري الصديقي]

ومن ذلك ما أرسلته إلى الشيخ أبي المواهب البكري الصديقي، إلى مصر المحروسة، وعرضت له بالتعزية بموت أخيه المرحوم، وذلك في ربيع الأول، سنة ثمان ومائة وألف، وصورته:

سلام الله الأسنى، وتحياته المباركة الحسنى، إلى جناب إمام الحقيقة، وعمدة أرباب الطريقة، الولي الرباني، والقطب الرحماني، حضرة الشيخ أبي المواهب البكري، نفعنا الله ببركاته، وأعاد علينا من نفحاته،| أما بعد: فإن الأشواق إلى رؤياكم كثيرة، والأوقات بالاجتماع عسيرة، وقد عظم علينا نقصان عدّ الفرقدين، وانحلال عقد السماكين، ورجوعنا إلى يوم الأحد من يوم الاثنين. وفي الله العوض عن كل ذاهب، ولا سيما والخلف أبو المواهب. أسعد الله تعالى الأوقات، وأدامكم في الهناء والمسرّات، والسلام.

١٧٨/ب

[٠٦١ ٧ محرم ١١٠٩هـ، إلى الشيخ أحمد الكسبي]

ومن ذلك ما أرسلناه إلى حلب المحروسة، إلى الشيخ أحمد الكسبي، في سابع محرم الحرام، سنة تسعة ومائة وألف، وفي المكتوب سؤال صورته:

لا شك أن هذه التعيّنات الكونية قائمة بالمعيّن لها أزلاً وأبداً، وهو الوجود الحق المطلق. ثم أنها ظهرت من محض تعيّنها الثبوتي إلى تحقق تعيّنها الوجودي. ونحن نسأل عن جهة ظهورها، من أي اعتبار هو؟ فهل هو من جهة أنفسها القائمة بالمعيّن لها، على معنى أن المعيّن لها توجه بها عليها فأظهرها؟ واسم| المعيّن لها في الأزل والأبد: «علم.» كما قال سبحانه: ﴿أنزله بعلمه﴾[النساء، ١٦٦] أعني «القرآن،» بمعنى «المقروء،» وهو معلوم عند المحققين بأنه التعيّنات المذكورة. أو «العلم» أظهرها بالاسم الذي يسمى به باعتبار آخر، فيقال له «الأمر»؟ كما قال: ﴿إنما قولنا[٢٩٩] لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ [النحل، ٤٠] أو التعيّنات بنفسها ظهرت في ترتيب| ظهورها بالأمر القديم المتوجه عليها؟ بدليل قوله سبحانه: «فيكون،» أي «يتكون،» بمعنى «يوجد»

١٧٩/ب

٨٢/أ

٢٩٩ أمرنا، في أ وب وت.

ذلك الشيء بعد أمره له بقوله «كن،» أي «أُوجد.» وقال الشيخ الأكبر رضي الله عنه من أبياته:

فَأبدَتْ ثَنايَاها وَأومَضَ بارقٌ فَلَم أدرِ مَن شَقّ الحَنادسَ مِنهُما[300]

أي كشفت الحقيقة عن أسمائه الحسنى، و«أومضَ بارقٌ،» أي لمع نور وجود ذاتي من وراء تلك الأسماء. ولكنه قال: «فَلَم أدرِ من شَقّ الحَنادسَ،» أي ظلمات التعيّنات الكونيّة، «مِنهُما.» أي من تلك الثنايا أو من البارق؟ والمأمول بيان هذا التردد من | الشيخ رضي الله عنه في الأمر الواحد المتعيّن، والتكلم على ذلك والسلام. ١٧٩/ب

٣٠٠ ابن عربي، *ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق*، تحقيق عبد الرحمن الكردي (القاهرة: بدون ناشر، ١٩٦٨)، ٢٧.
See the Arabic text in Ibn ʿArabī, *The Tarjuman Al-Ashwaq*, translated by R. A. Nicholson (London: Theosophical Publishing House, 1978 rep.), 17.

[٠٦٢ أواخر صفر ١١٠٩هـ، جواب الشيخ أحمد الكسبي]

وقد أرسل لنا الشيخ أحمد الكسبي من حلب المحروسة جواباً عن المكتوب الذي أرسلناه إليه، وسألناه فيه عن بيت من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي رضي الله عنه، في ثلاث مكاتيب، وذلك في أواخر صفر الخير، سنة تسع ومائة وألف، أما المكتوب الأول فهو قوله :

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، وهو العليم الخبير. السلام من السلام، حاصل للكل على الدوام، ويختص وصف منه لبعضٍ خَصّه الملك العلام. سلام الله وتحيته، بالاسم والوصف ذاته ومعيته، يتصل بالأحباب اتصالاً، بدور فصل متقدم ونتيجته السلامة، وثمرته الكرامة. وقد حصلا، وتحصيل الحاصل، عبث لعدم الطائل. وإذا أنا أثني، فالثناء لا يتجاوز نفسي،| لأنه وصفي، يتعيّن مني، فهو ينجلي مني عليّ. وبعد ذلك كله فنحن نحمد إليك الله الذي عمّنا بنواله، ورفعنا بإنزاله، وجعلنا نتيجة أفعاله. ١٨٠ب

فالتعيّنات الكونيّة، وإن قامت بالمعيِّن لها أزلاً وأبداً، وهو الوجود المطلق، فهي ما شمت رائحة من الوجود، وهو معلوم. فإذاً قيامها وهمي اعتباري. والتعيُّن بالنظر إليها كذلك، وبالنظر إليه وجودي، لأنه| جزء من المعيَّن ١٨٣أ

الموجود. و«الموجود»[٣٠١] عند المحققين هو «ما حقيقته الوجود.» ومن[٣٠٢] تحقيقاتهم أن الحقائق كلها، إذا اعتبرت ذواتًا مستقلةً مباينةً لذات العلة، كما هي في مدارك المحجوبين، فهي ممتنعة وجودًا وظهورًا. أما الأول فلأن غير الحق الواجب بذاته لا يمكن أن يكون موجودًا. وأما الثاني فلأن الظهور إنما ينشأ من ارتباطها بالموجود الحق، وهي بهذا الاعتبار أخذت مغايرة له ذَاتًا، فلا يُتصور ارتباطها به. فالأعيان الثابتة، أعني الحقائق بذواتها التي يعتبرها الوهم، ليست بموجودة أصلاً، لا حقيقة، لاستحالته، ولا بمعنى ارتباطها بالوجود، لأنها من تلك الحيثية لا ارتباط لها بالوجود أصلاً. بل إنما «ينصبغ» الحق به، بمعنى أن رسمه يظهر فيه فيصير الوصف المجرد عن الذات موجودًا، بمعنى أن غيره لا يصير موجودًا بمعنى الاتصاف، فإن الوجود ليس وصفًا قائمًا بغيره، بل ذاتا حقًا. نعم، يصير غيره موجودًا بمعنى تعلقه بالوجود وظهوره به. ١٨٠/ب

هذا، ثم إذا قلنا: «أنها ظهرت من تعيّنها الثبوتي،» والثبوت عندهم أخص من الوجود، «إلى تحقق تعيّنها الوجودي،» إن أردنا بـ«الظهور،» «ضد الخفاء،» لم يصح الكلام بالنسبة إليه، لأنها لم تظهر، ولا تظهر أبدًا، قطعًا أوجبه الإجماع

---

٣٠١ والوجود، في أ و ب. ٣٠٢ من، في أ و ب.

والمعرفة. وإن أردنا بـ«الظهور،» «التبيين،» الذي هو إخراج الشيء من حيز الإشكال إلى حيز التجلي، أي «الاتضاح،»| فإن المراد بـ«التجلي،» «الانكشاف التام،» وهو لا يوجب الخفاء بالنسبة إليه، وإن استلزمه. لأن «التبيين» كما قالوا عبارة عن «التفريق بين أمرين متصلين،» فإذا حصل في القلب اشتباه صورة بصورة، ثم انفصلت إحداهما عن الأخرى، فقد حصلت البينونة. لهذا السبب سمي ذلك «بيانًا» و«تبيانًا.» وقد عرّف الأستاذ أبو إسحق الإسفرائيني «العلم» بأنه «استبانة الحقائق،» أو قال هو «التبيين.» ولا يضرنا كونه لا يطرد في علم الله لما يلزم منه. فإن المناقشة في كل شيء، أي مسألة، لا تحسم| مادتها. والعارف الدرّاك يأخذ من دلالة الألفاظ ما يشبه الوحي من[303] الملك. فإن العارف تكفيه الإشارة، وعني بالتلويح بفهم ذائق. وقد قال خاتم الولاية في تحقيق ما نحن فيه:

١٨١ ب

٨٣/أ

فَمَن ثَمَّه وما ثَمّه — وَعَينُ ثَمّه هو ثَمّه[304]

فما عَين سِوى عَين — فَنورُ عَينِهِ ظُلمه

---

٣٠٣ من، ساقطة في أ و ب. ٣٠٤ وعين ثم هو ثمه، في أ و ب و ت. ورد البيت بصور مختلفة في عدة مصادر، كما ورد لاحقًا في نفس الرسالة بالصورة المعتمدة هنا والمطابقة لنص بالي زادة في *شرح فصوص الحكم* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢)، ١٦٦. ورد في نص *الفصوص* المطبوع كما يلي: «فَمِن ثَمّ

ولا يخفى أنه| إنكار لوقوع الماهيات مطلقاً، وإثبات للاتحاد من الأعيان. وإنما ١٨١/ب
سميت «عيناً» لتخلل ظلمة العدم نور الوجود. فارتسمت صور الماهيات في الخيال،
لهذا كانت الماهيات أموراً اعتبارية. وكلما قلّ الاعتبار، قلّ الإشكال. وقد قال
المحقق الدواني: «الوجود عين الواجب.» وهو أمر متشخص بذاته، أعني أنه شخص
لا نوع له، حتى أنه لو تعقل كما هو هو لم يقبل الشركة أصلاً. ثم أن الماهيات الممكنة
لها نحو من التحقق، مستفاد من تلك الحقيقة، تابع لها، وهو أمر اعتباري. فإذاً حقيقة
الواجب هي الوجود البحت، المتجرد عن جميع الخصوصيات الخارجة عن حقيقة
ذاته، التي هي الوجود، وهو شخص بذاته. وكما أن وجوده وتشخصه عين ذاته، فكذا
سائر صفاته. ومصداق الحمل في جميع صفاته، هويته البسيطة، الممتازة بذاتها
عما عداها. فإذا قلت أنه «موجود،» فمعناه أنه منشأ| للآثار الخارجية، وهو بعينه ١٨٢ب
وجود، من حيث أنه مبدأ لذلك الإنشاء. وإذا قلت «عالم،» فمعناه أنه ينكشف
عليه الأشياء. وإذا قلت «علم،» فمعناه أنه مبدأ ذلك الانكشاف. واعتبر كذلك

وما ثَمّه وَعَيْن ثَمّ هُوَ ثَمّه.» انظر ابن عربي، *فصوص الحكم*، فص حكمة قلبية في كلمة شعيبية (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٠)، ١:١٢٢. كما ورد في شرح النابلسي على الفصوص بنصين مختلفين دون توضيح من المحقق، أنظر *جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨)، ٢:١٧.

سائر الصفات والأسماء، فليس هناك إلا ذات واحدة بسيطة من جميع الوجوه، تسمى بأسماء مختلفة بحسب اعتبارات شتى وإضافات متعددة. ثم قال: «وأما على ذوق أهل الإشراق،» يعني الذي قال فيهم خاتم الولاية:

هَنيئًا لأهْلِ الشّرقِ في حَضرَةِ القُدسِ　　بشَمسٍ جَلتْ أَنوارُها ظُلمةَ الرّمسِ[٣٠٥]

أراد به «الأبدان،» لقوله:

إذا جَهلتْ أرواحَنا عِلمَ ذاتِها　　فَذلكَ موتٌ والجُسومُ قُبورُ[٣٠٦]

٨٤أ　وقوله: «طوي بساط الظلام من| بيوت الأجسام.» فحقيقة النور أمر وحداني لا تعدد فيه، إلا باعتبار الشدة والضعف، والكمال والنقص. وغاية كماله هو المرتبة الواجبة. لأن النور أشرف من غيره بديهة. فلا| بد من انتهاء ١٨٢/ب غيره إليه، بحسب العِليّة، وعدم افتقاره إلى غيره. أقول ومؤيداته من القرآن والسنة معلومة، مثل قوله تعالى: ﴿هو الذي ينزّل على عبده آيات بيّنات

٣٠٥ ورد في ابن عربي، *ديوان ابن عربي* (بيروت: دار صادر، ١٩٩٩)، ٢٤٨. ٣٠٦ قيود، في أ و ب. انظر ابن عربي، *الفتوحات المكية*، ٢:٦٠٧.

ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾[الحديد، ٩] وقد تبين لك أن البيان بالقول، كـ«الآيات البيّنات،» يوجب وجود الفعل، وهو «ليخرجكم.» فإن الإخراج معلل بالبيان. فحيث صح وجود البيان، وقع الخروج. فالعبرة بالبيان: ﴿الرحمن. علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان﴾[الرحمن، ١-٤] ليخرج به من ظلمات الأكوان. فالعلم الذي به البيان، شمس. من استدبره، مشى تابعاً لظله، وهو جسمه، وعنده تكثر الإشكالات.

فيقال: «جهة ظهور الحقائق، من أي اعتبار هو؟ هل هو من جهة أنفسها القائمة بالمعيِّن لها، على معنى أن المعيِّن لها توجه بها عليها فأظهرها؟ واسم المعيّن لها في الأزل والأبد: «علم.» كما قال ﴿أنزله بعلمه﴾ أي ‹القرآن›، بمعنى ‹المقروء›.» قلنا لا شك أن التوجه بها ممتنع، وكذا قيامها بذواتها محال. والمراد بالجهة المذكورة، الجهة العقلية الاعتبارية. فكيفية نسبة[٣٠٧] المحمول إلى الموضوع، باعتبار تحققها في العقل، تسمى «جهة.» ونحن لا نريد هذه الجهة، فيكون المراد الحيثية. قد يراد به الإطلاق، وقد يراد به[٣٠٨] التقييد، وقد يراد به التقليل. وهذا هو المراد بقولنا: «ونحن نسأل عن جهة ظهورها، من أي اعتبار هو؟» يعني علة ظهورها، أو علة جهته، هل هي اعتبار المعيِّن لها، أو اعتبارنا ذواتها في أنفسنا؟ قلنا علته وجود الأسماء،| والأسماء أمور اعتبارية، لا وجود ١٨٣ب

٣٠٧ نسبة، ساقطة في أ و ب. ٣٠٨ به، ساقطة في أ و ب.

لها. ويكون العدم علتها. وقد صرح بكون العدم علة جمع محققون منهم الصدر القونوي والفرغاني في *منتهى المدارك*. يقول: «انظر أثر المعدوم في الموجود ترى العجب العجاب، وتحارا العقول السليمة والألباب. فإن المراتب لها الحكم في أهلها بالاستتباع، والظرف يحكم في المظروف[٣٠٩] بأن يتبعه في التدوير والتربيع.»[٣١٠] ٨٤/أ

وقال الشيخ عبد الرحمن الجامي:[٣١١] «نسبة التأثير إلى الوجود ممتنعة، لأن الشيء لا يؤثر في نفسه. فالأمر دائر بين وجود ومرتبة. ويستحيل نسبة التأثير إلى الوجود، فيكون للمرتبة.» ولا عبرة بقول شارح العين: «بديهة العقل لا تُجوّز كون العدم مؤثرًا في الوجود.» وكذا قول الشيرازي[٣١٢] في شرح الإشراق: «العدم لا يؤثر في الوجود، وإن كان جزء العلة التامة. كارتفاع الموانع، فإنه جزء العلة التامة.» فهذا وقوف مع أول النظر من غير تعمق وبحث.| ١٨٣/ب

---

٣٠٩ المظروب، في أ. ٣١٠ انظر سعد الدين الفرغاني، *منتهى المدارك في شرح تائية ابن الفارض* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧). ٣١١ سبقت الإشارة إلى جامي، انظر رسالة رقم ٤. ٣١٢ صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي، الملقب بملاّ صدرا (٩٨٠–٩٧٩–١٠٥٠هـ / ١٥٧١–١٥٧٢–١٦٤٠م)، من أبرز فلاسفة الشيعة في زمن الصفويين. بدأ دراسته في مدينته شيراز قبل أن ينتقل إلى أصفهان ليكمل تعليمه على أيدي ثلاثة من أبرز العلماء والفلاسفة المسلمين وقتها: مير داماد، والشيخ بهاء الدين العاملي، ومير أبو القاسم. في كتاباته الأولى عالج الشيرازي في رسالة «طرح الكونين» فكرة وحدة الوجود، مما جلب عليه انتقادات معاصريه وأدى إلى اعتزاله في مدينة قم لعدة سنوات، عاد بعدها للتدريس في مدينة شيراز. أشهر أعماله كتاب ضخم بعنوان *الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة* (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢).

وتوضيحه بما قال الجلال الدواني:[٣١٣] «نور الواجب تعالى لشدة ظهوره محتجب. فإن الشيء إذا جاوز حده انعكس ضده. ويفيض منه إلى فضاء العدم الصرف ضرباً للمثل أنوار متفاوتة في الشدة والضعف، بحسب القرب منه والبعد. كما يفيض من النور المحسوس إلى الهيولى القابل أنوار متفاوتة في الكمال والنقصان، إلى أن ينتهي إلى ما يلي الظلمة، فيكون في غاية النقص. والأجسام أيضاً صادرة عن الأنوار بمنزلة الظلال لها، بل هي في أنفسها من مراتب نقصان النور.»

أقول فهذا تصريح منه بأن الأجسام أنوار في الأصل، غلب عليها حكم النزول فكانت كما ترى. لهذا لم يتحقق أمر الحقائق أحد من العلماء والحكماء والأولياء، حتى قال صلى الله عليه وسلم: «اللّٰهم أرنا الأشياء كما هي.»[٣١٤] وقال خاتم الولاية: «ولست أدرك من شيء حقيقته.» وقال بعض أكابر

---

٣١٣ محمد بن أسعد جلال الدين الدواني (٨٣٠–٩٠٨هـ / ١٤٧٢–٣–١٥٠٢م)، مفكر وفيلسوف بارز، ولد في دوان في مقاطعة كازرون حيث كان والده يعمل قاضيًا. درس على يد والده قبل سفره لشيراز لمتابعة دراسته على يد مشاهير العلماء هناك ومنهم مولانا محيي الدين غوشا الكاري وصفي الدين الإيجي. له العديد من الشروحات العربية على أمهات كتب الفلسفة والتصوف مثل شرحه على «تهذيب المنطق والكلام» للتفتازاني وشرحه على *هياكل النور* للسهروردي، الذي سماه *شواكل الحور في شرح هياكل النور* (جبيل: مكتبة بيبليون، بدون تاريخ). من أشهر أعماله *لوامع الإشراق في مكارم الأخلاق* (أخلاق جلالي) بالفارسية. ٣١٤ لم يرد في *تاج الأصول*، ولا في *الجامع الصغير*.

١٨٤/ب المتكلمين:| «والله ما أفرق حتى الآن،» يريد وقت احتضاره، «بين حقيقتي البياض والسواد.» فما هذا وأمثاله إلا لكون النظر لم يقع على ذات الشيء حقيقة، وإنما وقوعه بوجه المجاز. فكان الوجود يستر الأشياء بذاته، لكونه محيطاً بكل شيء، ثم لكونه نوراً محضاً،| يصير مرآة للشيء الثبوتي العلمي، على ما ١٨٥أ يقال. فيتبين الشيء في مرآة الوجود. فإذا أريد الكشف عن حقيقته، وفحص عنه، اختفى في ظلمته العدمية، فلم يتعلق به نظر العقل عند إرادة التحقق له، لأنه «كان الله ولا شيء معه.»[٣١٥] وحينئذ غرق نظر العقل في هوية الوجود المحض البحت، فلم يتميز الناظر والنظر عن المنظور. فصح حينئذ معنى قوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾[الأنعام، ١٠٣] يعني مجرداً بذاته عن الصفة العلمية، التي تحوي صور الأشياء، وتسمى «نفس الأمر» و«الخارج.» فبان لك، ولنا، ولهم،| ١٨٤/ب ولهنّ، ولكل متميّز بأوصافه عنّا، أن التفصيل ينتهي إلى الشرك المحض وثبوت الإثنينية. والأمر كما قال: ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾[القمر، ٥٠] وإذا كان أمره، وهو ذاته، هذا شأنها، فكيف يتم الكلام عليها. لهذا أحالوا ذلك على الذوق، والله أعلم.

---

٣١٥ «كان الله ولا شيء غيره،» الحاكم، *المستدرك على الصحيحين*، كتاب التفسير، الراوي بريده بن الحصيب، ٢:٣٧١. أخرجه الحاكم.

وأما المكتوب الثاني فهو قوله:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، وهو السميع العليم. السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، سلام من الرحمن الرحيم على عباده الذين اصطفى. الحمد لله الذي أحلنا دار المقامة من فضله، وجعل اعتدالنا ميزان عدله، ميّز برشاش نوره كوبله، من اختار لأهله، بالعلم اللدني، الذي به إليه نشير ونكني، وإياه بنا نعني. علّم الإنسان ما لم يكن يعلم، في ظلمة ليل جسمه، الذي به آمن فاستسلم. أقامه عَلَمًا مصنوعًا| بنص: ﴿واصطنعتك لنفسي﴾[طه، ٤١] ورفعه سُلّمًا موضوعًا بإشارة: ﴿ووضع الميزان﴾[الرحمن، ٧] لنوره الشمس. جعل الأرواح ذاتًا واحدة تنقسم بأشباح العالم الحسي، قيد مطلق الوصف الجنسي، بخصوص صورة فصل تميّز عن مبهم سرقدسي. فالهيولى تشير إلى إبهام جنسه، والصورة تفصح عن باطن غيبه، الذي تقيّد بفصل حسه. فالترب والرب قسم لذي حجر، والشرب| والقرب نسبتان لذي عقل وفكر. عيّن الأعيان بالأسماء، وأقامها المعيِّن بما شاء لتدل على المسمى. فالأزل والأبد نسبتان، والإطلاق والتقييد نعتان، والحقيقة الجامعة هي الإنسان. فهو الوجود المطلق، والمطلوب الحاصل المحقق. والمدار الذي به دار كل موفّق.

١٨٥ب

٨٥/أ

١٨٥/ب نقطة غرض القصد، وشكلة عرض الوعد، ودلالة طلب السعد، وسماء البرق والرعد. عيّن الأعيان بوهمه، وأمد ظلال الوجود بعلمه. نشهد أنه الله الذي لا إله سواه بزعمه. أوجد الاعتبارات لهذه العبارات، فجهة الظهور، هي ذات النور، إذ النور هو الظهور. وزيادته أعيان الأغيار، بالفيض المدرار، الذي جعل الخلق شعل أنوار كالشرار، فإن الأمر وجوده كدائرة نار، نسبة جهة ظهور أنفسها أنت، وقيامها بالمعيّن ما توهّمت. كما قال العارف:

قَرَأْتُ المَعاني واجْتَليتُ رُموزَها وطَالعْتُ سِرَّ السِّرِ مِن سِرِّ وَحدَتي

وخَيّلتُ في التَخَيـيلِ والوَجْدِ والعَنا أناساً لهُم قَيَّدُ بِطينِ الطبيعةِ

وَجالَ خَيالي[٣١٦] في مَجالي خَيالِهِ خَيالي بِهم قَد بتّ واختَرتَ فِرقَتي

يعني جمعه بالعين، الفارقة بين الصدق والمين، والجهة والأين. إذ الجهة العقلية ١٨٦ب لا تعيّن المطلوب، والجهة الحسية لا تفي بصورة المحبوب. والوجود المطلق مصدر الآثار، ومنبع الأنوار، ولا تدركه العقول فضلاً عن الأبصار. فليس

٣١٦ مجالي، في أوت.

إلا مقيّد يحل إلى المطلق، وخاص في عام، كصورة في هيولى أمدها لا يتحقق. كون الصورة ظاهرة فيه رسم علم يثبت ليدرك: ﴿أنزله بعلمه﴾ أي «القرآن،» الذي يراد به «المقروء.» وهو كلام الله، وعيسى كلمته ألقاها إلى مريم، فهو القرآن لفظاً ومعنى، طرحاً وجمعاً. قال خاتم الولاية: «أنا القرآن والسبع المثاني،»[٣١٧] وهي «الفاتحة،» أعني «الإنسان،» ففتح به الوجود، فهو الإقليد، لو أن بصر، بصيرته حديد. تعينت بنفسها في عرصة وجوده، فقيل لذلك عجبي من قائل: «كن لعدم،» فسمع وامتثل الأمر، فخرج من ظلمة عدمه مؤثراً في وجود من أوجده بأمره، قائماً في ليل جهالته، ذاهلاً عن أشعة حالته. حتى دُل به| عليه، فرجع إليه،| فدار كالبركار يعود إلى ما منه بدا، أبداً سرمدا. ٨٦أ - ١٨٦/ب
فهو نَشر وطيّ، وظهور وبطون. ثم لمّا تسمى في الأزل والأبد باسم «العلم،» وكانت صورته صفة منفصلة بالوهم، كما قال العارف:

إذا صَحّتْ عَزايمُنا اتّحَدنا ... وبِنّا بالصِّفاتِ المُحدَثاتِ
عَنِ الذاتِ المنزّهَةِ التي لَم ... تُدنّسها العُيونُ بالالتِفاتِ[٣١٨]

---

٣١٧ انظر ابن عربي، *الفتوحات*، ١:٤٣. ٣١٨ ورد باختلاف طفيف في ابن عربي، *تنزل الأملاك من عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠)، ٧٠. يعرف هذا العمل أيضاً *بالتنزلات الموصلية*.

جعل الاسم المسمى، صريحًا ومعمى، حقيقة و رسما، فقال: ﴿أنزله بعلمه﴾ الضمير للقرآن وللمقروء. وقد اصطلح أرباب المعاني، على ملاحظة معان[٣١٩] تتبع المعاني الأول، تطابقها مطابقة، أو تلزمها التزامًا. وعليه فالمنزل بالعلم، المعلوم. والباء للملابسة، أو للمصاحبة، أو للسببية. فعلمه، لمّا كانت صفة ذاتية لا تنفك، جاز أن نعتبرها منفكة وهمًا وتخييلًا بأنها غيره، نازلة عنه. كما قال: «وبِنّا بالصِّفاتِ المُحدَثاتِ،» يريد الممكنات. إذ التحقيق أن الصفات ممكنه، والذات كالمبدأ لها، والإمكان أمر اعتباري لا رتبة له في نفسه كالوجوب. فيكون العلم نازلًا | ١٨٧ ب بنفسه إلى المرتبة الإمكانية، متنوعًا مع معلوماته في الحضرة العقلية، التي هي مرآة الحسية، ظاهرًا في كثرة التعيّنات في خارج الحس، يسمى بـ«نفس الأمر.» ومعنى «نفس الأمر،» كما قاله مير حسن[٣٢٠] في «شرح هداية الحكمة:» «أن الشيء موجود في نفسه، فالأمر هو الشيء.» انتهى. وقال القيصري[٣٢١] في شرح *الفصوص*: «فنفس الأمر عبارة عن العلم الذاتي الحاوي لصور الأشياء

---

٣١٩ معان، ساقطة في أ و ب. ٣٢٠ لعله مير حسين بن معين الدين الميبودي (ت ٩٠٩هـ / ١٥٠٣-٤م)، قاض وفيلسوف فارسي مشهور، من تلامذة جلال الدين الدواني، كتب في الفلسفة والمنطق. من أشهر أعماله «شرح هداية الحكمة،» انظر قائمة المخطوطات. ٣٢١ القصيري، في أ. هو داود بن محمود القيصري (ت حوالي ٧٥١هـ / ١٣٥٠م)، صوفي مشهور من أتباع مدرسة ابن عربي ومن تلامذة عبد الرزاق القاشاني. من أشهر أعماله شرحه على *فصوص الحكم* لابن عربي وشرحه على *تائية ابن الفارض الكبرى* المسماة بالخمرية.

كلها، الكلية والجزئية، والصغير والكبير، جميعًا، لا يغرب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.» وقال قطب المحققين، الشيرازي: «نفس الأمر هو الخارج.» فهذا قد بان لنا أن العلم اتحد بالمعلومات الاعتبارية، وظهر بها في المراتب الكونية بصورة «الأمر،» وهو «الشّيء.»

فَاشهَدْهُ إِن كُنتَ ذا عَقلٍ وَمَعرِفةٍ ... في كلِّ شيءٍ وإنّ الشّيءَ يَفقِدُهُ[322]

فكونك إذا بحثت عن الحقيقة من حيث الشيء، افتقدتها، وعن الشيء | من حيث نفسه، افتقدته. فلم تحصل على طائل، وأنت | دائمًا حيران سائل. وهو «شَقّ الحَنادِسِ،» التي أظهرتها صورة المعلومات بالتعينّات الاعتبارية. فلم تدر من حيث الوجود البسيط، أم من حيث المركب وعالم التخطيط. ١٨٧/ب ٨٦/أ

"فأَبْدَت ثناياها وأومَضَ بارقٌ،» كناية عن الروح الإنسانية، التي هي كما قال: «لمعت نارهم.» اعتبارًا للركن الأشرف، الناري، الذي تجلى به لموسى عليه السلام، لكون باله في حاجته، لمجموع غير متفرق الخاطر، ولا متوزع البال، قائمًا بهمته يطلب نارًا غير موجودة لعينه، فأوجدتها همته. فأوجدته أمرًا مهمًا غير مقصود له بالقصد الثاني، لأنه بالقصد الأول لا يفتر

٣٢٢ ابن عربي، *الفتوحات المكية*، ٢:٤٧٤.

عن طلب ربه، لأنه نبي من الأنبياء. وهو الإخبار مومى إليه أنه لا إله إلا هو. فشغله باله بهو، ثم كلفه بضده، أعني المطلوب الأول من الأمور الكونيّة، ليريه من آياته عجباً،| قرآنا جمعاً، بذاته يدله، يهديه إلى الرشد. «جمع الله عليّ ذاتي، وقدس باطلاعي على صفاتي.» فهذا دعاء مأثور، عن خاتم الولاية والجمهور. فالصفة العلمية الجبرائيلية قائمة بالصور الكونية، قياماً مخصوصاً بها دون الصور. تُضِلّ من تشاء، بمعنى تخفي منها فيها ما تشاء، وتَهدي من تشاء، بمعنى توصل إليها. إذ «الهداية» هي «الدلالة» الموصلة إلى المطلوب على رأي قوم. ولولا أن هدانا الله إلى ذاته، لا نتشرت منا مكنونات صفاته، وقابلناها بآياته. فَهُدنا إليه،[323] وتوكلنا عليه، وهو سبحانه شغلنا بالاسم عن المسمى، إيهامًا ووهمًا. فالاسم أظهر التعينّات، والوصف العلي أنزلها إلى درجة المحسوسات. والأمر الذاتي استتر بالشيء الذي قيل له «كن»: كاف الصفة جاءته، ونون الموصوف قامت به. وكان الأمر نازلاً بين السماء والأرض،| كاف ونون. لمَعَ بينهما وميض بارق، هو الوجود المشهود، من خلف سحب توهمات الأسماء، فإنها عين المسمى. والاسم هو عين الذات اللامعة البارقة الشارقة منه، أي من نفسه وحقيقته. فنفّرت الضياءات تلك الظلمات| الحندسية بأنوارها القدسية.

١٨٨ب — ١٨٨/ب — ١٨٧أ

---

٣٢٣ أي «تُبْنا إليه،» كما في الآية: ﴿إنّا هُدْنا إليك﴾ [الأعراف، ١٥٦].

وأما صورة المكتوب الثالث، فهو قوله:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد الهادي بذاته لذاته طلبة الحق أجمعين، أما بعد: فهذه تحريرات عِرفانية، وتقريرات لاعتبارات علمية، وتلويحات قرآنية. أما التعيّنات الكونية، القائمة بالمعيّن لها[٣٢٤] أزلًا وأبدًا، فلا شك أنها أمور اعتبارية من حيث ذواتها، ونسبة القيام إليها مجاز، لأنه هو القيوم القائم بذاته، أو الدائم القيام بتدبير الخلق. فالقيوم القائم، الحافظ لكل شيء، والمعطي له، ما به قوام. وهو قوله تعالى: ﴿أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾[طه، ٥٠] وقوله: ﴿أفمن هو قائم على نفس بما كسبت﴾[الرعد، ٣٣] قاله الراغب. ف «القيام،» بمعنى «الدوام،» والحفظ يستلزمه. قال الجلال الدواني: «المراد بإعطاء ما به القوام، الوجود، ومنه التقوم المتداول بينهم.» فقد ظهر له معنى ثالث. ثم إذا فسر بالقائم بذاته، المقوم لغيره، فالقيام بالذات هو وجوب الوجود، المستلزم لاستجماع جميع الكمالات، والتبري عن سائر وجوه النقص. والتقويم للغير يتضمن جميع الصفات الفعلية، فمن ثمة قيل أنه الاسم الأعظم. وقال الغزالي: «أخص

١٨٩ب

---

٣٢٤ لها، ساقطة، في أ و ب.

وصف لله أنه قيّوم،» أي قائم بذاته، وموجود بذاته، وما سواه قائم به وموجود به. ليس للأشياء من ذاتها إلا العدم. فالوجود لله حقيقة، وهي الحقيقة القيّوميّة.

وقال الدواني أيضاً: «المعلول ليس مبايناً لذات العلة، ولا هو لذاته، بل هو بذاته لذات العلة، شأن من| شؤونه، وجه من وجوهه، حيثية من حيثياته، إلى غير ذلك من الاعتبارات.» فالمعلول إذاً ليس إلا اعتبارياً محضاً، كالثوب في القطن، والسواد في الجسم، إن اعتبر أنه هيئة الجسم، كان موجوداً، وإن اعتبر أنه ذات مستقلة كان معدوماً. والثوب، إن اعتبر أنه صورة في القطن، كان موجوداً، وإن اعتبر مبايناً له ذاتاً على حياله كان ممتنعاً من تلك الحيثية. وبهذا يُعرف معنى| قول من قال: «الأعيان الثابتة ما شمت رائحة الوجود،» وأنها لم تظهر ولا تظهر أبداً، وإنما يظهر رسمها. قال عبد الرحمن الجامي: «الوجود من حيث ظاهره وباطنه طلسة واحدة، وأمر واحد مصمت لا تعدد فيه. وإنما الفواصل[٣٢٥] التي هي معان مجردة أوهمت التعدد. فهي المحدثة للتميز المشهود اعتباراً، لا في الحقيقة.» ويرد عليه قول خاتم الولاية: «عجباً للظاهر ينقسم، ولباطنه| لا ينقسم.» ويجاب بأنه بناء على المعروف للناس، إذ الخطاب لا يتعداهم. وقد قال من حيث كمال علمه بذاته:

١٨٩/ب

٨٧/أ

١٩٠ب

٣٢٥ الواصل، في أ.

فَمَن ثَمَّه وما ثَمّه وَعَيْن ثَمّه هو[٣٢٦] ثَمّه
فما عَين سِوى عَين فَنورُ عَينِهِ ظُلمَه

فقد أنكر وقوع الماهيات، وهي الأعيان الثابتة، بناء على أن كل تعيّن لخصوص عين التعّين الآخر، إذا رُفِعَ من النظر خصوصية[٣٢٧] الاعتبار الوهمي. فإن الهيئات هي المخصصات، إذا رُفعت لم يتعيّن من الأمر البسيط المطلق شيء، فيكون باقيًا على أصله. إذ التعينّات اعتبارات في الشيء الواحد الذات، لا أنها ذوات فيه كما يتخيله الوهم، بل رسوم أكسبها الشيء، الذي هو كالمرآة لها، وجودًا ضعيفًا ناقصًا بالنسبة إلى وجوده القوي الكامل. كالنور المحسوس مثلاً، يفيض منه أنوار متفاوتة في الكمال والنقصان إلى الهواء القابل، إلى أن ينتهي إلى ما يلي الظلمة، فيكون في غاية النقص والضعف.| فهذا القدر المتوهم منه فيها، وشدة كماله عند الصنوبرة القائمة نحو الفتيلة. فالعاقل لا يصرف نظر عقله عنه، إلى ما منه، لما يلزم من التفريق والشتات. فما هلك إلا من رأى غيره. لهذا قال خاتم الواية:

١٩٠ب

٣٢٦ هو، ساقطة في أوب. ٣٢٧ خصوصة، في أوت.

فَإن دَعاكَ إلى غَيرٍ تُسَرّ بِهِ فَلا تُجِبْهُ وكُنْ مِنْهُ عَلى وَجَلِ
إنّا إناثٌ لِما فِينا يُولدهُ فَلْنَحمد الله ما في الكونِ مِن رَجُلِ[٣٢٨]

يشير إلى قوله تعالى: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً﴾ [الزخرف، ١٩] وهم أكمل العارفين، كما قال:

١٨٨أ إنّ الإناثَ الذينَ العُرفُ عَيْنُهُمُ هيَ الإناثُ فَهُم نَفسي وَهُم أَمَلي|[٣٢٩]

إشارة من وراء الستارة، حواء من آدم. فما حن ولا اشتاق إلا لنفسه، لأنها بعضه.

فالأعيان مراتب تعيّنات الوجود، الذي هو عين الواجب المنبسط على هياكل الموجودات، فتميّز بعضها عن بعض في الوهم، فالتعيّن باعتبار عدمي. لهذا| ١٩١ب قيل أن الأعيان ساكنة بالطبع، متحركة بقوة النفس. والسكون أمر عدمي، فهي هو، وباعتبار وجودي، لأنه جزء المعيّن الموجود. والموجود عند المحققين هو ما حقيقته[٣٣٠] الوجود. فالبحث عن التعيّنات يرجع إلى البحث في الوجود، والوجود

---

٣٢٨ قارن ابن عربي، *الفتوحات المكية*، ٤:٤٤٢. ٣٢٩ قارن المصدر السابق، ٤:٤٤٢.

واحد لا يبحث فيه، إذ لا غير. وباعتبار أن التعيّن عدمي، فالعدم لا كلام فيه. ثم إذا تجوّزنا، فالتعيّنات معان فاصلة في الذهن، خرجت بغيرها إلى الوجود. فالنظر منا لا يتعلق إلا بالوجود البسيط الساتر لذواتها الاعتبارية. والوهم منا لا يدرك إلا صور تلك المعاني التي هي فواصل وحدود ورسوم. فإذا قوي نظر العقل، سطعت أنوار الحق، فلم تر غيراً ولا سوى. ولما قوي هذا النظر من أكابر العارفين كثرت الإشارة منهم إلى الجمع، بأن تجمع الكل في واحد. قال أبو الحسن الشاذلي قدس سره: «الذوات في الذات، والأوصاف في الأوصاف، لتحقيق نعت ﴿هو الأولُ والآخرُ والظاهرُ والباطنُ﴾ [الحديد، ٣]» وقد اتخذ هذه الآية دليلاً ألوف من الفحول. قال خاتم الولاية: ١٩١/ب

فَاشهَدْهُ إن كُنتَ ذا عَقلٍ وَمَعرِفةٍ ... في كلِّ شيءٍ وإنّ الشّيَ يَفقِدُهُ

ولهذا قال عقيب قوله «والباطن،» ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ [الحديد، ٣] فالشيء تعيّنه بالنسبة العلمية، علم. والعلم صفة الله الذاتية التي لا تنفك عن ذاته. والشيء إذا اعتبر ذاته موجودة، فالصفة العلمية كان، فيكون معه بذاته، التي

---

٣٣٠ ما حقيقة، في أ و ب.

هي العلم، الذي هو صورة الشيء. ولهذا جهلت حقائق الأشياء. كما قال:

وَلسْتُ أُدرِكُ مِن شَيءٍ حَقيقَتهُ وكَيْفَ أُدْرِكُهُ وَأَنْتُم فِيهِ[٣٣١]

٨٨/أ فالشيء مستور به، ظاهر به. إذا نظرته من حيث علمه، كان موجودًا في العلم، بالعلم ظاهرًا، بهذه الصفة المتوسطة بين الشيء والوجود، وهي الصفة العلمية الملكية القائمة حجابًا، وبابًا، وسرابًا:

١٩٢ب إِذا صَحّت عَزايمنا اتّحَدْنا وبِنّا بالصِّفاتِ المُحدَثاتِ

عَنِ الذّاتِ المُنَزّهةِ التي لَمْ تُدَنّسُها العُيونُ بالالتِفاتِ

وصحة العزائم، رفع النظر إليه، باتحاد النظر بالمنظور. فتتصل بارتقاع العزائم الأنوار بعضها ببعض، إلى نور الأنوار، وعنده تمحى الآثار، وتفنى جميع الأغيار. فإذا نزلنا عنه به في درجات المعرفة إلى مراتب الأكوان، بنّا عن تلك الحقيقة النورية، بما كنا في المرتبة الكونيّة، وعندها الظلمة. فشق نور ذواتنا حنادس ظلام الكون لظهور هذه العين. فأبدت ثناياها العين في هذه الظلمة،

---

٣٣١ ابن عربي، *ديوان ابن عربي*، ٥٢١. «فلست...» في الديوان.

كأسنان الزنجي، بياض في سواد. فتثنى الموجود في الشهود، واتصف الواحد الأحد بالعدد، صارفاً ذلك إلى أسمائه ونسبها وإضافاتها. فظهرت الأحكام النسبية، وقامت الاعتبارات العلمية، مع الذوات الوهمية، إلى أن ينتهي نظر الناظر بالعلم إلى الله، فيرى كل شيء هالكاً إلا وجهه، أي ذاته وحقيقته، وحده لا شريك له.| وتكون جهة ظهور التعيّنات، الصفة العلمية، لأنه نور كاشف. فلولاه لم تكن ظاهرة لعين، والصفة لا تفارق الموصوف، فيكون هو جهة ظهورها. وهو لا يتقيد بصفة، لأنه مطلق بسيط، نور صرف، وجود بحت. فيكون جهة ظهورها أنفسها المنسوبة للعدم. فالعدم جهة ظهورها، لأنه ظهور مجازي لا حقيقي، فإنها ذوات بوجوده، فيكون جهة ظهورها النسب العدمية من حيث أنفسها. فاعتبار النسبة، وجودية كانت أو عدمية، من المعتبر لها، فهو جهة ظهورها. ثم لا يخفى أن الوجود المطلق لا يقابله المقيد، وإلا قلنا في زيادة الخاص، صورة في العام،[٣٣٢] وبه يتحصل مفهوم العام. فالمقيد يدل بذاته على المطلق، والفرق بين العام والمطلق معلوم. فإن العام يشمل النادر وغير المقصود، والمطلق| ما دلّ على فرد شائع، أو ما دلّ على الماهية بلا قيد، كما قالوا. ثم قالوا، وجعل| الفردعين ماهية وصفه، يقتضي تحقق اتصافه به، وإنه به جدير، أي يستحقه ويستوجبه. إذ قد استعدله واستأهل، بمعنى

١٩٢/ب

١٨٩أ

١٩٣ب

---

٣٣٢ العلم، في أ و ب.

استحق الوصف، وإن كان يباينه باعتبار آخر. فاتحاد المباين إذا صح في نظر العارف أفصح عن[٣٣٣] أمر غريب:

فَما نَظَرتْ عَيْني إلى غَيْرِ وَجهه وَلا سَمِعَتْ أُذني خِلافَ كلامه

فَكلُّ وُجودٍ كانَ فَهُوَ وجوده وكلُّ شَخيصٍ لَم يَزَلْ في مَنامه[٣٣٤]

فلا جهة في الحقيقة، بل في المجاز، لهذا قال أيضاً:

أَنْظُرُ إلى وَجهِهِ في كُلِّ حادِثةٍ مِنَ الكِيانِ وَلا تَعلَم بِهِ أَحَدا[٣٣٥]

فان الشيء هالك في حد ذاته، وإدراك الوجه فيه بدونه ممتنع. فالشيء والوجود مثل الصورة والهيولى، كما صرح به خاتم الولاية، يمتنع إدراك أحدهما بدون الآخر. لهذا قال:| ١٩٣/ب

٣٣٣ من، في أوت. ٣٣٤ ابن عربي، *الفتوحات المكية*، ٢:٤٥٠. في *الفتوحات*، «فكل وجود كان فيه وجوده...» ٣٣٥ ابن عربي، *الفتوحات المكية*، ٢:٢٧٥.

فلولاهُ ولولانا لما كانَ الذي كانَ

فإنْ قُلنا بِأنّا هُوَ يكونُ الحقّ إِيّانا[٣٣٦]

فنحن الصورة النوعية والجسمية، وليس الحق جزء الشيء فيكون الهيولى، تعالى عن ذلك علواً كبيرًا: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ [النحل، ٧٤] وفرّق الغزالي بين المثل والمثال، فنزهه عن المثل، لا عن المثال. لأن المثال لا يكون مساوياً لذات مماثله، بل دالاً على بعض صفاته. فالذات ظلمة مبهمة، كالجنس، والفصل يزيل إبهامه، كاسمه النور. فالجنس والهيولى والإطلاق والعام، أمور مظلمة، يوضحها الفصل والصورة والتقييد والخاص. ثم إن الذات مظلمة بالعرض، الذي هو الإطلاق، وإنما تظهر بالصفات، كالعلم والقدرة. لهذا قال خاتم الولاية:

أُكَبِّرُهُ في كلِّ فِعْلٍ[٣٣٧] عَلى الذي تَجَلّى مِنَ الأَسْماءِ فيهِ لِناظِرِي

فَإنّ الذي يَبْدو إليَّ هُوَ الذي أراهُ بذاكَ الفِعلِ رَبّي وآمِري ‖ ٨٩/أ – ١٩٤ب

٣٣٦ البيت الأول، ابن عربي، *الفتوحات المكية*، ٣:٢٤٥، *فصوص الحكم*، ١٤٣. البيت الثاني، *الفتوحات المكية*، ٢:٤٧. ٣٣٧ شيء، في أوب وت. ورد البيتان في ابن عربي، *تنزل الأملاك من عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك*، ٦١.

ثم قال: «من أبصر الفعل والذات، لا يزال في المناجاة.»

وقد أرسلنا له جواباً عن مكاتيبه المذكورة صورة هذا المكتوب، وهو قولنا:

بسم الله الرحمن الرحيم، والله بكل شيء عليم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وهم أهل الظهور والخفا، والمودة والصفا. وصلى الله على حقيقة الأعيان الثابتة، التي هي بالحقيقة الإلهية نابتة، وعلى كل من آل إليه، أو انعطف بالصحبة له عليه، أما بعد: فهذا كتاب كريم، وخطاب عظيم، من مقام شريف، وجناب منيف، يشير به الذوق، من تحت إلى فوق، وينطق به العيان، بلسان جمع القرآن، وبيان فرق الفرقان. فليس للنفوس فيه غير ترتيب الخيالية، ولا للخيال منه إلا المواد الصورية، المضمحلة بالعرضية.

أما التعيّنات الكونيّة القائمة بالمعيِّن لها أزلاً وأبداً، فكونها تعيّنات، وكونها قائمة بالمعيِّن لها أزلاً وأبداً، | إنما ذلك باعتبار الكشف العلمي من الحضرة العلمية الإلهية. وأما هي من حيث هي، باعتبار أنفسها، فهي الأعيان الثابتة بأنفسها. فلا تثبيت مثبت، ولا جعل جاعل، كما هو مقرر في كلام المحققين. وما هي بهذا الاعتبار المذكور إلا الشؤون الذاتية، المسماة بأم الكتاب. وثبوتها معناه عدم نفيها، فهي ثابتة لا منفية، وليست بموجودة أصلاً. فإن الوجود ضده العدم، ١٩٤/ب

والثبوت ضده النفي. وقد يطلق «الثبوت» على «الوجود» في اصطلاح غير أهل هذه الطريقة. فالنخلة مثلاً ثابتة في النواة، وليست بمنفية منها. وشجرة الخوخ أو المشمش مثلاً، منفية في النواة، ليست بثابتة فيها، مع أن النخلة وشجرة الخوخ والمشمش غير موجودة في النواة أصلاً. بل ذلك كله معدوم في النواة مثلاً. فالأعيان الثابتة وغير الثابتة مشتركة في كونها أمورًا| ممكنة. وليس كل ممكن ثابتًا، بل كل ثابت ممكن. ١٩٥ب

ثم أن الحضرة العلمية الإلهية| توجهت من الأزل توجهاً من حيث الرتبة، لا من حيث حدوث ذلك التوجه. لأن الحدوث يقتضي سابقية جهل، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرًا. وإنما مراتب الأسماء الإلهية أعطت ذلك، من حيث مفهوم العبارات في اللغة العربية، التي نزل بها القرآن، وجاءت بها السنّة، ونحن مخاطبون من حيث ما دلّ عليه القرآن والسنة، وليس عندنا من العلم إلا ما أعطى القرآن والسنّة، بل لا علم في الكون أصلاً إلا ما كان عن القرآن والسنّة، كما يعرف ذلك المحققون. وقد أعطت مرتبة العلم الإلهي، أنه كاشف عن تلك الأعيان الثابتة. وبهذا الاعتبار سمّيت تلك الأعيان الثابتة في نفسها «تعينّات،» لأنها تعيّنت بالعلم، وتميّز بعضها عن بعض به. وهي مع ذلك على ما هي عليه في نفسها، لم تتغير عن كونها أعيانًا ثابتة، ولم تنتقل| إلى حضرة العلم، ولا حلت فيه، ولا اتّحدت به. ولهذا نقول أن علم الله تعالى صفة قديمة، ينكشف بها ٩٠أ ١٩٥/ب

المعلوم على ما هو عليه، انكشافاً تاماً لا يحتمل النقيض. ونقول أيضاً بأن علم الله تعالى ليس بتصور للمعلوم ولا تصديقاً له، بخلاف علمنا الحادث، فإنه إما تصور أو تصديق، كما ذكره علماء الميزان.[٣٣٨] ثم أن صفة الإرادة الإلهية تعلقت بتلك الأعيان الثابتة أيضاً، على طبق تعلّق العلم بها، من غير ترتيب أيضاً، ولا تقدم للعلم وتأخر للإرادة إلا بحسب المرتبة. فإن مرتبة الإرادة تقتضي التأخر الرتبي عن مرتبة العلم. فإن الحق تعالى بعد أن كشف بعلمه عن تلك الأعيان الثابتة، ولم يقتض كشفه تغييراً منها أصلاً، خصص كل عين من تلك الأعيان الثابتة عليه من ابتدائها إلى انتهائها. ثم توجهت القدرة الإلهية على تلك الأعيان الثابتة أيضاً، بحسب ما هي عليه في نفسها من غير زيادة ولا نقصان، فاقتضت| إفاضة نور الوجود عليها. وإنما نقول أن العلم كاشف عن الأعيان الثابتة،| والإرادة متعلقة بتلك الأعيان الثابتة، بعد اعتبار أنها تعيّنات معلومة بالعلم. والقدرة متعلقة بها أيضاً، بعد اعتبار أنها مرادات بالإرادة. فالحق تعالى يعلم أموراً ثابتة فيريدها، فيقدر عليها، فتظهر على ما هي عليه في نفسها. ولم تقتض صفة العلم، ولا صفة الإرادة، ولا صفة القدرة، تغييراً من تلك الأعيان الثابتة أصلاً. ولا زيادة فيها ولا نقصان. وإنما كل تغيير وتبديل تقتضيه صفة[٣٣٩] العلم، وتقتضيه

١٩٦ب

٩٠/أ

٣٣٨ ربما المقصود بـ«علماء الميزان» هنا الفلاسفة أصحاب العلوم الطبيعية والعقلية.

الإرادة، وتبرزه القدرة، هو حاصل في نفس تلك الأعيان الثابتة أزلاً، من غير إثبات مثبت ولا جعل جاعل. والجعل إنما هو إفاضة نور الوجود. قال تعالى: ﴿والله بكل شيء عليم﴾[البقرة، ٢٨٢] أي بكل ما هو من الأعيان الثابتة في الأزل. وقال تعالى: ﴿فعال لما يريد﴾[هود، ١٠٧] أي من الأعيان الثابتة، على طبق ما علمه منها. وقال تعالى: ١٩٦/ب ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾[البقرة، ٢٠] أي كل شيء من تلك الأعيان المذكورة، على طبق ما هو عليه في العلم والإرادة. وقال تعالى: ﴿فلله الحجة البالغة﴾[الأنعام، ١٤٩] لأنه تعالى ما أعطى كل شيء إلا ما علمه منه. وقوله تعالى: ﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾[الأنعام، ١٤٩] أي لو كنتم في أنفسكم مهديين، وأنتم أعيان ثابتة، لشاءكم وأرادكم كذلك. ولو شاءكم كذلك لهداكم أجمعين كما شاءكم، كما علمكم، كما أنتم عليه في ثبوتكم. وهذا كثير في القرآن والسنّة. ثم إن هذه الأعيان، الموجودة بالقدرة، المخصوصة بالإرادة، المعلومة بالعلم، هي تلك الأعيان الثابتة أزلاً التي هي الشؤون الذاتية وأم الكتاب. فمن شهدها موجودة كان غافلاً عن الوجود الحق تعالى. ومن شهدها معدومة، شهد بها وجود الحق تعالى على الغيب. كما قال ابن الفارض، رضي الله عنه:

---

٣٣٩ صفة، ساقطة في أ و ت.

فَتَراءَيْتَ في سِواكَ لعينٍ بِكَ قَرّتْ وما رأيْتُ سِواكا[٣٤٠]

١٩٧ب وما العلم، والإرادة، والقدرة، غير مراتب ثلاث للذات العلّية،| التي هي الوجود المحض المطلق بالإطلاق الحقيقي، حتى عن الإطلاق، على معنى أن تلك المراتب الثلاث ليست غير الذات ولا عينها،| بمعنى أنها عين الذات، مع قطع النظر ١٩١أ عن تلك الأعيان الثابتة المذكورة، وغير الذات أيضاً، بالنظر إلى إشراقها على تلك الأعيان المذكورة، من قبيل قوله تعالى: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربّها ووضع الكتاب﴾ [الزمر، ٦٩] ومن الأول، قوله تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ [القصص، ٨٨] ومن الثاني، قوله سبحانه: ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ [الفرقان، ٢] وقوله: ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾ [الروم، ٢٥] والذات العلية تسمى من وجه حقاً، ومن وجه نوراً، ومن وجه وجوداً. وما عداها يسمى من وجه باطلاً، ومن وجه ظلمة، ومن وجه عدماً. وتفصيل ذلك يطول جداً. وهذا ملخص ما تيسر تلخيصه، والآيات القرآنية المشيرة إلى ذلك والأحاديث لا تخفى. والله ولي التوفيق. وهو الهادي

٣٤٠ ابن الفارض، *الصوفية في شعر ابن الفارض: شرح الشيخ عبد الغني النابلسي*، تحقيق حامد الحاج عبود (دمشق: مطبعة زيد بن ثابت، ١٩٨٨)، ٢٠٢.

إلى سواء الطريق. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. والله يقول| ١٩٧/ب
الحق وهو يهدي السبيل، والله حسبنا ونعم الوكيل، نعم المولى، ونعم النصير.
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[٠٦٣ أواخر صفر ١١٠٩هـ، إلى قبلان محمد باشا]

ومن ذلك ما أرسلته في التاريخ المزبور[٣٤١] إلى طرابلس المحروسة، إلى عزيزنا قبلان محمد باشا، أعزّه الله، وصورته:

إن فلك العزّ والإقبال، دار بكواكب الاحتشام والإجلال، وفاحت أزهار المجد والافتخار، في روض الكمال والمهابة وطلعة الثمار. حفظ الله جناب حدقة عين الزمان، وحديقة الجود والكرم والامتنان، حضرة صاحب الأخلاق العلية، والطلعة البهية، والسدة السنية، والسيرة المرضية، قبلان محمد باشا، بلّغه الله تعالى من الأمنية ما شا. هذا وإن الله تعالى لما رفع لكم الجاه والعزّ في الدنيا والدين، كما قال سبحانه: ﴿ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين﴾ [المنافقون، ٨] كان ذلك موسماً للأفراح، وأكمل| عيد للمسرة والانشراح، وقرّت عيون البرايا، واستقرت قلوب الرعايا، وانطلقت الألسنة بالدعا، ونطقت بالأثنية الجميلة أهل المودة لامتلاء الوعا. والذي نوصيكم به تقوى الله| تعالى في كل حال، ١٩٨ب ١٩٢أ

٣٤١ في مخطوط الفاتيكان، وردت هذه الرسالة قبل رسالة النابلسي لأحمد الكسبي (رسالة٦١)، فحسب ترتيبها في ذلك المخطوط يكون التاريخ المزبور هو ربيع الأول ١١٠٨هـ، أما حسب ترتيبها في مخطوط برنستون ومخطوط الظاهرية فإن التاريخ المزبور هو أواخر صفر ١١٠٩هـ.

والتمسك بالشرع المحمدي ذي الهيبة والإجلال، والاحترام لأهل العلم والكمال، والنظر إلى المنقطعين والفقراء، امتثالاً لحديث خير الورى صلى الله عليه وسلم، حيث قال: «اتخذوا عند الفقراء أيادي، فإن لهم دولة يوم القيامة.»[٣٤٢] ونسأل الله تعالى أن يديم لكم التوفيق والحفظ والعناية، ويحرس ذاتكم الشريفة في بداية كل منصب شريف ونهاية. ويسدد أقوالكم، ويكمّل أعمالكم، ويديم على الصحة والعافية أحوالكم، والسلام.

---

٣٤٢ لم يرد في *تاج الأصول*. ورد في السيوطي، *الجامع الصغير*، ١٣ (حـ ١٠٤)، عن الحسين بن علي.

[٠٦٤. أواخر جمادى الثانية ١١٠٩هـ، إلى العلامة يحيى أفندي الواني]

١٩٨/ب ومن ذلك ما أرسلناه إلى بلاد وان المحروسة، إلى جناب العلامة يحيى أفندي| الواني، جواباً عن مكتوبه، في أواخر جمادى الثانية، سنة تسع ومائة وألف، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد: فهذا كتاب كريم، ونصح عظيم، من العبد الفقير الفاني، في حقيقة مولاه الغني، الحق البعيد الداني، إلى جناب أخيه في دين الله، الشيخ الإمام العلامة، والعمدة الفهامة، يحيى أفندي الواني. متّعه الله تعالى بشهود ذات ذاته، وغلب على أسمائه بأسمائه، وعلى صفاته بصفاته، في مقام صدق العبادة، وكمال العبودية، وتحقق العبودة. ليتمّ له علمه[٣٤٣] اليقيني، وعينه التعييني، وحقه الوحداني، ويكمّل له شهوده،[٣٤٤] وأما بعد ثانياً: فاعلم يا أخي أن المراتب في الرجال من أهل الكمال ثلاثة مراتب. مرتبة علماء الشريعة والإسلام، وأبحاثهم في كتب ١٩٢أ - ١٩٩ب الفقه والأحكام، لتحصيل| الآداب الظاهرة المطلوبة| من أنواع العوام، أصحاب النفوس البشرية القابلة لظهور المثوبات[٣٤٥] منها والآثام. ومرتبة علماء الطريقة

---

٣٤٣ علم، في أ و ب. ٣٤٤ شهود، في أ. ٣٤٥ المثبوبات، في أ.

المحمدية وشريف كل حال ومقام، وأبحاثهم في كتب التصوف والأخلاق من الزهد، والورع، والصبر، والشكر، وغير ذلك من كل خُلق تام، لتحصيل الآداب الباطنة المطلوبة من أنواع الخواص ذوي السلوك والإقدام، أصحاب القلوب المقبلة بالرغبة على حضرة الملك العلام، القابلة لكل كشف محقق وتعرّف يقتضي إماطة اللثام. ومرتبة علماء الحقيقة الربانية، وأبحاثهم في كتب الحقائق، مثل كتب الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي، وكتب الشيخ عبد الحق ابن سبعين، وكتب الشيخ عبد الكريم الجيلي وغيرهم، لتحصيل التحقق بالأمر الإلهي على ما هو عليه في ظهور الخلق عنه، عند أنواع الواصلين المقربين، العارفين المحققين.

١٩٩/ب

وكل نوع من الناس المكلفين تعشقوا بمرتبة من هذه المراتب الثلاث وغلب عليهم القيام بذلك. كما قال تعالى: ﴿منكم من يريد الدنيا﴾[آل عمران، ١٥٢] وهم علماء الشرائع والأحكام، يريدون التزيّن بالعلوم الشرعية والعمل بها. وقال تعالى: ﴿ومنكم من يريد الآخرة﴾[آل عمران، ١٥٢] وهم علماء الطريقة المحمدية من أهل التصوف، أهل الأخلاق الحسنة كالورع، والتقوى، والزهد، والصبر، والشكر، ونحو ذلك، المتباعدون عن الأخلاق الذميمة كالرياء، والكبر، والعجب، والحسد، ونحو ذلك. وقال تعالى: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾[الأنعام، ٥٢] وقال تعالى: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾[الإنسان، ٩] الآية. وهم العارفون المحققون، لا يريدون الدنيا ولا الآخرة، يعني ليست همتهم

مصروفة إلى الرغبة في أمور الدنيا ولا أمور الآخرة، ولا إلى الإعراض عن ذلك. بل هممهم مشغولة في التوجه دائماً إلى التحقّق بالوجه الإلهي في كل شيء. كما قال تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ [القصص، ٨٨] فهم يعرضون عن كل فان هالك،| ويقبلون على التحقق بالوجه الباقي الإلهي، لإيقانهم أن ليس ثمة غيره. وهو المتوجه على إظهار كل شيء. فلا يفوتهم شيء من أمور الدنيا ولا أمور الآخرة، بل يسوق الوجه إليهم كل شيء هو متوجه إليه من محسوسات ومعقولات.

٢٠٠ب

وأصول مذهب علماء الشريعة،| الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس. فلهذا يخطئ المجتهد منهم ويصيب. وهم مأجورون على كل حال بمقتضى قصدهم ونيتهم للطاعة. ويتبعهم علماء الكلام في علم العقائد، وعمدتهم النظر العقلي أيضاً. فالعقل عمدة الفقهاء، والمحدثين، والمفسرين، والمتكلمين، في فهمهم ما يعطيهم الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، من أحكام الله تعالى، وفي عقائدهم أيضاً. والعقل قوة روحانية مخلوقة، تارة يصيب الله تعالى بها الحق، وتارة يخطئه بها. ولقد وجدنا عن الفخر الرازي رحمه الله أنه دخل عليه| مرة واحد من تلامذته فوجده يبكي. فسأله عما يبكيه. فقال مسألة من علم الكلام، لي منذ ثلاثين سنة أعتقد أن الحق فيها كذا. وقد ظهر لي الآن أنها خطأ بالأدلة العقلية، وأنا أخاف أن تكون مسائلي كلها

٩٢/أ

٢٠٠/ب

كذلك.[٣٤٦]

وأصول مذهب علماء الطريقة المحمدية والتصوف، أصحاب المرتبة الثانية، الأخذ من الكتاب، والسنة، والإجماع، على حسب ما ظهر لهم من معاني ذلك. ثم فرعوا عليه ما فهموه من أحوال الأخلاق والأعمال، من الخير والسوء، وهم يبنون أيضًا على العقل في إدراك الكليات والجزئيات. ولم يبق إلا أصول أهل التحقيق من العارفين، أصحاب المرتبة الثالثة، وعمدتهم الذوق، والوجدان، والإحساس، والكشف، عما ورد في الكتاب والسنة، لا النظر العقلي، ولا الفهم الخيالي الفكري، بل لا اعتبار عندهم بذلك أيضًا، لأن ذلك يخطئ ويصيب. وينبغي لكل أحد يريد أن يفهم كلامهم أن| يعرف أولًا أصولهم التي بنوا عليها كلامهم. ومتى فهمها على أصول غيرهم، فَهِمَ غير مرادهم، وعلم من كلامهم غير ما أرادوه، وأساء الظن بهم. وربما تكلم فيهم بما هم[٣٤٧] بريئون منه، فضلّ عن سواء الطريق. ونحن الآن ننبه على أصولهم، التي هم معتمدون عليها، في جميع ما هم فيه من عقائدهم وأعمالهم، ليعرفها الذي يريد| معرفة كلامهم.

٢٠١ب

١٩٣أ

فنقول، وبالله التوفيق، اعلم يا أخي أن المحققين من أهل الله تعالى، كابن العربي وغيره، بنوا علومهم على معرفة الوجود الذي هو عند جميع المخلوقات

---

٣٤٦ انظر رسالة ابن عربي لفخر الدين الرازي في ابن عربي، *رسائل ابن عربي* (بيروت: الانتشار العربي، ٢٠٠٢) الجزء الثاني، ٢٠٧–٢١١. ٣٤٧ هم، ساقطة في أ.

محسوس، ومعقول، وموهوم. فالذي يدركه بعقله، على حسب تصورات عقله له، يسميه «معقولاً.» والذي يدركه بحسه، على حسب تصورات حسه، يسميه «محسوساً.» والذي يتوهمه بوهمه، على حسب قوة وهمه، يسميه «موهوماً.» وهو واحد لا يتعدد، ولا ينقسم، ولا يتجزأ، ولا يتبعّض. وهذه الأقسام كلها بحسب تقديراته، هو المتجلي ا بها للكل، وهو منزّه عنها كلها. وجميع الصور ٢٠١/ب المعقولة بالعقل، والصور المحسوسة بالحس، والصور الموهومة بالوهم، له تقديراً وتصويراً، أزلاً وأبداً. توجه عليها كلها، وهي عدم صرف، فكشف عنها فعلمها. وتوجه عليها بإرادته فأرادها. وخصصها بعين ما هي عليه في عدمها الأصلي. ثم توجهت عليها رتبة قدرته، فقدّرها على مقتضى ما علمها فأرادها. فهي كلها تقاديره الأزلية. وهي مرتّبة فيما بينها على حسب ما هي عليه. فمنها المقدم والمؤخر، كما أن فيها الكبير والصغير، وغير ذلك مما هي عليه من التخصيصات المكانية والزمانية. فبرزت به، وظهرت بنوره، وتحققت بحقه، و وجدت بوجوده، مترتبة على ما هي عليه. فالنور هو، وهي على ما هي عليه. قال تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض﴾[النور، ٣٥] أي منوّرهما بنوره. فالنور له، والسموات والأرض على ما هي عليه من الظلمة الأصلية. كما قال سبحانه: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾[الزمر، ٦٩] يعني في يوم القيامة، ا يتبين أن إشراق الأرض وكل شيء بنور الرب سبحانه. فالإشراق ٢٠٢ب

للأرض، والنور له تعالى، والحق هو جلّ وعلا، وجميع الأشياء محققة به. كما قال سبحانه: ﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾ [الأنعام، ٧٣] فالسموات والأرض باطل، وإنما هي حق بالحق لا إله إلا هو. كما قال عليه السلام: «أصدق كلمة قالها شاعر، كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل.»[٣٤٨]

٩٣/أ والوجود| هو الله سبحانه وتعالى، وجميع الأشياء موجودة به: معقولاتها، ومحسوساتها، وموهوماتها. وهي كلها على ما هي عليه من عدمها الأصلي. وهذا الوجود الظاهر للعقل، وللحس، وللوهم، يدركه كل أحد بلا شك ولا ريب. بل الشك والريب قائمان به بلا شبهة. فالعلم به هو علم اليقين عند الكل. ثم إذا تحقق العبد بفناء نفسه وغيره فيه، وصل إلى عين اليقين. وهذا الفناء على حسب ما هي عليه الأشياء كلها، لأن الوجود هو القيوم عليها، حتى صارت به موجودات| غيره، وهي في أنفسها معدومات قائمة به، لا بأنفسها. ٢٠٢/ب إذ لا أنفس لها إلا ما قدرها به. ثم إذا تحقق العبد بعد فنائه وفناء غيره في عين الوجود الظاهر له، تبين له أنه عين ذلك الوجود، وإن ما كان يسميه نفسه، وروحه، وعقله، وحسه، فانٍ مضمحل في ذلك الوجود الذي ظهر له أنه هو لا

---

٣٤٨ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الشعر،الراوي أبو هريرة، ٥:١٧٩. أخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي.

غيره. وهذا هو حق اليقين.

فالعامي الغافل يرى الوجود، ويجده معقولات، ومحسوسات، وموهومات، سواء كان فقيهاً أو صوفيًا صاحب طريقة. والسالك المقبل يرى الوجود، فينزهه عن المعقولات، والمحسوسات، والموهومات، ويرى نفسه وتوابعها من جملة المعقولات، والمحسوسات، والموهومات، القائمة به، بل المعدومة فيه، الفانية. ولا يجد غيره سبحانه وتعالى أصلاً. فيكون هو العمدة عنه في تحصيل علومه، وتقرير| مسائله، وإيراد كلامه. والأصل الذي بنت عليه العارفون ٢٠٣ب كلامهم هو هذا الأصل، لا على العقل، ولا على نظره، ولا على الحس، ولا على الوهم. ولكن بنوا كلامهم على الفيض الإلهي والفتح الرباني، كما قال تعالى: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده﴾[فاطر، ٢] فالذي يعلمهم هو الله تعالى لا غيره. قال تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم﴾[البقرة، ٢٨٢] وقال أبو يزيد البسطامي: «أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت.»[٣٤٩] وقال

---

٣٤٩ أبو يزيد البسطامي (ت ٢٦١-٤هـ / ٨٧٤-٧م)، من مشاهير الصوفية، ولد وعاش معظم حياته ومات في قرية بسطام في مقاطعة قومس. تتلمذ على يد ناسك هندي لا يجيد العربية هو أبو علي السندي. صاحب شخصيات صوفية أمثال أبو علي الكازروني وأبو سعيد بن علي الخير، وكان صديقًا لذي النون المصري. له أقوال كثيرة تداولها الصوفية بشكل واسع، وكتب الجنيد تعليقات عليها حفظت في كتاب *اللمع* للسراج (القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٠).

سبحانه: ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ [الزمر، ٣٦] ٩٤أ

فالواجب على كل من يريد أن يسلك مسالك الرجال، أهل التحقيق من العارفين، أن ينظر إلى الوجود الحق الواحد المطلق، حتى عن الإطلاق، المنزه عن كل شيء، وهذا هو الوجود الظاهر. ثم يعلم أن كل محسوس، وكل معقول، ٢٠٣/ب وكل موهوم، تقاديره وتصاويره القائمة به، من غير قيام لها أصلاً. وهو الظاهر بها من غير تغيير، لإطلاقة بسببها عما هو عليه. ثم يعرف نفسه أنه كذلك، قائم به من غير قيام، مثل جميع الكائنات. ثم يفهم كلام العارفين الذين يشيرون به إلى هذا الأمر الحاضر المشهود للكل، الذي ليس أحداً غائبًا عنه أصلاً، ولا تُتَصور الغيبة عنه أصلاً. ولكن العقول عنه مصروفة إلى الخيالات الوهمية، والحواس مشغولة عنه بلذائذ المحالات. فإذا تحقق ذلك وفهم كلام العارفين على هذا، كان منهم، والسلام.

واعلم أن من أصول أهل التحقيق أنهم لا يعتمدون في عقائدهم على إدراك العقل، ولا على إدراك الحواس، في إيمانهم بالمعقولات وإيمانهم بالمحسوسات. لأن العقل يتناقض حكمه في العقلاء، والحس كذلك. ولهذا اختلفت[٣٥٠] العقلاء في عقائدهم، وافترقت إلى فرق كثيرة، المؤمنون منهم وغير المؤمنين. وإنما يعتمدون في عقائدهم على ما جاء به كتاب الله تعالى وجاءت به السنة المحمدية لا غير. ٢٠٤ب

---

٣٥٠ اختلف، في ب.

والإجماع عمدتهم في العمليات، دون الاعتقاديات، التي وقع الاختلاف فيها من بعد الصحابة، والتابعين، والسلف الأولين. فلا يدركون بعقولهم معقولاً، ولا بحواسهم محسوساً، إلا على طبق الكتاب والسنة.

وقد ورد في الكتاب قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾[الروم، ٢٥] وقوله تعالى: ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾[القمر، ٥٠] فالسماء والأرض القائمتان بأمره تعالى كلمح بالبصر. فالجمود الذي يدركه العقل في السماء والأرض، ويتبعه الحس| في الإدراك، موهوم لا معقول عليه، ٩٤/أ فلا يقولون بانقسام العالم إلى جوهر وعرض، وانقسام الجوهر إلى مركب، هو الجسم، وبسيط، وهو الجزء الذي لا يتجزأ. لأن هذا تقسيم حصل من إدراك العقل والحس، على خلاف ما وقع في كتاب الله. وإنما يقولون بأن الجسم والعرض واقعان في القرآن| بمعنى آخر، غير ما قسمه العقل والحس. قال تعالى: ٢٠٤/ب ﴿وما جعلناهم[٣٥١] جسداً لا يأكلون الطعام﴾[الأنبياء، ٨] فـ«الجسد» هو «الجسم،» وهو الذي يمده الله تعالى بالطعام. وقال تعالى: ﴿يأخذون عرض هذا الأدنى﴾[الأعراف، ١٦٩] وهو متاع الدنيا. وإنما العالم عندهم مركب من مرتبتين، هما الخلق والأمر. فالخلق صور الأمر، والأمر حقيقة الخلق. و«الخلق» بمعنى «التخليق،» الذي هو المعنى المصدري، لا بمعنى اسم المفعول.

---

٣٥١ وماكانوا، في أ و ب.

قال تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ [الأعراف، ٥٤] والخلق عندهم هو المفعول المطلق، وهو المصدر، وليس لله تعالى عندهم مفعول به أصلاً. لأن المفعول به ما وقع عليه فعل الفاعل، وهنا ليس شيء من الأشياء أصلاً إلا هو فعل الفاعل سبحانه. ولا شيء أصلاً غير فعل الفاعل الحق حتى يقع عليه فعله سبحانه. ويؤيد ذلك ما نصّ عليه بعض أهل الظاهر، كالإصبهاني في شرح *طوالع* البيضاوي في العلم الإلهي،[352] وابن أبي شريف في *شرح المواقف* في الماهيات الغير| المجعولة،[353] ٢٠٥ب وما ذكره في *مغني اللبيب* لابن هشام في أواخره،[354] في قوله تعالى: ﴿خلق الله السموات﴾ [العنكبوت، ٤٤] مفعول مطلق لا مفعول به.

وهذه هي أصول مذهبهم ذكرناها لكم، حتى تعلموا أن هذه الطائفة المحققين أسسوا عقائدهم ومذاهبهم كلها على الكتاب والسنة، ولا اعتماد لهم على إدراك العقل ولا الحس أصلاً. ولا ثقة لهم بالعقل ولا بالحس حتى يبنوا عليه عقائدهم. والله بصير بالعباد. وكنا نبسط لكم الكلام أكثر من ذلك، ولكن نحن[355] في اشتغال بالأهم. و وقتنا هذا وقت مظلم، أكب الناس فيه على حبّ العاجلة، كما قال تعالى: ﴿إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يومًا

---

٣٥٢ انظر ناصر الدين البيضاوي، *طوالع الأنوار من مطالع الأنظار* (بيروت: دار الجيل، ١٩٩١). ٣٥٣ لعله يقصد شرح الجرجاني على مواقف الإيجي، انظر الشريف الجرجاني، *شرح المواقف* (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨). ٣٥٤ انظر عبد الله بن هشام الأنصاري، *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥) ٣٥٥ نحن، ساقطة في أ و ب.

٩٥أ ثقيلاً﴾ [الإنسان، ٢٧] ومع هـذا كلما أظلم ليل الغفلة| في الناس، أشرقت قلوب العارفين، وكثر نورها. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. وإذا أشكل عليك يا أخي شيء في كلامنا هذا، أو في غيره من كلام أهل طريقنا، ككلام ٢٠٥/ب ابن العربي وغيره، فأرسل| إلينا بالإشكال، نكشف ذلك بمعونة الله تعالى. ولا يكن عندك شبهة فيما نقول. والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

[٠٦٥ شوال ١١٠٩هـ، رسالة من شيخ الإسلام فيض الله أفندي]

وقد أرسل لنا جناب أعلم العلماء العظام، حضرة شيخ الإسلام، السيد فيض الله أفندي، مكتوباً في شوال، سنة تسع ومائة وألف، وهذه صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الغني الواحد، المحمود بذاته بالمحامد، أحمده حمداً ممدوداً مداه،[356] وأوحده كما وحده الأوّاه. والصلاة والسلام على أفضل العباد، وخير من نصر الحق وقام بأعباء الجهاد، وعلى آله الأبرار، وصحبه الأخيار، الذين هم رحماء بينهم وأشداء على الكفار، وبعد: فإني مُهدٍ في هذه الصحيفة الحاكية عن صميم الفؤاد، المشحون بخالص الصدق وسليم الوداد، إلى حضرة قطب دائرة الصلاح، ومركز الهداية والفلاح، الشيخ عبد الغني، لا زال مبشرًا بالأماني والتهاني. ثم المنهي إلى ذلك المشار إليه، أسبغ الله جزيل نعمائه عليه، أنه قد بلغكم شقاشق الأخبار، وهدرت لكم ٢٠٦ حمائم الآثار، بأن سلطاننا الأعظم، والخاقان[357] المعظم، سيف الملّة والدين، عضد الإسلام والمسلمين، شيد الله أركان الدين بدوام سلطنته، وقلع بنيان الكفر والبغي بأيادي همته، قائم بأعباء الدين وإغلاء مقداره، ودائم في

---

٣٥٦ مداده، في أ و ب. ٣٥٧ وخاقان، في أ و ب.

نصرة الإسلام وإعلاء مناره. وقد أنضى[٣٥٨] إليه ركاب منيته، وشمر عن ساق الجد ذيل همته، وأفرط في بذل الجد والكد، وانخرط في محجة من فاق بالجهد.

١٩٥أ لكن العدا تَرُبَت يداهم، وعدمت صداهم، قد شقوا عصا الشقاق،| وارتضعوا أفاويق[٣٥٩] الوفاق، حتى صالحوا فيما بينهم واتحدوا، وقاموا في إيصال الضرر إلى المسلمين وقعدوا، ﴿يريدون ليطفئوا نور الله﴾ [الصف، ٨] وينهمكون، كلا ساء ما يتوهمون، ﴿ثم كلا سيعلمون﴾ [النبأ، ٥] فعسى أن يُنجز الله وعده،

٢٠٦/ب وينصر جُنده. فالمأمول من| جنابكم، وممن حولكم من الصلحاء من أحبابكم، أن تمدوا المسلمين في إعلاء كلمة الدين، بالدعاء الخير، واستدعاء النصر، ورجاء اليسر من بعد هذا العسر. فإنهم إخوانكم الذين يجاهدون في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم، ويديرون كؤوس المنايا بأطراف رماحهم ونصالهم، فارحموهم يرحمكم الله، وانصروهم ينصركم الله. وادعوا لله خوفًا وطمعًا، وتضرعوا في سؤال النصر لهم تضرعًا، واستعينوا بالله، ولا تيأسوا من روح الله، فإنه على نصرهم لقدير، وهو بالإجابة جدير.

---

٣٥٨ أنضر، في أوب وت. ٣٥٩ أفاريق، في أوب وت.

[٠٦٦ شوال ١١٠٩هـ، جواب رسالة شيخ الإسلام فيض الله أفندي]

فكتبنا له عن ذلك الجواب، بعون الملك الوهاب، في التاريخ المزبور، وهذا صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد: فقد وصل إلينا مكتوبكم المنيف، ومرسومكم الشريف، ورأينا المكاتبة الشرعية خير من المكاتبة الأدبية الشعرية، فنقول| وبالله التوفيق، وهو الناصر المعين والهادي إلى سواء الطريق. بسم الله الرحمن الرحيم. قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾[البقرة، ٢١٤] وقال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم. والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم﴾[محمد، ٧ - ٨] الجمع بين قلوب المؤمنين بفيض الله هو المأمول والمسؤول، وذلك قوة| روحانية من الأمر الإلهي، إذا توجهت لا يثبت لها شيء. فهي معدن القبول، ومقتضاها المودة والمحبة، فلا يبقى معها من حظ النفوس إذا ألمّ حبة، كما وردت به الآيات والنصوص. قال تعالى:

٢٠٧ب

٩٦أ

﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾ [الصف، ٤] وقال تعالى: ﴿ولا تفرقوا| فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ [الأنفال، ٤٦] وتقديره فليعظم ويحترم صغيركم كبيركم، ويرحم كبيركم صغيركم، ويعطف على ضعيفكم صحيحكم. ورويناً بالسند المتصل إلى البخاري في *صحيحه* في هذه الآية من كتاب الجهاد، وقال أبو عبد الله، قال قتادة: «الريح، الحرب.» وروينا في *صحيح البخاري* عن أبي موسى الأشعري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ثم شبك بين أصابعه.»[٣٦٠] وروينا بالسند المتصل إلى أبي عيسى الترمذي في سننه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال: «كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً، فقال: ‹يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك| إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفّت الصحف›.»[٣٦١] قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. وروينا في

٢٠٧/ب

٢٠٨ب

---

٣٦٠ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الصحبة، باب التعاضد والتساعد، الراوي أبو موسى الأشعري، ٦:٥٦٤. أخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي. ٣٦١ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب اللواحق، باب أحاديث مشتركة تبين آداب النفس، الراوي عبد الله بن عباس، ١١:٦٨٥. أخرجه الترمذي.

سنن الترمذي من الدعوات عن أنس قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا غزا قال: ‹اللّٰهم أنت عضدي، وأنت نصيري، وبك أقاتل›.»[٣٦٢] هذا حديث حسن غريب. قال الترمذي ومعنى قوله «عضدي،» يعني «عوني.» عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو يقول: ‹ربّ أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى علي. ربّ اجعلني لك شكاراً، لك ذكاراً، لك رهاباً، لك مطواعاً، لك مخبتاً، إليك أوّاها منيباً. رب تقبّل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، وسدد لساني، واهد قلبي، واسلُل سخيمة صدري›.»[٣٦٣] قال ابن الأثير في نهايته: «السخيمة،» «الحقد في النفس.» وروينا بسندنا إلى البخاري عن أبي أوفى قال: «دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأحزاب فقال: ‹اللّٰهم، منزّل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اهزمهم وزلزلهم›.»[٣٦٤] وروينا في

٩٦/أ

٢٠٨/ب

---

٣٦٢ الهيثمي، *موارد الظمآن*، كتاب الجهاد، باب ما يقول إذا غزا، الراوي أنس بن مالك، ٥:٢٦٣. أخرجه أبو يعلى وابن حبّان في صحيحه. ٣٦٣ الهيثمي، *موارد الظمآن*، كتاب الأدعية، باب أدعية رسول الله، الراوي عبد الله بن عباس، ٨:٥٦. أخرجه أبو داود، والترمذي، والإمام أحمد في مسنده، وابن حِبّان في صحيحه، والحاكم في مستدركه. ٣٦٤ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الدعاء، باب أقسام الدعاء: أدعية غير مؤقتة ولا مضافة، الراوي عبد الله بن أبي أوفى، ٤:٣٤٦. أخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي.

صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: «إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قال ‹سمع الله لمن حمده› في الركعة الآخرة من صلاة العشاء قنت: ‹اللّٰهم انج عياش بن أبي ربيعة، اللّٰهم انج الوليد بن الوليد، اللّٰهم انج سلمة بن هشام، اللّٰهم انج المستضعفين من المؤمنين، اللّٰهم أشدد وطأتك على مضر، اللّٰهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف›.»[٣٦٥] ونحن نقنت الآن إن شاء الله تعالى في الصلوات الخمس، كما قال في *الأشباه والنظائر*، في أواخر فن الجمع والفرق، قال جمهور أهل الحديث: «القنوت عند النوازل مشروع في الصلوات كلها.» وفي *فتح القدير*، إن مشروعية القنوت للنازلة مستمر لم ينسخ. ثم قال في *الأشباه*: «قنت الصديق في محاربة الصحابة مسيلمة وعند محاربة أهل الكتاب. وكذلك قنت عمر رضي الله عنه. وكذلك قنت علي رضي الله عنه في محاربة معاوية. وقنت معاوية رضي الله عنه في محاربته.»[٣٦٦] انتهى. فينبغي للإمام الحث على القنوت في هذه النازلة، والدعاء له ولعساكر المسلمين بالنصر والظفر. والله ولي التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وعلى الله[٣٦٧] قصد السبيل.

٢٠٩ب

---

٣٦٥ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الصلاة، باب المواقيت، ٥:٣٨٧. أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي. ٣٦٦ انظر جلال الدين السيوطي، *الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧)، ومحمد بن علي الشوكاني، *فتح القدير* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣). ٣٦٧ الله، ساقطة في أ.

[٠٦٧ صفر ١١١٠هـ، جواب رسالة وردت من نواحي القدس]

وقال رضي الله عنه، وقد أرسلنا صورة هذا المكتوب إلى نواحي بيت| المقدس، لرجل من أهل الاعتقاد والمحبة، جواباً عن مكتوب أرسله إلينا، وذلك في صفر، سنة ألف ومائة وعشرة، وهو قولنا: ١٩٧أ

بسم الله الرحمن الرحيم، والله بكل شيء عليم، أما بعد:

حمد الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وجميع أصحابه، ما دخل السالك| بظلمته إلى بيت نوره من بابه، فسلام الله وتحياته منا إليكم، أسبغ الله تعالى جزيل نعمائه عليكم. وقد وصل مكتوبكم، وظهر لنا قصدكم ومطلوبكم، وأشار إلى الحضرة اليوسفية ما أضمره يعقوبكم، وأما بعد: فإن علوم الأذواق لا توضع في القراطيس والأوراق، ولكنها إشارات، تقتدحها القلوب ولها في اللسان شرارات، وبالمشافهة في الخطاب، يتبين الخطأ من الصواب. وعلوم الحقائق، لها أصول وطرائق، ومن ضيع الأصول، حُرم الوصول. والتوفيق عزيز، وبالصبر على مشقات المعادن يُدرك الإبريز. وسماع كلام الكامل، أفضل من رؤية عمل العامل. فإن السير بالأحوال، أقرب من السير بالأقوال. والحال حقيقة، والقال مجاز في الطريقة. والعلوم الظاهرة كلها رسوم باهرة. ٢٠٩/ب

٢١٠ب وبعد الرسوم، رقوم في صحائف الفهوم، من قَعَد سيقوم، إذا حصل له تجلي القيّوم. ومحو إناء القلوب، امتلاء من الغيوب، ورؤية الخلائق خلائق، من أقطع القواطع والعلائق. ورؤيتهم آثار القدرة، صفاء للسريرة من الكدرة. وهذا فتوح الوقت، المنجي من المقت، والسلام على الدوام.

[٠٦٨ صفر ١١١٠ هـ، إلى شيخ الإسلام فيض الله أفندي]

وقال، وقد أرسله إلى جناب شيخ الإسلام، فيض الله أفندي، في صفر، سنة عشرة ومائة وألف، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. سلامٌ قولاً من رب رحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. جناب شيخ الإسلام، وركن بنيان الدولة العثمانية، سدد الله مَلِكها، وحفظ مُلكها على الدوام،| أما بعد: فالواجب علينا وعلى جميع المكلّفين، من المسلمات والمسلمين، الدعاء، كما هو دأبنا في الصباح والمساء، لولاة الأمور، القائمين بمصالح الجمهور. لأن هذا دعاء لجميع أهل الإسلام، من الخاص والعام. ومن| جملة الدعاء لهم دعاؤهم لنصرة آل بيت النبوة المحمدية، المأمور صلى الله عليه وسلم بالتوصية بهم لأهل الإسلام من البرية، في قوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى﴾ [الشورى، ٢٣] ومن المودة احترامهم ونصرتهم شرقًا وغربا. وهم الموعودون من الله تعالى بإذهاب الرجس عنهم ومن كل المآثم بالتطهير، وحسبهم الله ونعم الوكيل، نعم المولى، ونعم النصير. لا سيما إذا انضم فيهم شرف النسب النبوي الطاهر، إلى شرف الانتساب إلى صاحب مقام الولاية الظاهر. فإن الولي محبوب

٩٧/أ

٢١٠/ب

الله، وغيره أعلى درجاته أن يكون محب الله، وكم بين المحب والمحبوب، من القرب في حضرة علاّم الغيوب. قال صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: «لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي ٢١١ب يسمع به،| وبصره الذي يبصر به، إلى آخره.»[٣٦٨] يعني لا سمعه الذي لا يسمع به، وبصره الذي لا يبصر به. وهو نفس أن يكون تعالى هو الجارحة الجسمانية، أو القوة المودعة الروحانية، بل هو وراء ذلك، والله يسمع من يشاء، قل من يملك السمع والأبصار والأفئدة. وإن حامل هذه الوثيقة الشيخ الكامل، والعالم العامل، فرع شجرة النبوة، وثمرة غصن الولاية والفتوة، عبد القادر أفندي الكيلاني. فإنه منسوب، والمنسوب محسوب، ولأجل عين واحدة ألف عين تُكرّم. والسعيد يحترم السعيد، ولا يعرف المحرم إلا المحرم. وهو من ذرية العارف بالله تعالى، صاحب الأحوال المأثورة، والعلوم والمعارف المشهورة، الشيخ عبد القادر الكيلاني، قدس الله سره، وأعلى في درجات المقربين مقره.

٩٨أ – ٢١١/ب وهو النسب المحقق شهرة واعتقاداً، وقد عمّر الله| تعالى به أقطاراً وبلاداً، ومتع ذرية وأولاداً، والله الحق.|

٣٦٨ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الفضائل والمناقب، باب فضائل الأعمال والأقوال: فضل أعمال وأقوال مشتركة الأحاديث ومتفرقة، الراوي أبو هريرة، ٩:٥٤٢. أخرجه البخاري.

[٠٦٩ ربيع الأول ١١١٠هـ، إلى المولى مرزا أفندي]

وقال رضي الله عنه، وقد أرسله إلى بلاد الروم، إلى المولى مرزا أفندي، في شهر ربيع الأول، سنة إحدى عشر ومائة وألف، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد: فهذا كتاب كريم، إن شاء الله تعالى، من عبد الغني، الشهير بابن النابلسي الشامي، إلى جناب المولى مرزا أفندي أعزه الله تعالى. مضمونه، بعد إهداء أنواع التحيات، وأجناس التسليمات الوفيات، ما أحسن الإنسان إذا كان بروحه وقلبه مع الله تعالى، في شهوده تعالى، ظاهراً بكل شيء على طريقة أهل السنّة والجماعة، وبعقله مع العلوم الشرعية فهماً وتفهيماً، وتعلّماً وتعليماً، وبنفسه في تدبير أمور معاده الأخروي، وأحوال معاشه الدنيوي، وبجسمه في السكنى في بيته، يكف[٣٦٩] لسانه عما لا يعنيه من أمور العامة، ويزجر خواطره عن سوء الظن في أحد من المسلمين. بل يصرف خواطره إلى النظر في أحوال نفسه، ولا يلتفت إلى مدح الغير له ولا ذمّه. ولا يتفرغ ٢١٢ب من مراعاة أحوال نفسه ليرى قبائح أحوال أهل زمانه، فيتوجه عليه الأمر

٣٦٩ يكون، في أ و ب.

بالمعروف والنهي عن المنكر، فيصير بحيث لا يرى من غيره تهاونا بمعروف ليأمره به، ولا يرى من[٣٧٠] غيره منكرًا لينهاه عنه. فيبيت ويصبح مراقبًا أحوال نفسه، مشغولاً برؤية عيوبه عن عيوب غيره.

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعًا فينبئكم بما كنتم تعملون﴾[المائدة، ١٠٥] وروينا في سنن أبي داود السجستاني بإسناده عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئًا، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر.»[٣٧١] وروينا في سنن الترمذي بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا، فقال: ‹يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله ٢١٢/ب – ٩٨/أ يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فسل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا

---

٣٧٠ من، ساقطة في أ وب وت. ٣٧١ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الغيبة والنميمة، الراوي عبد الله بن مسعود، ٨:٤٥١. أخرجه أبو داود والترمذي.

بشيء كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفت الصحف› . »[٣٧٢] ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. وهذه مكاتبتنا إليكم بالنصيحة النبوية، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه جمعين.

---

٣٧٢ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب اللواحق، باب أحاديث مشتركة تبين آداب النفس، الراوي عبد الله بن عباس، ١١:٦٨٥. أخرجه الترمذي.

[٧٠. منتصف ربيع الأول ١١١٢هـ، جواب أسئلة يحيى أفندي ابن نوح الواني]

وقال رضي الله عنه، وقد ورد عليه من بلاد وان، من جناب العلامة، والعمدة الفهامة، يحيى أفندي ابن نوح الواني، وذلك في خامس عشر من جمادى الآخرة، سنة إحدى عشر ومائة وألف، مكتوب مشتمل على أسئلة ثلاث، فأجاب عنها وذلك في| منتصف ربيع الأول سنة اثني عشر ومائة وألف، ٢١٣ب وصورته قوله:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد: فقد وصلنا كتابكم الشريف وتأملنا مضمونه، وقد يسّر الله تعالى في الجواب بحسب ما اقتضاه الوقت، فنقول وبالله التوفيق، وبيده أزمّة التحقيق. أما مسئلة إيمان فرعون فهي مسئلة ذكرها العلماء غير الشيخ الأكبر رضي الله عنه أيضاً، كما صرح به الشعراني[٣٧٣] في أوائل كتاب *اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر*، وللجلال الدواني رسالة مستقلة في صحّة إيمان فرعون.[٣٧٤]

---

٣٧٣ الشعراوي، في أ و ب و ت. ٣٧٤ انظر عبد الوهاب الشعراني، *اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر* (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٣).

وحاصل ذلك راجع إلى فهم الآية الشريفة الواردة في شأن إيمانه، وهي قوله تعالى: ﴿حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين. الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين. فاليوم| نجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية﴾[يونس، ٩٠ – ٩٢] فإن قوله عند الغرق: «لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل،» وهو «الله تعالى.» فإن بني| إسرائيل أولاد يعقوب عليه السلام، وهم قوم موسى عليه السلام، وهم مؤمنون بالله تعالى. وإنما خص إيمانه بما آمن به بنو إسرائيل، ولم يقل «إلا الله،» طمعًا منه عند مشاهدته الهلاك بالغرق في أن الله يلحقه ببني إسرائيل، الذين[٣٧٥] شاهد نجاتهم وعلم أن ذلك كان بسبب[٣٧٦] إيمانهم بالله تعالى. لا أن إيمانه كان في حالة يأس من الحياة، بل كان إيمان طمع ورجاء في الإلحاق بالناجين، إذا عمل بعملهم، وقد حضر أجله. وإذا جاء أجل الله لا يؤخر، فغرق ومات كما يغرق المسلم ويموت، إذا قدر الله تعالى عليه ذلك، ولم يحصل له نجاة من الغرق والموت.

٢١٣/ب

٩٩أ

فقال تعالى على طريقة المعاتبة في التأخير: «الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين،» يعني صدر منك ذلك من قبل، وأما الآن فلم يصدر منك ذلك،| ولماذا أخرته إلى الآن. ثم أخبر تعالى أنه قال له: «فاليوم نجيك،» بإضافة

٢١٤ب

٣٧٥ الذي، في أ و ب و ت. ٣٧٦ سبب، في أ و ب.

النجاة إليه، ونسبتها له بإيقاعها عليه، وهو لم ينج من الغرق والموت. فلو لم تكن النجاة بقبول الإيمان فما هي بنجاة، ولا نجّاه الله تعالى. ثم أكد تعالى ذلك بقوله: «ببدنك،» أي أنت ننجيك وحدك بجميع أجزائك، لا ننجي معك من قومك. وهذا مثل قول الإنسان: «جئت إليك ببدني،» يعني «وحدي، كلّي.» وجاء فلان ببدنه، أي كلّه، وحده، ما معه غيره. وأما قولهم أن معنى ذلك فاليوم ننجي ببدنك، أن نتركه سالما من أكل دواب البحر، ونلقيه في الساحل، فهو عدول عن مقتضى اللغة العربية. وقوله: «لتكون لمن خلفك آية،» أي لمن يأتي بعدك من الأمم، حتى لا ييأس أحد من عناية الله تعالى. وهذا كله مقتضى ما ذهب إليه المجتهدون القائلون بصحة إيمان فرعون، وغيرهم من المجتهدين ذهبوا إلى غير ذلك بوجوه أخر وأدلة| أخرى، والله أعلم بحقيقة الحال. ٢١٤/ب

٩٩/أ وأما قول الشيخ الأكبر| رضي الله عنه أنه تعالى أوجد الأشياء، وهو عينها، ونحو ذلك من كلامه، فهو مبني عنده على اصطلاحه في معرفة الأشياء ومعرفة الحق تعالى. فإن الأشياء كلها عنده مجرد تقديرات وتصويرات قائمة به تعالى الذي هو مقدّرها ومصوّرها، لا مبني ذلك على اصطلاح غيره من أن الأشياء كلها أعراض وأجسام مستقلة بنفسها في الوجود، لها الاستناد العقلي إلى الحق تعالى بالإيجاد. فإن «الوجود» في اصطلاح الشيخ الأكبر رضي الله عنه واحد، وهو الوجود الحقيقي، لله تعالى حقيقة، ولغيره بطريق

المجاز، الذي هو استعمال الشيء في غير ما هو له. فالأشياء كلها عنده يقال لها موجودات بطريق المجاز، والوجود لها مجاز، أي مستعمل في غير ما هو له. فالأشياء كلها في أنفسها، مع قطع النظر عن الوجود المنسوب إليها، نسبة مجازية، عدم محض. وإنما الوجود الحقيقي الذي هو مستعمل فيما هو له إنما هو وجود الله تعالى. واصطلاحه رضي الله عنه| هو الذي جاءت به نصوص الكتاب والسنّة. ٢١٥ب

قال تعالى ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾[القصص، ٨٨] أي إلا ذاته. وقال تعالى ﴿كل من عليها فانٍ. ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾[الرحمن، ٢٦– ٢٧] أي ذاته تعالى. وذاته تعالى هو الوجود الحقيقي، الواحد الأحد، الحق المطلق، المنزه من مشابهة كل شيء. والأشياء كلها هي الهالكة الفانية في حد ذاتها. وقال صلى الله عليه وسلم: «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان.»[٣٧٧] وقال صلى الله عليه وسلم: «أصدق كلمة قالها الشاعر، كلمة لبيد: ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل.»[٣٧٨] والباطل خلاف الحق. والله تعالى هو الحق سبحانه، والأشياء كلها هي الباطل. وقال تعالى: ﴿وقل[٣٧٩] جاء الحق وزهق الباطل﴾[الإسراء، ٨١] يعني ظهر الحق سبحانه وبطن الباطل في غيب الحق

---

٣٧٧ «كان الله ولا شيء غيره:» الحاكم، *المستدرك على الصحيحين*، كتاب التفسير، الراوي بريده بن الحصيب، ٢:٣٧١. أخرجه الحاكم في مستدركه. ٣٧٨ ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، كتاب الشعر، الراوي أبو هريرة، ٥:١٧٩. أخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي. ٣٧٩ قل، في أ وب.

سبحانه، أي غيب علمه تعالى: ﴿إن الباطل كان زهوقا﴾[الإسراء، ٨١] أي في حال ظهوره.

وهذا كله في نظر العارف بالله تعالى وبجميع الأشياء كنظر المخاطب بقوله ﴿قل جاء الحق﴾[الإسراء، ٨١] الخ، وهو| نبينا| محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذين آمنوا معه، وهم الورثة لعلمه من الصحابة وغيرهم، لا في نظر الذين آمنوا وحدهم بأنفسهم، لا معه صلى الله عليه وسلم، من أهل النظر والاستقلال بالمفهوم في الاعتقاد والأعمال، مما لا حضور لهم ولا شهود. ١٠٠أ – ٢١٥/ب

ومعلوم أن العلم بالله غير العلم بالأشياء عند الكل، لكن عند المحققين من أهل الله، كالشيخ الأكبر رضي الله عنه وأمثاله، إن العلم بالله لا علم معه بغير الله. والعلم بالأشياء لا علم معه بالله. وعند غيرهم، العلم بالله مثل العلم بغيره، من حيث أن العلم بالأشياء علم بحدودها ورسومها يتميز بعضها عن بعض، والعلم بالله علم بما يميز الله عن الأشياء، ويميز الأشياء عن الله تعالى. وهو العلم القاصر عن المعرفة به سبحانه. فإن الحق تعالى لا حد له ولا رسم، وجميع الحدود والرسوم له لأنه مقدّرها ومصوّرها، كما قال تعالى: ﴿لله ما في السموات وما في الأرض﴾ [البقرة، ٢٨٤] وقال تعالى:﴿وله من في السموات والأرض[380]﴾| [الأنبياء، ١٩] وقال: ﴿وله كل شيء﴾[النمل، ٩١] فالعلم به تعالى هو عين العلم بكل ٢١٦ب

---

٣٨٠ ومن في الأرض، في أوب وت.

شيء، لأن كل شيء له، ولهذا قال تعالى: ﴿عَلِمَ أن لن تحصوه﴾ [المزمل، ٢٠] أي تعدونه، لكثرته سبحانه من حيث ظهوره بإظهار الأشياء. وأما وحدته فهي من حيث هو في ذاته تعالى. فكل شيء عينه تعالى، من حيث الوجود القائم به ذلك الشيء. وذلك الشيء غيره تعالى، من حيث الصورة والشيئية الهالكة الفانية. فصدق حينئذ عند العارف أنه تعالى أوجد الأشياء، وهو عينها، أي عين وجودها الذي هي موجودة به. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وأما مسألة شرب الدخان، فقد أكثرنا الكلام فيها في كتابات شتى. والحاصل أنه مباح مثل غيره من المباحات. ففي كتب الطب مفردات كثيرة كالفلفل، والنخوة، والقرنفل،| والزنجبيل، والألوف الألوف من الحشائش في كتاب مفردات ابن البيطار| وغيره من كتب العشابين.[381] وهي كلها مباحة في الاستعمال، يجوز أكلها، وشم دخانها، وشربها،[382] بإجماع الأمة، إلا ما ضر منها، على من ضره لا على غيره. وهذا النبات المخصوص المسمى بـ«التتن» في زماننا هذا من جملة تلك الحشائش، التي لا ذكر لها أصلاً[383] لا في كتاب ولا سنة، وإنما هي مذكورة في كتب الطب والأطباء. والعشابون يسمون «التتن،» «الطُبّاق،» بضم الطاء

١٠٠/أ

٢١٦/ب

---

٣٨١ انظر ابن البيطار، *الجامع لمفردات الأدوية والأغذية* (القاهرة: ١٨٧٤). ٣٨٢ شربه، في أ و ب و ت. ٣٨٣ أصلاً، ساقطة في أ و ب.

المهملة وتشديد الباء الموحدة وبالقاف.[٣٨٤] وبعض أهل اليمن والحجاز يحرّفون الكلمة فيقولونه، «التُنباك،» وله عندهم خواص في دفع السموم وغيرها مذكور ذلك في محله من كتب الطب. وكونه غالباً يشغل عن ذكر الله، باعتبار استعماله بالفم على الاسترسال في الأوقات، فإن هذا حكم سائر المباحات كالمآكل والمشارب المباحة، تشغل الفم عن ذكر الله وليست بحرام. وكذلك الفكر في أمور الدنيا،| ٢١٧ب يشغل النفس عن ذكر الله وليس بحرام. وكذلك السماع لأخبار الدنيا المباحة، يشغل الأذن عن سماع ذكر الله تعالى وقراءة القرآن. وكذلك رؤية الأشياء المباحة، تشغل العين عن الاعتبار بمخلوقات الله تعالى وبرؤية نعمه وأفعاله. وهكذا كل مباح شأنه أنه يشغل عن ذكر الله تعالى. وليس كل ما يشغل عن ذكر الله الواجب، كالصلاة المفروضة ونحوها من الذكر الواجب، فهو حرام، وإن كان مباحاً. وأما ذكر الذي ليس بواجب، بل هو مستحب، له ثواب وأجر عند الله تعالى. فالذي يشغل عنه ليس بحرام، وإلا لحرّمت المباحات كلها، لأن الاشتغال بها يشغل عن الاشتغال بذكر الله تعالى، وليس ذلك بحرام إجماعاً. فإن المباح حكم من أحكام الله تعالى الخمسة التي ذكرها علماء الأصول، وهي الفرض، والواجب، والحرام، والمكروه، والمباح. | وأحكام الله تعالى لا تتغير أصلاً، والله أعلم وأحكم. ٢١٧/ب

---

٣٨٤ «الطُبّاق» ترد عند ابن البيطار، ولكن «الطُبّاق» غير «التتن.»

[٠٧١ أواخر شهر رمضان ١١١٤هـ، جواب رسالة من أيوب أفندي]

وقال رضي الله عنه،| وقد ورد عليه من بلاد الروم من خيره بول، من الرجل الصالح أيوب أفندي حفظه الله تعالى مكتوباً، وذلك في أواخر شهر رمضان المبارك، سنة أربعة عشر ومائة وألف، فأجاب عنه بقوله: ١٠١أ

بسم الله الرحمن الرحيم. والله خيرٌ حافظاً، وهو أرحم الراحمين. سلامٌ قولاً من ربّ رحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، من أهل الظهور والخفا، والصدق والوفا، أما بعد: فالعجز ذاتي في كل مخلوق، والقدرة عرضية وهمية. فمن تحقق بالعجز الذاتي من نفسه، انكشف عنه حجاب القدرة الوهمية، ودخل باب الحضرة الإلهية، وكان حاملاً للأمانة التكليفية بالله، لا بنفسه. وهو المطلوب من حكم قوله تعالى: ﴿إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان﴾ [الأحزاب، ٧٢] وذلك لكونه مظهراً لأسماء الله تعالى جميعها من قوله تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ [البقرة، ٣١] فإذا عرف الإنسان نفسه بعد ذلك، فقد عرف ربه، واستقام كما أمر من حكم قوله تعالى: ﴿فاستقم كما أمرت﴾ [هود، ١١٢] وإن لم يكن كذلك كان مدّعياً لأسماء ربه، ظالماً بدعوى ٢١٨ب

ما ليس له، جهولاً بما الأمر عليه من حكم قوله تعالى: ﴿إنه كان ظلومًا جهولا﴾ [الأحزاب، ٧٢] وليس الإنسان المكلّف مكلّفًا أن يخلق شيئًا من أفعاله وأحواله، وإنما هو مكلّف بأن يعلم ويعرف ويتحقق بأن جميع ما يفعله، أو يكون فيه من الأحوال، كل ذلك معلومات ربه، وإراداته، ومقضياته، ومقدراته. فهو يتحول فيما يحوله ربه، ويفعل ما يفعله ربه. ولهذا قال ابن عطاء الله الإسكندري رحمه الله تعالى: «من علامات اعتماده عليك أن خلق ونسب إليك.» وقال شيخ شيخه أبو الحسن الشاذلي قدس الله تعالى سره:| «شهود التقصير دعوى تأثير.» فتأملوا طهّر الله أسراركم، وكمّل أنواركم، والسلام على الدوام.

٢١٨/ب

وصل مكتوبكم فأسرا القلوب، ونشر مطويات الغيوب، فكان كقميص يوسف على أجفان يعقوب، وكشفاء أيوب، فاركض برجلك، هذا مغتسل بارد وشراب يا أيوب، والسلام.

١٠١/أ

[٠٧٢ بدون تاريخ، جواب رسالة من السيد عرابي]

وأرسل رضي الله عنه جواباً عن مكتوب ورد إليه من بلدة حماة المحروسة، من جناب الشيخ الصالح، السيد عرابي، من سلالة قطب العارفين الشيخ عبد القادر الكيلاني، قدس الله تعالى سره، وهذه صورة الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم. الله خيرٌ حافظاً، وهو أرحم الراحمين. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، من أهل الظهور والخفا، وصدق المودة والوفا، أما بعد: فيا أهل الصفا، ويا ذوي الاستغناء بالله عما سواه والاكتفا، حقيقة هذا الحال،| وجدان الوصال، في عين الفناء ٢١٩ب والاضمحلال. وهو أمر كائن، وسر ظاهر بائن، ولكنه يحتاج إلى من يجده، وله يعاين. والمعرفة من قبيل ما يُحس به ويُذاق، بقوة الحواس والأذواق، لا من قبيل ما يوضع في صفحات الأوراق، أو من قبيل ما تُدركه العقول من كل معنى، كَثُفَ أو راق. فإن مدارك العقول والفهوم، عند علماء الظاهر وأرباب الرسوم، وهي الأمثال المنصوبة لهم يتراءونها بعيون الأفهام، فلا يخرجون بإدراكها عن قيود الشكوك وحبوس الأوهام. وهذا مقدار ما استطاعوا من التقوى، وجهد نفوسهم التي لهم بها غاية البلوى. فلهم «الجنّة» من «الاجتنان،» الذي

هو «الاستتار،» وقد حجبوا بنور الإيمان المضاف إليهم عن رؤية النار. فلو رجعوا إلى ما كانوا عليه، قبل ادعائهم صفة الوجود، لوجدوا جميع ما هم فيه من الأحوال| على ما هم عليه في إشراق شمس الشهود، وتبين لهم العدم الذي هو العائد من الوجود، الذي هو المعبود. ولكن الأقدار السابقة، هي المانعة العائقة.| وتقليب البصائر والأبصار، على مقتضى ما في الأزل من أحوال هذه الدار. وهو الناقد ولا بد، إلى أن يكمل العبد ويبلغ الأشد. والحمد لله على كل حال، وصلى الله على سيدنا محمد وجميع الآل، وسلم تسليما.

٢١٩/ب

١٠٢أ

[تذييل مخطوط ١١١٣ برنستون]

[تمّ نسخها في ١١ محرم ١١٦٢هـ]

وقد وقع الفراغ من نسخ هـذه الرسائل المباركة يوم الأربعاء، الحادي عشر من محرم الحرام، افتتاح سنة اثنين وستين ومائة وألف، وذلك على يد الفقير، والعاجز الحقير، الحاج عمر بن عبد الله، لطف الله به ولمن أحسن إليه، آمين.| ١٠٢/أ

[تذييل مخطوط ٦٠٧٨ ظاهرية]

[تمّ نسخها في ١ رمضان ١٢٣٥هـ]

وقد فرغ من كتابتها في يوم الأحد، أول يوم في شهر رمضان، سنة خمس وثلاثين ومائتين وألف، الفقير إليه تعالى، محمد عطاء زاده الدمشقي الشامي.| ٢٢٠ب

[تذييل مخطوط ١٤١٠ فاتيكان / ٦١٥ أسد]

[تمّ نسخها في ٢٥ ذي القعدة ١٢٦٩هـ]

كتبه لنفسه، ولمن شاء الله تعالى من بعده، الفقير إلى الله، والمستغني بالله عما سواه، إبراهيم النجاني، القائم في خدمة فقراء الطريقة، أكرمه الله تعالى بعلوم الحقيقة، في يوم الثلاثاء، الخامس والعشرين من ذي القعدة الحرام، سنة تسع

وستين ومائتين وألف من الهجرة النبوية، على مها جرها ألف ألف صلاة وألف ألف تحية. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبة وسلم.

Al-Nābulusī's Published Works

مؤلفات عبد الغني النابلسي المنشورة

الطبعات المتوفرة في المكتبات الجامعية والصادرة عن دور النشر حتى نهاية عام ٢٠٠٨

١ الأجوبة عن المائة وواحد وستين سؤالًا

الأجوبة على ١٦١ سؤالاً، تحقيق امتثال الصغير (دمشق: دار الفارابي، ٢٠٠١).

٢ الأوراد الشريفة المجموعة من الكتاب والسنّة

أوراد الأستاذ عبد الغني النابلسي (دمشق: المطبعة الدومانية، ١٢٨١هـ).

٣ إيضاح الدلالات في سماع الآلات

إيضاح الدلالات في سماع الآلات، تحقيق أحمد راتب حمّوش (دمشق: دار الفكر، ١٩٨١).

إيضاح الدلالات في سماع الآلات (دمشق: المطبعة الحفنية، ١٣٠٢هـ).

إيضاح الدلالات في سماع الآلات (هارفارد: مكتبة وايدنر ٠٠٧٢٧٧٢٢٩).

٤ إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود

«إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود،» ترجمة إيطالية نشرت في *Revista Degli Studi Orientali* (LIII/I–II, 1979), 119–139.

إيضاح المقصود من وحدة الوجود، تحقيق عزة حصرية (دمشق: مطبعة العلم، ١٩٦٩).

«إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود،» تحقيق أغناطيوس عبدو خليفة، **المشرق** ٤٧ (بيروت، ١٩٥٣)، ٣٠٤-٣١٧.

٥ برهان الثبوت في تبرئة هاروت وماروت الملكين

برهان الثبوت في تبرئة هاروت وماروت، تحقيق عمر أحمد زكريا (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٨).

٦ تحفة ذوي العرفان في مولد سيد بني عدنان

تحفة ذوي العرفان في مولد سيد بني عدنان (دمشق: مطبعة الفيحاء، ١٣٣٢هـ؛ المطبعة الرومانية، ١٢٨١هـ).

٧ التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية

الرحلة الطرابلسية (دمشق: دار الفكر العربي، ١٩٩٨).

التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية، تحقيق هربرت بوسه (بيروت: منشورات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ١٩٧١).

الرحلة الطرابلسية، تحقيق هربرت بوسه (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، بدون تاريخ).

٨ تحقيق القضيّة في الفرق بين الرشوة والهديّة

تحقيق القضيّة في الفرق بين الرشوة والهديّة، تحقيق إبراهيم إسماعيل القاضي والسيد عزت المرسي (القاهرة: دار الحرمين، ٢٠٠٠).

تحقيق القضيّة في الفرق بين الرشوة والهديّة، تحقيق مبروك إسماعيل مبروك (القاهرة: مكتبة القرآن، ١٩٩٤).

تحقيق القضيّة في الفرق بين الرشوة والهديّة، تحقيق علي محمود العوض وعادل أحمد عبد الموجود (القاهرة: مكتبة الزهراء، ١٩٩١).

تحقيق القضيّة في الفرق بين الرشوة والهديّة، تحقيق محمد عمر بيوند (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٨٢).

٩ تعطير الأنام في تعبير المنام

المعجم الحديث في تفسير الأحلام: كتاب تعطير الانام في تعبير المنام، تحقيق عمر فاروق الطباع (لندن: دار الأرقم، ٢٠٠٥، ١٩٩٩).

تعطير الانام في تعبير المنام، تحقيق معروف مصطفى زريق (دمشق: دار الخير، ٢٠٠٤).

تعطير الأنام في تعبير المنام (بيروت: دار القلم العربي، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٤؛ دار الجيل، بدون تاريخ).

تعطير الأنام في تعبير المنام، تحقيق سمر محمد ضاهر (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ٢٠٠٤).

تعطير الأنام في تعبير المنام، تحقيق أحمد عناية (بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤).

تعطير الأنام في تعبير المنام (القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٣ ، ط ٢؛ دار إحياء الكتب العربية، ١٩٧٢؛ المطبعة الأزهرية، ١٣٢٤هـ، ط ٣؛ محمد علي الميليجي، ١٩٠٢).

تعطير الأنام في تعبير المنام، تحقيق هبة بيضون ومازن بيضون (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١، ١٩٩٦).

تعطير الانام في تعبير المنام (الرياض: دار الوراق، ٢٠٠١).

تعطير الأنام في تعبير المنام، تحقيق حنان محمد نور طبّارة (بيروت:

دار المعرفة، ١٩٩٩، ١٩٩٣).

تعطير الأنام في تعبير المنام، وبهامشه «منتخب الكلام في تفسير الأحلام» لابن سيرين (بيروت: المكتبة الثقافية، ١٩٦٤).

تعطير الأنام في تعبير المنام (استانبول: مطبعة الهلال، ١٨٨٨).

التعبير في تفسير الأحلام (بيروت: مؤسسة عز الدين، بدون تاريخ).

معجم تفسير الأحلام: تعطير الأنام في تعبير المنام، تحقيق معروف زريق (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، بدون تاريخ).

تعطير الأنام في تفسير الأحلام (بيروت: دار الكتاب اللبناني، بدون تاريخ).

L'interprétation des reves: Tatir Al-Anam. ترجمة وتحقيق الحبيب بن يونس (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦).

١٠ جمع الأسرار في منع الأشرار عن الطعن في الصوفية الأخيار

جمع الأسرار في رد الطعن عن الصوفية الأخيار أهل التواجد بالأذكار، تحقيق هبة المالح (دمشق: دار المحبة، بدون تاريخ).

١١ الجواب العلي عن حال الولي

«الجواب العلي عن حال الولي،» في **شطحات الصوفية**، عبد الرحمن بدوي (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٩؛ الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٦، ١٩٧٨).

١٢ جواهر النصوص في حلّ كلمات الفصوص

جواهر النصوص في حلّ كلمات الفصوص، تحقيق عاصم ابراهيم الكيالي (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨، جزءان).

جواهر النصوص في حلّ كلمات الفصوص (القاهرة: بدون ناشر؛ المطبعة الشرقية، ١٨٦٦؛ مطبعة الزمان، ١٩٠٥).

١٣ الجوهر الكلي شرح عمدة المصلي وهي المقدمة الكيدانية

الجوهر الكلي شرح عمدة المصلي، تحقيق محمد أحمد مطر جاسم الدليمي (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧).

١٤ الحديقة النديّة شرح الطريقة المحمديّة

الحديقة النديّة في شرح الطريقة المحمديّة (استانبول: مكتبة الحقيقة، جزءان، ١٩٨٩؛ مطبعة عامره، ١٢٩٠هـ).

الحديقة النديّة شرح الطريقة المحمديّة (الرياض: المكتبة النورية، ١٩٧٧؛ القاهرة: بدون ناشر، ١٨٦٠).

١٥ الحضرة الأنسيّة في الرحلة القدسيّة

الحضرة الأنسيّة في الرحلة القدسيّة، تحقيق أكرم حسن العلبي (بيروت: المصادر، ١٩٩٠).

المختار من كتاب الحضرة الأنسيّة في الرحلة القدسيّة، تحقيق إحسان النمر (نابلس: إحسان النمر، ١٩٧٢).

رحلتي إلى القدس، وهي الرحلة المسّماة بالحضرة الأنسيّة في الرحلة القدسيّة (القاهرة: مكتبة القاهرة، ١٩٠٢).

١٦ الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز

الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، تحقيق رياض عبد

الحميد مراد (دمشق: دار المعرفة، ١٩٩٨، ٣ أجزاء).

الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تحقيق أحمد عبد المجيد هريدي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦).

١٧ حُلّة الذهب الإبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز

تاريخ بعلبك، ويليه «حُلّة الذهب الإبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز» (باريس: بيبليون، ١٩٨٨).

رحلتان إلى لبنان، تحقيق صلاح الدين المنجد واسطفان فيلد (بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ١٩٧٩).

١٨ خلاصة التحقيق في بيان حكم التقليد والتلفيق

خلاصة التحقيق في بيان حكم التقليد والتلفيق، ويليه «شرح الطريقة المحمديّة» (استانبول: وقف الإخلاص، ١٩٩٤؛ مكتبة الحقيقة، ١٩٨٩؛ دار الشفقة، ١٩٨١؛ مكتبة إشيك، ١٩٧٨).

خلاصة التحقيق في بيان حكم التقليد والتلفيق، تحقيق محمد بدوي وهبة (دمشق: دار البيروتي، بدون تاريخ).

١٩ خمرة بابل وغناء البلابل

برج بابل وشدو البلابل، تحقيق أحمد الجندي (دمشق: دار المعرفة، ١٩٨٨).

٢٠ خمرة الحان ورنّة الألحان شرح رسالة الشيخ أرسلان

خمرة الحان ورنّة الألحان شرح رسالة الشيخ أرسلان، تحقيق عبد الوارث محمد علي (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠).

رسالة التوحيد: خمرة الحان ورنّة الألحان، تحقيق محمد شيخاني (دمشق: دار قتيبة، ١٩٩٩).

شروح رسالة الشيخ أرسلان في علم التوحيد والتصوف، عزة حصرية (دمشق: مطبعة العلم، ١٩٦٩).

خمرة الحان ورنّة الألحان شرح رسالة الشيخ أرسلان (أم درمان: المكتبة العلمية، ١٩٦٢).

خمرة الحان ورنّة الألحان شرح رسالة الشيخ أرسلان، تحقيق علي أبو النور الجزي (القاهرة: مطبعة التقدم، ١٩٣٢).

٢١ ديوان الحقائق ومجموع الرقائق

ديوان الحقائق ومجموع الرقائق، تحقيق محمد عبد الخالق الزناتي (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١).

منظومة أسماء الله الحسنى، تحقيق محمد عبد الرحيم (بيروت: مؤسسة عز الدين ، ٢٠٠١).

شرح أسماء الله الحسنى على منظومة الشيخ عبد الغني النابلسي، تحقيق أحمد إبراهيم ملا محمد (دمشق: دار المجد، ١٩٩٤).

ديوان الحقائق ومجموع الرقائق (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٦؛ دمشق: عبد الوكيل الدروبي، ١٩٦٩؛ بولاق: دار الطباعة الباهرة، ١٢٧٠هـ).

٢٢ ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث

ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث، تحقيق عبد الله محمود محمد عمر (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨، ٣ أجزاء).

ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث (القاهرة: مطبعة الجمعية

الأزهرية، ١٩٣٤، ٤ أجزاء في مجلدين).

٢٣ رائحة الجنّة شرح إضاءة الدّجنة

رائحة الجنّة شرح إضاءة الدّجنة في عقائد أهل السنّة، تحقيق أحمد فريد المزيدي (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧).

إضاءة الدّجنة في عقائد أهل السّنة، مع شرحها المسمى «رائحة الجنّة» (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٨).

٢٤ رد التعنيف على المعنّف وإثبات جهل هذا المصنّف

«رسالة في الرد على محمود الألوسي،» في **المنحة الوهبية في الرد على الوهابية**، داود الخالدي (استانبول: مكتبة الحقيقة، ١٩٨٦).

٢٥ رد المفتري عن الطعن بالشُشتري

«رد المفتري عن الطعن بالشُشتري،» تحقيق أغناطيوس عبدو خليفة، **المشرق** ٥٤ (بيروت، ١٩٦٠)، ٦٢٩-٦٣٩.

٢٦ رسالة في بيان حكم التسعير

رسالة في مسألة التسعير (دمشق: عالم التراث، بدون تاريخ).

٢٧ رشحات الأقلام شرح كفاية الغلام

رشحات الأقلام شرح كفاية الغلام على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، تحقيق الياس قبلان (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥).

رشحات الأقلام شرح كفاية الغلام في أركان الإسلام، تحقيق محمد خالد

الخرسة (دمشق: دار البيروتي، ٢٠٠٥، صدرت أيضاً في دمشق بدون ناشر وبدون تاريخ).

رشحات الأقلام شرح كفاية الغلام (القاهرة: مطبعة التقدم، ١٣٢٢هـ).

٢٨ صدح الحمامة في شروط الإمامة للمصلين

صدح الحمامة في شروط الإمامة، تحقيق سائد بكداش (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٨).

٢٩ صرف العنان إلى قراءة حفص بن سليمان

صرف العنان إلى قراءة حفص بن سليمان، تحقيق إبراهيم سعد مجيد (سرت: مجلس الثقافة العام، ٢٠٠٨).

صرف العنان إلى قراءة حفص بن سليمان، تحقيق محمد كريم راجح ومحمد إحسان السيد حسن (دمشق: دار الفرفور، ٢٠٠٦).

٣٠ الصلح بين الإخوان في حكم إباحة الدخان

الصلح بين الأخوان في حكم إباحة الدخان، تحقيق محمد أحمد دهمان (دمشق: مطبعة الصداقة، ١٣٤٣هـ).

رسالة في إباحة الدخان (دمشق: مكتبة الإصلاح، ١٩٢٤).

٣١ العبير في التعبير نظماً من بحر الرجز

العبير في التعبير: في أصول كيفية تعبير الرؤيا في المنام، تحقيق محمد عبد الرحيم (بيروت: مؤسسة عز الدين، ١٩٩٦).

٣٢ العقود اللؤلؤية في طريق السادة المولوية

العقود اللؤلؤية في طريق السادة المولوية (دمشق: مطبعة الترقي، ١٣٥٠هـ، ١٣٢٩هـ؛ مطبعة المقتبس، ١٣٢٦هـ).

٣٣ عَلَم الملاحة في عِلم الفلاحة

علم الملاحة في علم الفلاحة، تحقيق يحي مراد (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤؛ دار الآفاق الجديدة، ١٩٨١، ١٩٧٩؛ المطبعة الأدبية، ١٨٨٢).

الملاحة في علم الفلاحة، تحقيق عادل محمد علي الحجاج (عمّان: دار الضياء، ٢٠٠١).

علم الملاحة في علم الفلاحة (دمشق: مكتبة نهج الصواب، ١٨٨٢).

٣٤ غاية المطلوب في محبّة المحبوب

غاية المطلوب في محبّة المحبوب، تحقيق بكري علاء الدين وشيرين محمود دقوري (دمشق: دار شهرزاد، ٢٠٠٧).

غاية المطلوب في محبّة المحبوب أو **مخرج المتقي ومنهج المرتقي،** تحقيق صامويلا باغاني (روما: باردي، ١٩٩٥).

٣٥ الفتح الربّاني والفيض الرحماني

الفتح الربّاني والفيض الرحماني، تحقيق عبد الوارث محمد علي (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١).

أسرار الشريعة، أو الفتح الربّاني والفيض الرحماني، تحقيق محمد عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥).

حقائق الإسلام وأسراره، تحقيق محمد عبد القادر عطا (القاهرة:

دار التراث العربي، ١٩٦٨).

الفتح الربّاني والفيض الرحماني، تحقيق أنطونيوس شبلي اللبناني (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٠).

٣٦ الكشف والبيان عما يتعلق بالنسيان

الكشف والبيان عما يتعلق بالنسيان، تحقيق عبد الجليل العطا (دمشق: دار النعمان للعلوم، بدون تاريخ).

٣٧ كشف السر الغامض شرح ديوان ابن الفارض

شرح ديوان ابن الفارض، من شرحي البوريني والنابلسي ، جمعه رشيد غالب اللبناني (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧).

الصوفية في شعر ابن الفارض، تحقيق حامد الحاج عبود (دمشق: مطبعة زيد بن ثابت، ١٩٨٨).

كشف السر الغامض في شرح ديوان ابن الفارض (القاهرة: مؤسسة الحلبي، ١٩٧٢).

شرح ديوان ابن الفارض، للنابلسي والبوريني (مرسيليا: مطبعة أرنود، ١٩٥٣).

شرح ديوان ابن الفارض، للنابلسي والبوريني، تحقيق رشيد غالب الدحداح (القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣١٠هـ؛ المطبعة المصرية، ١٨٧٢).

٣٨ كشف النور عن أصحاب القبور

«كشف النور عن أصحاب القبور،» في **المنحة الوهبية في الرد على الوهابية**، داود الخالدي (استانبول: مكتبة الحقيقة، ١٩٨٦).

٣٩ كفاية الغلام في أركان الإسلام

كفاية الغلام في أركان الإسلام (دمشق: مطبعة الفيحاء، ١٩١٢).

٤٠ الكوكب المتلالي شرح قصيدة الإمام الغزالي

«الكوكب المتلالي شرح قصيدة الإمام الغزالي،» في **المجموعة الصغرى للفوائد الكبرى**، تحقيق صفوة السقا (حلب: مكتبة ربيع، ١٩٦٢).

٤١ لمعات الأنوار في المقطوع لهم بالجنّة والمقطوع لهم بالنار

أهل الجنّة وأهل النار (القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ١٩٨٣).

لمعان الأنوار في المقطوع لهم بالجنّة والمقطوع لهم بالنار (القاهرة: مطبوعات السعادة، ١٣٧٢هـ).

٤٢ اللؤلؤ المكنون في حكم الأخبار عمّا سيكون

فضائل الشهور والأيام، ويليه «اللؤلؤ المكنون في حكم الأخبار عمّا سيكون،» تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦).

٤٣ المعارف الغيبيّة شرح العينية الجيليّة

النادرات العينيّة لعبد الكريم الجيلي مع شرح النابلسي، تحقيق يوسف زيدان (القاهرة: دار الأمين، ١٩٩٩).

٤٤ مفتاح المعية في طريق النقشبنديّة

مفتاح المعية في دستور الطريقة النقشبنديّة، تحقيق جودة محمد أبو اليزيد المهدي ومحمد عبد القادر نصار (القاهرة: الدار الجودية، ٢٠٠٨).

٤٥ المقاصد الممحّصة في بيان ماء كيّ الحمّصة

المقاصد الممحّصة في بيان كيّ الحمّصة، تحقيق سعود إبراهيم الشريم (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٧).

٤٦ نتيجة العلوم ونصيحة علماء الرسوم في شرح مقالات السرهندي المعلوم

Samuela Pagani, *Il Rinnovamento Mistico dell'Islam. Un Commento di ʿAbd al-Ġanī al-Nābulusī a Aḥmad Sirhindī* (Napoli: Università degli studi di Napoli "L'Orientale," 2003).

٤٧ نخبة المسئلة شرح التحفة المرسلة

القول المتين في بيان توحيد العارفين (القاهرة: مطبعة محمد علي صبيح، ١٣٤٤هـ).

٤٨ النعم السوابغ في إحرام المدني من رابغ

النعم السوابغ في إحرام المدني من رابغ، تحقيق سائد بكداش (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٨).

٤٩ نفحات الأزهار على نسمات الأسحار

نفحات الأزهار على نسمات الأسحار (القاهرة: مكتبة المتنبي، ١٩٩٨).

نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٤، ط٣؛ دمشق: مطبعة نهج الصواب، ١٨٨٢؛ القاهرة: بدون ناشر، ١٨٨٢).

٥٠ نفض الجعبة في الاقتداء من جوف الكعبة

نفض الجعبة في الاقتداء من جوف الكعبة (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٥).

٥١ نهاية المراد شرح هدية ابن العماد في فقه الحنفية

نهاية المراد في شرح هدية ابن العماد، تحقيق عبد الرزاق الحلبي (دمشق: مكتبة دار البيروتي، ٢٠٠٤، ط ٢؛ ليماسول: الجفان والجابي، ١٩٩٤).

٥٢ الوجود الحق والخطاب الصدق

كتاب الوجود، تحقيق السيد يوسف أحمد (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣).
الوجود الحق والخطاب الصدق، تحقيق بكري علاء الدين (دمشق: المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٩٥).

٥٣ يوانع الرطب في بدائع الخطب

يوانع الرطب في بدائع الخطب، تحقيق محمد نجدات المحمد (دمشق: دار المكتبي، ٢٠٠٨).